أحلى الحكايات



حكاية شعبيّة مُيسَّرة للأطفال

ناصف مصطفى عبد العزيز

الدار الثقافية للنشر

ناصف مصطفى عبد العزيز
60 حكاية شعبية
الدار الثقافية للنشر

أحلى الحكايات

60 حكاية شعبيّة مُيَسَّرة

ناصف مصطفى عبد العزيز

الدار الثقافية للنشر

عبد العزيز ، ناصف مصطفى
٦٠ حكاية شعبية ميسرة للأطفال .
تأليف ناصف مصطفى عبد العزيز
ط١ ـ القاهرة : الدار الثقافية للنشر ، ٢٠٠٦ .
١٩٢ ص ، ٢٤ سم
تدمك ٦ ـ ١٩٠ ـ ٣٣٩ ـ ٩٧٧
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٣٨٤٦/ ٢٠٠٦
١ـ القصص الشعبية
العنوان : ٦٠ حكاية شعبية ميسرة للأطفال .
أحلى الحكايات
٣٩٨,٢

الطبعـــة الأولـــى

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م

الطبعـــة الثانية

١٤٣٢هـ / ٢٠١١ م

صندوق بريد ١٣٤ بانوراما ١١٨١١
تليفاكس ٢٤٠٢٠٥١٥ ـ ٢٤١٧٢٧٦٩ ـ ٢٢٧٥٩٥٠٢
Email: info@dar– althakafia.com

مُقَدِّمَة

ما مَفهومُ الحِكايَةِ الشعبيَّة؟

هي الحكايةُ النثريّةُ المأثورةُ التي انتقلت عَبرَ أجيالِ الشعوب، سواءً أكانت مكتوبةً أمْ مَنطوقةً، وهي إمّا أنْ تُروَى كالأصلِ تماماً دون إضافاتٍ، وإمّا أنْ تُحكىَ بإضافاتٍ يُدْخِلُها الراوي الجديدُ عليها، حيثُ يؤدّيها بلُغَتِهِ غيرَ مُتَقَيِّدٍ بألفاظِ الحكايةِ الأصلية، وإن كان يَتَقَيَّدُ دائِماً بشخصيّاتِها وحوادِثِها ومُجمَلِ بِنائِها العام.

والله وليّ التوفيق،

القاهرة فى ١٩ من صفر ١٤٢٧ هـ **ناصف مصطفى عبد العزيز**

الموافق ١٩ من مارس٢٠٠٦ م

١- عَروسٌ بِجاموس

ظافِرٌ شابٌّ يَتيمٌ فَقير. لَيسَ لَهُ بَيتٌ ولا أَهل. ذاتَ يومٍ عَثُرَ ظافِرٌ عَلَى حَبَّةِ قَمح، فَحَمَلَها وسارَ حَتَّى وَصَلَ إلى الطّحّان. طَلَبَ ظافِرٌ مِنَ الطَّحّان أن يَضَعَ الحبَّةَ عِندَهُ أمانَة. أَخَذَ الطّحّانُ حَبَّةَ القَمح، وَسارَ ظافِرٌ في طَريقه.

في اليَومِ ا لتالي، رَجَعَ ظافِرٌ إلَى الطَّحّان، وطَلَبَ مِنهُ حَبَّةَ القَمح، فَأَخبَرَهُ الطَّحّانُ أَنَّها اختَلَطَت بِحُبوبِ القَمحِ الَّتي عِندَهُ، وأَنَّهُ طَحَنَ حُبوبَ القَمحِ كُلَّها لِيصنَعَ منها الدَّقيق. طَلَبَ ظافِرٌ مِنَ الطّحّانِ أَنْ يُعْطِيَهُ أَيَّ شَيْءٍ بَدَلاً منها. فَكَّرَ الطَّحّان قَليلاً، ثُمَّ أعطاهُ حِفنَةً مِنَ الدّقيق.

حَمَلَ ظافِرٌ حِفْنَةَ الدَّقيقِ في يدِه، وذَهَبَ إلىَ الخبّاز، وطَلَبَ مِنه أن يحفَظَ حَفنةَ الدّقيقِ عِندَهُ أمانَة. أَخَذَ الخَبّازُ حِفْنَةَ الدَّقيق، وَمَشَى ظافِرٌ في طَريقه.

بَعدَ يَومَيْن عادَ ظافِرٌ إلَى الخَبّاز، وَسَأَلَهُ عَن حِفْنَةِ الدَّقيق. اعتَذَرَ الخبّازُ لظافِر، وقالَ لَهُ بصَوتٍ حَزين: "لَقَد اختَلَطَت حَفْنَةُ الدَّقيق بالعَجين، وراحَت مع أرغفةِ الخُبزِ التي خَبَزتُها." طَلَبَ ظافِرٌ من الخبّازِ أن يُعطِيَهُ شيئًا بدلاً منها، فأعطاهُ رَغيفَ الخُبز.

أَخَذَ ظافِرٌ رَغيفَ الخُبز، ومَضَى بِهِ إلَى فَلاّحٍ لَدَيْهِ بعضُ الدجاج. طَلَبَ ظافرٌ من الفلاح أن يَضَعَ الرَّغيفَ عِندَهُ أَمانَة، فأَخَذَهُ مِنهُ الفَلاّح. وسارَ ظافِرٌ في حال سَبيلِه.

بَعدَ أَيامٍ ذَهَبَ ظافِرٌ إلىَ الفَلاّح، وَسَأَلَهُ عَن رَغيف الخُبز. أَخبَرَهُ الفَلاّحُ – في أَسَف – أَنَّ الدَّجاجات أَكَلَت رَغيفَهُ. قالَ ظافِر: "يَجبُ أَن تُعْطِيَني شيئًا بَدَلاً مِن رَغيفِي". أَمسَكَ الفَلاَّحُ بِإحدَى الدَّجَاجَاتِ، وأَعطاها لِظافِر.

حَمَلَ ظافِرٌ الدَّجاجَةَ، وَتَوَجَّهَ بِها إلَى راعي غَنَم، وَطَلَبَ مِنه أَنْ يَقبَلَ الدَّجاجَةَ أَمانَةً عِندَه. أَخَذَ الرّاعي الدَّجاجَةَ، وَسارَ ظافِرٌ في طَريقه.

بَعدَ أُسبوعٍ ذَهَبَ ظافِرٌ لِمُقابَلَةِ الراعي وَطَلَبَ منه الدّجاجَة. ضَرَبَ الراعي كَفًّا بِكَفّ، وقالَ مُعتَذِرًا أنَّ الثَّعلَبَ قَد غافَلَهُ وَخَطَفَها.

فَطَلَب ظافِرٌ مِنَ الرّاعي أَن يُعطِيَهُ شَيئًا بَدَلاً مِن دَجاجَتِهِ. فأعطاهُ الرَاعي خَرُوفًا سَمِينًا.

أَخَذَ ظافِرٌ الخَروفَ، وانطَلَقَ نَحوَ مَزرَعَةٍ فيها بَقَرٌ وجاموس. طَلَبَ ظافِرٌ مِن صاحِبِ المَزرعة أن يترُكَ الخرُوفَ أمانةً لَدَيْه. وافَقَ صاحِبُ المزرعة عَلَى طَلَبِ ظافِر، وَأَخَذَ مِنهُ الخَروفَ، وانصَرَفَ ظافِر.

بَعدَ بِضْعَةِ أَيّامٍ رَجَعَ ظافِرٌ إلى صاحِبِ المزرعَة وَسَأَلَه عَنِ الخَروف. قالَ صاحِبُ المَزرَعة إنَّ الخروفَ قَد مَرِضَ عِندَهُ ومات. فَطَلَبَ ظافِرٌ مِنهُ أَن يُعْطِيَهُ شَيئًا بَدَلاً مِن الخَروف. لَم يَجد صاحِبُ المزرعةِ غيرَ جاموسٍ يُعْطِيهِ لَهُ. أَخَذَ ظافِرٌ الجاموسَ وَسَارَ بِهِ سَعيدًا.

وَبَينَما كانَ ظافِرٌ يَجُرُّ الجَاموسَ خَلفَه، سمِعَ أَصواتَ غناءٍ وأغاريدَ. تَوَجَّهَ ظافِرٌ نَحوَ الصَّوْتَ، حَتَّى وَصَلَ إلى دارٍ به حفل زَواج. رَبَطَ ظافِرٌ الجاموس أمامَ الدار، وَدَخَلَ.

استَمَعَ ظافِرٌ إِلَى الغِناءِ وأَخَذَ يُرَدِّدُ الأَغانيَ مَعَ المطربين. وشاهَدَ ظافِرٌ الرَّقصَ وَراحَ يَرقُصُ مَعَ الرّاقِصين وَهُوَ في غاية السَّعادَةِ. ثُمَّ أُعِدَّتِ الموائِدُ، وَدَعا والِدُ العَروسِ النّاسَ إلىَ الطّعام، فَأَكَل ظافِرٌ مَعَهُم حَتَّى شَبِعَ.

خَرَجَ ظافِرٌ مِنَ الدّار، وَبَحَثَ عَن الجاموسِ فلم يَجِدْهُ. رَجَعَ ظافِرٌ بِسُرعَةٍ إِلَى والِدِ العَروس، وَسَأَلَهُ عَنِ الجاموس، فأخبَرَهُ أَنَّهُ رَأيَ الجاموس أَمَامَ الدّار، فَظَنَّ أَنَّ أَحَدَ الأقارِبِ قد أحضَرَهُ هَدِيَّةً. فَذَبَحَهُ، وَقَدَّمَ لَحْمَهُ بينَ ما قَدَّمَ في الوَليمة.

أَخَذَ ظافِرٌ يَبْكِي وَيَصيحُ، وَطَلَبَ مِن والِدِ العَروسِ البَديلَ.

عَرَضَ والِدُ العَروسِ عَلَى ظافِرٍ أن يختارَ أَيَّ فتاةٍ مِن المَوجوداتِ في الحَفل لِتكونَ زَوجَةً لَه. نَظَرَ ظافِرٌ إِلَى الفَتيَاتِ الجَميلات، ثُمَ أَشارَ إِلَى العَروسِ وَقالَ: "إنَّها الوحيدةُ الَتي تُعجِبُني ولا أُريدُ سِواها". وَكَرَّرَ ظافِرٌ هَذَا الكلامُ عِدَّةَ مَرّات.

سَمِعَ والِدُ العروسِ ما قالَهُ ظافر،
واضطُرَّ إلَى أَن يُوَافِقَهُ عَلىَ طَلَبِه.
وَهَكَـذَا زُفَّـتِ العَـروسُ إلَـى ظافِـرٍ الفَقـيرِ، وَخَـرَجَ بالعَـروسِ بَـدَلاً مِـن الجاموس.

٢- السَّعدُ وَالبرَكَة

اختَلَفَ السَّعُد والبَرَكَةُ ذاتَ يَوم. كَلٌّ مِنهُما يَقولُ: "أنا أَنفَعُ لِلإِنسان مِنكَ." قالَ السَّعدُ لِلبَرَكَةِ: "أَنا أَكْثَرُ مِنْكِ نَفْعًا ، لأَنَّني الّذي أَمنَحُ الإِنسانَ الخَيْرَ والمال."

رَدَّت عَلَيهِ البَرَكَةُ قائِلَةً: "بَل أَنا أَنفَعُ لِلنّاسِ مِنْكَ، لأَنَّهُ لَن تَكونَ لأَفعالِكَ قيمةٌ إلاّ إذا حَلَّت فيها البَرَكَةُ، فَيَظَلُّ يَستَفيدُ بِها الإِنسانُ أَطوَلَ فَترةٍ مُمكِنَة."

اختَلَفَ الاثنان وَلَم يَصِلا إِلَى اتِّفاق، ثم قَدَّرا أَن يَقومَ كُلٌّ مِنهُما بِتَقديمِ ما لَدَيه لِلإنسان، حَتَّى تَكونَ التَّجرِبَةُ العَمَلِيَّةُ هِيَ التي تَحكُمُ في هذا النِّزاع.

ذَهَبَ السَّعدُ إلى فَلاّحٍ فَقير، وأَعطاهُ أَلفَ جُنَيه. أَخَذَ الفَلاّحُ الجنيهاتِ وَسُرَّ بِها، وأسرَعَ وَوَضَعَهَا في جَرَّة، وَسَكَبَ فَوقَها دَقيقًا. حَمَلَ الفَلاّحُ الجَرَّة وَذَهَبَ بِها إِلَى زَوجتهِ، وَطَلَبَ منها أن تَحفَظَها عِندَها، وَلَم يُخبِرْها بما فيها، ثُمَّ تَرَكَ زَوجَتَه، وَذَهَبَ إِلَى حَقلِهِ لِيَعمَل..

بَعدَ وَقْتٍ طَرَقَتِ البابَ اِمرَأَةٌ وَطَلَبَتْ مِنها بَعضَ الدَّقيق. في الحالِ قَدّمَتِ الزَّوجَةُ الجَرَّةَ لِلْمَرْأَة، وَأخبَرَتها أَن تَأْخُذَ مِنها ما يَكفيها مِنَ الدَّقيق. عادَ الزَّوُجُ وَعَلِمَ بِالأَمر، وثارَ وَصَرَخَ في وَجهِ زَوجَتِهِ الّتي تَسَبَّبَتْ في ضَياعِ مالِه. لَم يَجِدِ الفَلاَّحُ فائِدَةً مِنَ الغَضَب، فَتَرَكَ البَيْتَ، وَتَوَجَّهَ إِلىَ الحَقل، واستَأْنَفَ عَمَلَه.

بَعدَ قَليلٍ، جاءَهُ السَّعدُ، وقَدَّمَ إِليه أَلفَ جُنَيه مَرَّةً أُخرَى. وَضَعَ الفَلاّحُ الجُنَيهاتِ بِحِرْصٍ في مِنديله، وَوَضَعَ المِنديلَ بِجانِبِه. فَجأَةً. هَبَطَت حِدَأَةٌ وَخَطَفَت المِنديلَ بِمَخالِبها، وَطارَت بَعيدًا، والفلاّحُ يَنظُرُ إِلَيها في حَسرَةٍ وأَلَم.

لَم يَترُكُهُ السَّعدُ في حزنِه، وَلَكِنَّهُ جاءَهُ مَرَّةً ثالِثَة، وَمَنَحَهُ أَلفَ جُنَيْهٍ أُخرَى. في هَذِهِ المَرَّةِ وَضَعَها الفَلاّحُ بِحِرْصٍ في صَدْره. ذَهَبَ الفَلاّحُ إِلَى النَّهرِ لِيَملأَ وعاءً بالماء، وَلَمّا انحَنَى سَقَطَتِ النُّقودُ مِن صَدْرِه، والتَقَطَتهْا – في الحالِ –

سَمَكَةٌ كَبيرَةٌ وابتَلَعَتْهَا. عِندَ ذَلِكَ أَدرَكَ الرَّجُلُ أَنَّهُ لَيسَ لَهُ نَصيبٌ في هَذِهِ النُّقود، ما دامَت تَضيعُ مِنهُ بِسُهولَةٍ كُلَّ مَرَّة. يَئِسَ السَّعدُ، ولَم يُحاوِل أَن يُجرِّبَ التجربة مَرَّةً أُخرَى.

جاءَتِ البَرَكَةُ إلَى السَّعدِ سَاخِرَةً مِنه، وقالت لَهُ: "أَلَم أَقُل لَكَ إنَّه دونَ البَرَكَةِ لا يُمكِن أَن تَكونَ لأَعْمَالِكَ قيمةٌ؟! الآنَ جاءَ دَوري. اُنظُر ماذا سَأَفعَلُ؟."

تَقَدَّمَتِ البَرَكَةُ مِنَ الفلاّحِ وَأَعطَتْهُ جُنَيها. أَخَذَ الفَلاّحُ الجُنَيه، وَذَهَبَ إلَى السّوق، وَاشتَرَى بِها سَمَكةً.

أرادَ الفَلاّحُ أَن يَطبُخَ السَّمَكَةَ، فَشَقَّ بَطنَها وَوَجَدَ فِيه الجنيهاتِ الألفَ الَّتي كانَت هَذِهِ السَّمَكَةُ قَد ابتَلَعَتها عِندَما سَقَطَتْ في النَّهر. فَرِحَ الفَلاَّحُ فَرَحًا شَديدًا، ثُمَّ خَرَجَ لِيُحضِرَ حَطَبًا يَشوي بِهِ السَّمَكَة. تَسَلَّقَ الفَلاَّحُ شَجَرَةً لِيَقطَعَ بَعضَ فُروعِها، وَهُناكَ وَجَدَ مِنديلَه مُعَلَّقًا عَلَى أَحَدِ تِلكَ الفُروع. فَتَحَ الفَلاّحُ المِنديلَ فَوَجَدَ الجُنَيهاتِ الألفَ الثانِيةَ. زادَت فَرْحَةُ الفَلاحِ، وأَخَذَ النّقُودَ، وَهَبَطَ بِها مِن أَعلَى الشَّجَرة.

بَعدَ وَقْتٍ قَصيرٍ جاءَتِ المَرأَةُ الّتي كانَت قَد أَخَذَت جَرَّة الدَّقيق، وأرْجَعَتها إلَى الزَّوْجةِ، وَشَكَرَتها، وَكانَتِ الجُنَيهاتُ الألفُ ما زالَت في قاعِ الجَرَّة. أَخَذَ الفَلاّحُ النُّقودَ، وَأَضافَها إلَى الألفَين الأُخْرَيَيْن، وَهُوَ يَقولُ: "الحَمدُ لِلَّه. عادَت إلَيَّ نُقودي كامِلَةً."

عِندَئِذٍ نَظَرَتِ البَرَكَةُ إلَى السَّعدِ وَقالَت: "هَل عَرَفتَ الآنَ. أَنَّهُ – دونَ البَرَكَةِ – لا قيمَةَ لأَيّ شَيءٍ؟

٣- الرِّهانُ الصَّعبُ

كانَ يَعيشُ في أَحَدِ المُدُن الجَبَلِيَّةِ شابٌّ اسمُهُ بَدْر، جاءَ مِنْ قَرِيَتِه وَهُوَ وَلَدٌ صَغِيرٌ لِيَعمَلَ خادِمًا عِنْدَ حَسّابٍ التّاجِرِ الغَنِيّ. كانَ هَذا التاجِرُ يَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ يُمكِنُ أنَ يَشتَريهُ بالمال، وَصارَ يَشْعُرُ بِالمَلَل، لأَنَّهُ لا يَجِدُ شَيْئًا جَديدًا يَشتَريهِ فَوقَ ما عِندَه، وَلا عَمَلاً يمكنُ أَن يَقومَ بِه.

وفي لَيْلَةٍ شَديدةِ البُرودَة، والرّيحُ تَهُبّ علَى الوادي طَلَبَ حَسّابٌ مِن خادِمِهِ أَن يُحضِرَ لَهُ بَعضَ الأَخشابِ لِيوقِدَها في المِدفَأة. أَحضَرَ بَدرٌ الخَشَبَ، وَوَضَعَهُ في المِدْفَأةِ وَأَشْعَلَه. قالَ حَسَّابُ لِبَدر: "ما المُدَّةُ الَّتي يُمكِنُ أَن يَقضِيَها إنسانٌ واقِفًا وَسطَ الثَّلجِ فَوقَ أَعلَى جَبَلٍ في المِنطَقَةِ دون ملابِسَ وَبِلا تَدْفِئَةٍ، والرِّياحُ البارِدَةُ تَهُبُّ؟" أَجابَ بَدرٌ: "لا أَعلَمُ يا سَيِّدي. وَلَكِنْ أَلَيسَ ذَلِكَ غَباءً مِمَّنْ يَفعَلُ مِثلَ هَذا العَمَل؟!"

قالَ حسّابٌ: "رُبَّما. وَلَكِنّي أَتحدَّى أَيَّ رَجُل يَستَطيعُ أَن يَقومَ بِذَلِكَ." قالَ بَدرٌ: "أنا مُتَأَكِّدٌ مِن أَنَّ رَجُلاً شُجاعًا وَقَوِيًّا يَستطيعُ أَن يَقِفَ عارِيًا بِلا مَلابِسَ فَوقَ قِمَّةِ ذَلِكَ الجَبَلِ العالي دونَ أن يَموتَ. أمّا بالنِّسبَةِ لي فَلا أَجِدُ سَبَبًا يَجعَلُني أقومُ بِذَلِك".

فقالَ حسّاب: "أَرَى أَنَّكَ تَتَكَلَّم بِثِقَة. ما رَأيُكَ؟ تَقومُ أنتَ بِهذا العَمَل. وَإن نَجَحتَ فَسَوفَ أُعطيكَ قِطعةَ أَرضٍ تَزرَعُها، وَبَيتًا تَعيشُ فيه، وَكَذَلِكَ بَعضَ الأَغنامِ لِتُرَبِّيهَا وَتَرعاها."

لم يُصَدِّق بَدْرٌ ما سمِع، فسأَلَ سَيِّدَهُ:" هل ما تقولُه حَقّ؟" رَدَّ حسّابُ في غَضَب: "أنا أَعني ما أَقول. هذا وبَعدَ ذَلِكَ سأمتَلِكُ أرضًا وبَيْتًا وماشِية."

شَعَرَ بَدرٌ بالقَلَق لأنَّ الجوَّ كان بارِدًا والريحَ شديدة. وفي الصباح ذَهَبَ إلى شَيخٍ حكيمٍ مِن قريةٍ مُجاورة، وقَصَّ عَلَيه ما حَدَثَ بينَه وبينَ سيِّده. سمِعَ الشيخُ الحكايةَ في هُدوءٍ، وَفَكَّرَ طَويلاً، ثم قالَ لبدر: "سأساعِدُك – يا بُنَيّ – ففي الناحِية الأُخرَى مِنَ الجبلِ هَضَبَةٌ عالية، سأذهَبُ إلى هُناكَ وأوقِدُ عِندَها

ناراً غداً في اللّيل، وستراها من المكان الذي تَقِفُ فيه فوقَ الجَبَل. لابُدَّ أَنْ تَنظُرَ نَحوَ تلكَ النار، وتُدَقِّقَ النظرَ فيها خَوالَ الوَقت، ولا تُغمِضْ عينيك، تَذَكَّرْ حرارتَها لِتشعُر بالدِّفء، وَتَذَكَّرْني أنا صديقك. سأظَلُّ بالقُربِ منها لأشعِلَها أكثَرَ وأكثَرَ، ولا أَجعلها تنطفِئ أَبداً خَوال اللَّيل. وإذا نَجَحتَ في مهَّمتك وبقيت حَيًّا فَسَوفَ أَخلُبُ مِنكَ شَيئًا."

شَكَرَ بَدرٌ الشَّيخ، وذَهَبَ إلى بَيتِ حَسَّابٍ، وقالَ لَهُ بِثِقَةٍ: "أنا مُستعِدٌّ – يا سَيِّدي – لِتنفيذِ ما اتّفقنا علَيه." وعِندَما حانَ وقتُ المَساءِ، أرسلَ مَعَهُ حَسّابٌ عَدداً مِنَ الخَدَم إلى قِمَّةِ الجَبِل، ليراقِبوه. وهناكَ خَلَعَ بدرٌ مَلابِسَه، وَوَقَفَ يرتعِدُ من البَرد. نَظَرَ بَدرٌ إلَى الناحية الأخرَى مِنَ الهَضَبَة، فرَأَى ناراً علَى بُعدِ عِدَّةِ أَميالٍ عَبرَ الوادي، تَظهَرُ كَأَنَّها نَجمٌ في السَّماءِ المُظْلِمَة.

أخذ الجَوُّ يبرُدُ أكثرَ وأكثر، وكلُّ سَاعَةٍ تمرُّ يزدادُ إحْسَاسُ بَدْرٍ بالبَرْدِ. لكِنّه رَكَّزَ نَظَرَهُ عَلَى الضَّوْءِ الأَحمرِ المتصاعِدِ مِن النّارِ مِن بَعِيدٍ، وتذكَّرَ صديقَهُ العَجوزَ الذي أشعَلَ النَّارَ مِن أَجْلِه. كان بدرٌ يَعطَشُ وَيَسعُلُ ويرتجِف وظَلَّ هكذا حتى جاءَ الفجرُ، فارتدَى ملابسَه، ونزَلَ من الجبل، واتّجه نحوَ سَيِّدِهِ حَسّاب.

لم يُصَدِّقْ حَسّابٌ عَينَهُ عِندَما رَأَى بَدراً، وَسَأَلَهُ: "شَيْءٌ عَجيب! كَيفَ نَجَحْتَ في أَن تَبقَى حَيًّا؟!" وَسَأَلَ الخَدَمَ الذين ذَهبوا مَعَهُ إلى قمةِ الجبل: "قولوا الصِّدق. هَلِ بَقِيَ اللَّيلَ كُلَّه دونَ خَعامٍ أو شَرابٍ أو ثِياب؟!" أجابَ الخَدَم: "نَعَم، فَعَلَ ذَلك." فقال حسّاب: "أنتَ شابٌّ شُجاعٌ يا بَدر. كَيف أمكَنَكَ أن تَتَحَمَّلَ ذَلِكِ؟" فأجابَ: "كُنتُ خَوالَ الوَقتِ أَنظرُ إلى نارٍ فَوقَ هَضَبَةٍ بَعيدة."

فَقالَ حَسّاب: "ماذا تقول؟ كُنتَ تنظُرُ إلى نار؟ إذَن، فَقَد خَسِرتَ الرِّهان. لن تنالَ شيئًا مِمّا اتفقنا عليه. وسَتَظَلُّ خادِمي." فَصاحَ بدرُ في غَضَب:

"ولكنَّ النارَ كانت بعيدةً جدًّا، فَوقَ الهَضبَةِ المقابِلة." فقالَ حَسّابٌ: "لن أُعطِيَكَ الأرض. لم تَعملْ ما اتّفَقنا عَلَيه، لَقَد أَنقذَتْكَ النارُ."

حَزِنَ بدرٌ حُزْنًا شَديدًا، وَذَهَبَ إلى صديقه الشيخ الحكيم مرةً أُخرَى، وَقَصَّ عَلَيه ما حَدَث. قال الشيخ:

"اعرِض الأمرَ عَلَى قاضي المدينة." ذَهَبَ بَدرٌ إلى القاضي، وشكا إليه. استدعَى القاضي حَسّابًا واستمع إليه، وإلى خَدَمِه، ثم قال: "لَقَد خَسِرتَ لأنّكَ لم تُنَفِّذْ شَرطَ سَيِّدِك حَسّاب. وهو أَن تبقَى في البردِ دونَ نارٍ."

رَجَعَ بَدرٌ إلى صديقه الشيخ بأخبارِهِ الحزينة، فقد حَكَمَ عَلَيه القاضي بأن يَعيشَ حياتَه خادِمًا وكأنّه لم يتألَّم مِنَ البَردِ فوقَ قِمَّةِ الجبل. فقالَ الشيخُ: "لا تَيْأَسْ وتَمَسَّكْ بالأمل."

أَخَذَ الشيخُ بدرًا إلَى رَجُلٍ غنيٍّ خيِّرٍ اسمُه عَبد السلام، كان يَعمَلُ عِندَه في القَصر وَهُو صغير. حَكَى بدرٌ قِصَّتَهُ لِعَبدِ السّلام. قال عبد السلام: "لا تَقلَق يا بَدر، فَسَوف أفعَلُ كُلَّ ما أستَطيعُ لأُرْجِعَ إليك حَقَّك."

بعدَ أَيّام، أَرسَلَ عَبدُ السلام دَعَواتٍ لكثيرٍ مِن أهلِ المدينةِ لحضورِ حَفْلٍ في مَنْزِله، وكانَ مِن بَينَ المدعوّين حَسّابٌ والقاضِي الّذي حَكَمَ بأنَّ بدرًا قد فَقَدَ الرّهانَ. وفي يَومِ الحفلِ وَصَلَ المدعوّون، وَحَضَرَ حَسَّابُ وحَولَهُ خَدَمُه، وكذلِك قاضى المدينة.

جَلَسَ المدعوّون يتحادثون، ورائحةُ الأطعمةِ اللّذيذةِ تَنْبَعِثُ مِنَ المَطبخ. مَرَّت ساعاتٌ وَبَدَأَ الحاضِرون يشعُرون بالجوع وَهُم يَشُمّون رائِحة الطّعام. ولا يَأكُلون شيئًا.

ظَلّ المَدعُوّونَ ينتظرونَ حَتّى مُنتَصَفِ اللّيل لكِنَّ الطعامَ لم يَظْهَر بَعْد. بَدَأَ الجميعُ يَتَساءلون عَن سَبَبِ تَأَخُّرِ الطّعام. أخيرًا تَقَدَّمَ أَحَدُهُم مِن عَبدِ السَّلام، وَسَأَلَه: "لماذا تَفْعَلُ هَذا بِنا؟ كَيفَ تدعونا إلَى حفلِ عَشاءٍ ولا تُقَدِّمُ لَنا شَيئًا؟"

أجابَ عبدُ السَّلام في دَهشة: "ماذا؟! ألا تَشُمُّ رائِحَةَ الطّعامِ اللّذيذة؟ فقالَ الرجلُ: بَلَى، نستطيعُ أن نَشُمَّ رائِحةَ الطّعام. لكنَّ الشَّمَّ لا يُشبِعُ."

قالَ عبدُ السّلام: "إذا شَعَرَ الإنسانُ بالدِّفءِ لأنَّهُ يَنظُرُ إلَى نارٍ بعيدة، فينبغي أن تَشعُروا بالشَّبَعِ لأنكم تَشُمّونَ رائِحةَ الطَّعامِ اللّذيذةِ."

فَهِمَ النّاسُ ما يَقصِدُهُ عبدُ السلام، وأدركَ القاضي خَطَأَه، وخَجِلَ حَسّابٌ، وَشَكَرَ صاحِبَ الدَّعوةِ عَلَى كلماتِه، وأعلَنَ أمامَ الجميع أَنَّ بَدرًا أَصبَحَ مالِكًا للأرضِ والبَيتِ والغَنَم. عندَ ذَلِكَ أَمَرَ عبدُ السلام بتقديم الطَّعام، وَبَدَأَ الحفلُ السّعيد.

٤- في سَبيلِ الوَطَن

احتَلَّ الأَعداءُ أَحَدَ البِلاد، وتَجَمَّعَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ الثُّوّارِ لِمحُارَبَتِهِم وَطَرْدِهِم. أَقامَ الثُّوّارُ في الجِبالِ حَيثُ يَصعُبُ عَلَى الأعداءِ أَن يَصِلوا إِلَيْهِم. وَكانَ الثُّوّارُ يُهاجِمونَ جُنودَ العَدُوِّ بَينَ يَومٍ وآخَر وَيَقتُلونَهُم.

وَكانَ رَجُلٌ وابنُهُ يَنقُلانِ الطَّعامَ والمؤَنَ إِلَى الثُّوّارِ في الجِبال. وَذاتَ يَومٍ، كانَ الرَّجُلُ وابنُه يَقصِدانِ مَكانَ الثُّوّارِ في الجِبال، وَمَعَهُما حِمارُهُما يَحمِلُ الطَّعامَ والمُؤَنَ عَلَى ظَهرِه. فَجأَةً أَحلَطَت بِالرَّجُلِ وابنِه مَجموعَةٌ مِن جُنودِ الأَعداءِ، وَقَبَضَوا عَلَيهِما، وَاقتادوهما إِلَى ضابط التحقيق. وَقَفَ الرَّجُلُ وابنُه أَمَامَ الضّابِطِ في عِزَّةٍ وَشجاعَة. طَلَبَ الضّابِطُ مِنَ الرَّجُلِ أَن يَدُلَّهُم عَلَى مَكانِ الثُّوّار، وَهدَّدَهُ بِأَنَّهُ سَيُعَذِّبُهُ هُوَ وابنَه إِلَى أَن يَذْكُروا مَكانَهُم.

طَلَبَ الرَّجُلُ مِنَ الضّابِطِ أَن يَقتُلَ ابنَهُ أَوَّلاً، وَوَعَدَهُ بأَنَّهُ سَيَذكُرُ لَهُ أَماكِنَ الثُّوّار. تَعَجَّبَ الضّابِطُ وَسَأَلَ الرَّجُلَ: "أَلَيسَ لَدَيكَ قَلبٌ؟. كَيفَ تَطلُبُ مِنّي قَتْلَ ابنِك؟!" قالَ الرَّجُلُ: "أَخشَى أَن يُخبِرَ ابني الثُّوّارَ أَنَّ أَباه هُوَ الَّذي دَلَّكُم عَلَى أماكِنِهِم."

قَتَلَ الضّابِطُ الوَلَدَ أَمامَ أَبيه. ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ أَن يَذكُرَ لَهُ أَماكِنَ الثُّوّار. رَفَضَ الرَّجُلُ أَن يَقولَ كَلِمَةً واحِدَةً، وَقالَ لِلضّابِطِ: "والآنَ اقتُلني كَما قَتَلتَ ابني."

زادَ عَجَبُ ضابِطِ العَدوِّ مِن كَلامِ الرَّجُلِ، وَقالَ لَهُ: لماذا طَلَبتَ مِنّي قَتلَ ابنِكَ إِذَن؟!" أَجابَ الرَّجُلُ: "كُنتُ أَخافُ – إِن قَتَلتَني أَوَّلاً – أَن يَضعُفَ ابني أَمامَ تَعذيبِكم، وَيُخبِرَكُم بِمَكانِ الثُّوّار ... أَمّا الآنَ – وَقَد قُتِلَ ابني قَبلي – فَأَنا مُطمَئِنٌّ إِلَى أَنَّهُ لَم يَخُنْ وَطَنَهُ، وَأَنَّكُم مَهما عَذَّبتُموني فَلَن تَنالوا مِنّي شَيْئًا، وَلَن أُخبِرَكُمْ بِأيِّ شَيْء."

٥- الدّعواتُ الطيِّبَةُ

كانَت لَيلَى بنتًا صَغيرَةً تَقْضِي وَقتَها في اللَّعِبِ بالعَرائِس وَذاتَ يَومٍ أَرادَت أَن تُفَصِّلَ لِعَرائِسِها فساتينَ جَميلة، فَطَلَبَت الملابِس، فأرسَلَت لَيلى إلى جارَةٍ تعمَلُ خَيّاطَة. كانت لَيلَى سَعيدةً وَهِيَ تَتَعَلَّمُ التفصيل.

لكنْ ماتَت الأُمُّ فَجأَة، فَحَزِنَت عَلَيها لَيلَى حُزنًا شديدًا طَلَبَت الجارَةُ مِن لَيلَى أن تأتِيَ إلَيها كُلَّ يوم وَتُواصِلَ درُوسَ التفصيل. ظَلَّتِ الخيَّاطَةُ تَتَودَّدُ إِلَى لَيلَى، وَتُحسِنُ معامَلَتَها حَتَّى تَطَلُبَ مِن أَبيها أن يَتَزَوَّجَ بِها.

وافَقَ الأبُ عَلَى الزواجِ مِن جارَتِه الخَيّاطَةِ لما وَجَدَ أنَّ ابنتَهُ تُحِبُّها. مَرَّتِ الأيامُ وتحوَّلت الخَيَّاطَةُ إلى زَوْجَةِ أبٍ قاسِية. ثُمَّ أنجَبَتِ بِنتًا أقلَّ جَمالاً مِن لَيلَى. عِندَئِذٍ زادت قَسْوَتُها عَلَى لَيلَى، وَساءَت مُعامَلَتُها لَها.

لَم يَكُن عِندَ لَيلَى المِسكينَةِ مِن صَديقٍ مُخلِصٍ في البَيْت غَيْرُ بَقَرَةٍ صَفراءَ جَميلَة. كانَت لَيلَى تُقَدِّمُ لَها الطَّعامَ والماء، وَتُنَظِّفُها وَتَحلُبُ لَبَنَهَا. وَكُلَّما شَرِبَت لَيلَى مِن لَبَنِها زادَ جمالَها. اغتاظَت زوجةُ الأب، وَفَكرَّت في حيلَةٍ تَتَخَلَّصُ بِها مِنَ البَقَرة. فادَّعَتَ المَرَض، وَأخبَرَت زَوجَها والِدَ ليلَى أَنَّ العَرّافَةَ قالَتَ لَها إنَّهُ لَن يِشفِيهَا مِن هَذا المرَضِ الخَطيرِ إلاَّ أكلُ كَبدةِ بَقَرَةٍ صَفراء، وَذَكَرَتْ لَهُ أوصافَ بقرةِ لَيلَى. سَمِعَ والِدُ لَيلَى كَلامَ زَوجَتِهِ، وَقَرَّرَ أَن يَذبَحَ البَقَرة.

حَزِنَتْ لَيلَى وَظَلَّت جَالِسَةً إلَى جِوارِ بَقَرَتِها تَبكي. سَمِعَت لَيلَى البَقَرةَ تقولُ لها: "لا تبكي وَلاَ تحزَني يا صَغيرَتي. بعدَ ذَبحي خُذي عِظامي وادفِنيها في التُّراب ... واسقيها كُلَّ يَوم .. وَبَعدَ شَهرٍ ستُنبِتُ شَجَرَةً طَيِّبَة ... وَإذا رَعَيتها واعتَنَيْتِ بِها فَسَوف تَحْصُلِينَ مِنها علَى ثَمَرٍ لَذيذ، سَيَكونُ طَعامًا شهيًّا لكِ ... يَزيدُ مِن جمالِك وبهائِك، وسيكونُ - في الوقتِ نفسه - سُمًّا لِزَوجَةِ الأبِ وابنتِها ... يَزيد مِن قبحِها وَدَمامَتِهَا."

خَفَّفَ هذا الكلامُ مِن حُزنِ لَيلَى، وانتظرت حَتَّى ذَبَحَ أبوها البَقَرةَ، فأخذت عِظامَها وَدَفَنَتها في خَرَفِ حَديقة المنزل، وَتَولَّتها بالعِناية والرِّعايةِ حَتَّى نَبتَت مِنها الشجرةُ الطيِّبَةُ التي وَجَدَت فيها لَيلَى صَديقَةً مخلِصةً – تشكو إليها حالَها فتخَفِّفُ عَنْها، وتَسألُها عَن كُلِّ ما لا تَعْرِفُ فَتُجيبُ عَن أسئِلَتِها، وَتَستَشيرُهَا في أمورِ الدُّنيا وتَعملُ بِنَصائِحِها.

زادَ غَيْظُ زوجَةِ الأبِ مِن لَيلَى، وَأَخَذَتْ تُفَكِّرُ في خُطَّةٍ لِتَتَخَلَّصَ مِنها. وَذاتَ يَومٍ قالَت زَوجَةُ الأبِ: "اِذهَبي يا لَيلَى إلَى أُمِّنا الغولة، وَأَحضِري مِنها المنخُلَ فأَنا في أَشَدِّ الحاجَةِ إليَه."

قَبَل أَن تَبدَأَ لَيلَى رِحلَتَها إلَى أُمِّنا الغولَة أَخَذَت مَعَها قُلَّةَ ماءٍ لِتَشرَبَ في الطَّريق، وَمُشطًا لِتُصَفِّفَ شَعرَها، ثم سارَت في خَريقِها. وبَعدَ قَليلٍ قابَلَ لَيلَى الوردُ الأحمَرُ. اِقترَبَت لَيلَى مِنَ الوَردِ الأحمَرِ لِتَشُمَّ رائِحَتهُ الذَّكيَّة، فطَلَبَ مِنها بَعضَ الماءِ لِيرتوي، فَرَوَتهُ لَيلَى مِن ماءِ القُلَّة. فَرِحَ الوَردُ الأحمَرُ وَدَعا لِلَيلَى قائِلاً: "رَبُّنا يَجعَلُ اِحمِراري في خَدَّيكِ، وَلا يَجعَلُهُ في عَيْنَيْكِ"

سارت لَيلَى قَليلاً فَقابَلَت الباذِنجانَ الأسودَ. خَلَبَ الباذِنجانُ مِن لَيلَى أن تَسْقِيَهُ فَسَقَتْه. سُرَّ الباذِنجانُ وقالَ لِلَيلَى: "رَبُّنا يَجعَلُ سَوادي في شَعرِكِ، ولا يَجعَلُهُ في خَدَّيْكِ"

سارت لَيلَى مسافَةً خَويلَةً، فَقابَلَتها النَّخلَةُ، وَخَلَبَت هِيَ الأُخرَى مِن لَيلَى أَن تَروِيَها بالماءِ فَفَعَلَت. قالَتِ النَّخلَةُ: "رَبَّنا يَجعَلُ خولي في شَعرِكِ وَلا يَجعَلُه في رِجليْكِ"

بِهَذِهِ الدَّعواتِ الطَّيِّبةِ سارَت لَيلَى في خَريقها حتى وصلتَ إلى بَيتِ أمّنا الغولة، فَوجَدَتها تَجلِسُ في الشَّمسِ أمامَ الباب، وَقَد نَكَشَت شَعرَها وَفَرَدَتهُ فَوقَ كَتِفَيْها. كانَ مَنظَرُ أُمِّنا الغولَةِ مُخيفًا، لَكِنَّ لَيلَى تَقَدَمَتَ نَحوَها، وَحَيَّتها في أدَب، وَخَلَبَت المنخُلَ. قالت أمُّنا الغولَة: "قَبلَ أَن أُحضِرَ لَكِ المنخُلَ أُريدُكِ أَن تُمَشِّطي شَعري".

أَخرَجَت لَيلَى المُشطَ مِن جَيبِها بِسُرعَة، وَأَخَذَت تُمَشِّطُ شَعرَ أُمِّنا الغولَة. كانَ شعرُهَا مُجَعَّدًا صَعبَ التَّمشيط، لكنَّ لَيلَى وَاصَلتْ عَمَلَهَا فِي صَبْرٍ وَنَفْسٍ. فَرِحَتْ أُمِّنا الغولَة بما فَعَلَتهُ لَيلَى، وَأَنزلَتها في بِئرٍ وَنادَت:

"يا بِئرُ .. يا بِئرُ .. أَلبسيها أَساورَ مِن ذَهَب ...

يا بِئرُ .. يا بِئرُ .. أَلبسيها عُقودًا مِن لُؤلُؤ ...

يا بِئرُ .. يا بِئرُ .. أَلبسيها خَواتِمَ مِن ماس ..."

خَرَجَت لَيلَى مِنَ البِئرِ مُزدانَةً بالذَّهَبِ واللُّؤلُؤ والماس، وأَعطَتها أمُّنا الغولَةُ المنخُلَ ... وَوَدَّعَتْها. سارت لَيلَى عائِدةً إلى بَيتَها سَعيدَةً مَسرورَة. وفي الطَّريقِ قابَلَها الأَمَيرُ ابنُ السَّلطان، فأُعجِبَ بِها وَخَطَبَّها لِنَفسِه.

وَصَلَتْ لَيلَى إِلَى بيتِها فَدُهِشَت زَوجَةُ الأَبِ كَيفَ تَعودُ سالِمَةً بالمُنخُل. وَتَعَجَبَّت مِن تَوَرُّدِ خَدَّيها، ومن سَوادِ شَعرِها، ومِن كُلِّ هَذا الذَّهَبِ والماسِ واللُّؤلُؤ الذَي على صَدْرِها وَيَدَيها. قَصَّت لَيلَى قِصَّتَها عَلَى زَوجَةِ الأَبِ فَقَرَّرَت أَن ترسِلَ ابنتَها إِلَى أمِّنا الغولَةِ حَتّى تَفوزَ هِيَ الأُخرَى - بِمِثِل هَذِه الهدايا الغالِيَة.

سارَتِ الفتاةُ في خَرِيقِها إِلَى أمِّنا الغولَة، فقابَلَهَا الوَردُ الأَحمَر، وَخَلَبَ مِنها بَعضَ الماءِ لَكِنَّ الفَتاةَ رَفَضَت أَن تَسقِيَهُ نُقطَةً واحِدَةً. غَضِبَ الوَردُ الأَحمَرُ وَقالَ: "رَبُّنا يَجعَلُ إحمراري في عَيْنَيْكِ، وَلا يَجعَلُهُ في خَدَّيْكِ." وَفي الحالِ صارَتْ عَيناها حَمراوَيْنِ مِثلَ الدَّم.

وَاصَلَت الفَتاةُ سَيْرَها فَقابَلَها الباذِنجانُ الأَسوَدُ، وَخَلَبَ مِنها بَعضَ الماءِ ليرتويَ، فَلَم تَقبَل. غَضِبَ الباذِنجانُ الأَسَودُ وَدَعا عَلَيها قائِلاً: "رَبَّنا يَجعَلُ سَوادي في خَدَّيْكِ، ولا يَجعَلُه في شَعرِك." وَفجأةً صارَ خَدّاها أَسوَدَين مِثلَ الفَحم.

اِستَمَرَّتِ الفتاةُ في سَيْرِها فَقابَلَتَها النَّخلَة. خَلَبَت مِنها النخلةُ أَن ترويَها بالماءِ لكنَّ الفتاة سارَت في خَرِيقِها كأنهَّا لَم تَسمَع شَيْئًا. عِندَ ذَلِكَ غَضِبَتْ

النخلةُ وَدَعَت عَلَيها وقالَت: "رَبُّنا يَجعل خـولى في رِجلَيْكِ، ولا يَجعَلُهُ في شَعرِك" فَطالَت رجلاها وَصارَتا رفيعَتَيْنْ.

وصَلَتِ الفَتاةُ إلَى أُمِّنا الغولَة فَطَلَبَت مِنها أَن تُمَشِّطَ شَعْرِها. نَظَرَت الفتاةُ إلَيها باشمئزاز، وَرَفَضَت أنَ تَفعَلَ شَيئًا.. غَضِبَت أُمنا الغولَة، وَأَمسَكَت بِالفتاةِ، وَألقَت بِها في البِئرِ وَقالَت: " يا بِئرُ .. يا بِئرُ .. اكسيها بكُلِّ أنواعِ الحَشَراتِ..."

رَجَعَتِ الفَتاةُ إلى أُمِّها بِهذا المَنظَرِ المُفزِع، فَأخَذَت أُمُّها تَلطُمُ خَدَّيها وَلا تحاوِلُ الاقتِرابَ مِنها حَتَّى لا تَنتَقِل إلَيها الحَشَراتُ المُؤذِية.

وَلَم تَمْض أيامٌ حَتَّى تزَوَجَّت لَيلَى مِن ابنِ السُّلطان، وعاشَ الاثنان مَعًا في سَعادَةٍ وَهَناء.

٦- الشَّمعَةُ

كـانَ لِـرجُلٍ وَلَدان: أَمجَدُ وأَيمَنُ. اعتَنَى بِهِمَا، وأحسَنَ تَربيتَهما. وذاتَ يَومٍ أَرادَ الأبُ أن يمتحِنَ ذَكاءَهما، فأعطَى كُلَّ واحِدٍ منهُما بَعضَ النُّقود، وطَلَبَ منه أن يشتَرِيَ به ما يَملأُ غُرفَةً مِن غُرَفِ البيت.

ذَهَبَ أَمجَدُ إلى السّوق، وَفَكَّرَ طَويلاً وَبَحَثَ كَثيرًا، وتجوّلَ في أنحاءِ المكان، يَسألُ عَنِ الحاجات، وَيَستَعلِمُ عَنِ الأسعارِ والأثمان. فَرَأَى أَنَّ التِّبنَ أَرخَصُ ما في السّوق، فاشتَرَى بِكُلِّ ما أَعطاهُ والِدُهُ من نُقودٍ أكوامًا مِنَ التِّبن، واستَأجَرَ عَرَبَةً حَمَّلَ عَلَيها التِّبنَ، وسارَ بها إلىَ البيت، ثُمَّ مَلأَ بِهِ إحدَى غُرَفِه.

وذَهَبَ أَيمـنُ إلَى السّوق، واشتَرَى شَمْعَةً واحِدَة، وَلَم يَدفَع فيها إلاّ قَدرًا قَليلاً مِنَ النُّقودِ الَّتي أعطاها لَهُ والِدُه، وَوَفَّر الباقي.

رَجَعَ الأَبُ مِن عَمَلِهِ في المساء، فَرَأى أنَّ ابنَه أَمجَدَ قَد مَلأَ غُرفَةً بالتِّبن، وَلما سارَ إلَى الغرفِة الأُخرَى وَجَد ابنَه أيمَنَ قَد وَضَعَ شَمعةً في وَسَطِ الغُرفَة، وأشعَلَها، وَمَلأَ الغُرفَةَ كُلَّها بالنّور.

٧- حَيُّ بنُ يَقظان

(١)

كـانَ مَلـكٌ ظـالِمٌ يَحكُـمُ إحـدَى الجُـزُر، وكـانَ هَـذا المِلِـكُ مَحـرومًا مِـنَ الأولاد، فَلَـم يَـرزُقهُ اللهُ بِطِفِـلٍ يَـصيرُ مَلِكًـا مِـن بَعـدِه. لِذَلِكَ كانَ يَنتَظِرُ ميلادَ أوَّلِ طِفـلٍ مِـن أُسـرَتِهِ لِيَقـتُلَه، فَقَـد كـانَ المِلِـكُ يَخـشَى أن يَكبَـر الطِّفلُ، وَيَنال حُبَّ النّاسِ، فَيَتَخَلَّصوا مِن المِلِكِ الظالِمِ، وَيَجعلوهُ مَلِكًا عَلَيهِم بَدَلاً مِنه.

وكـانَ لِلمَلِكِ أُختٌ جَميلةٌ تَزَوَّجَت مِن رَجُلٍ اسمُهُ يَقظَان. وَلَدَت الأُختُ وَلَـدًا، فَخافَـت مِـن أَخيها المَلِكِ عَلَى وَلَدِها. فَأَرضَعَته حَتَّى شَبِع، وَوَضَعَته في صُـندوق، ثُـمَّ تَـرَكَتهُ عَلَـى شـاطِئِ البَحـرِ لِـتأخُذَهُ الأَمـواجُ إلى إحـدى الجُـزُر. نَظَرَتِ الأُمُّ إلَى ابنِها في الصُّندوق، وَهُوَ يَبتَعِدُ شَيئًا فَشَيئًا، وَوَدَّعَتهُ وَهيَ تَبكِي وَتَقـولُ: "يـا رَبّي ... لَقـد رَزَقتَني بِهذا الطِّفلِ الجَميل .. وأنا – الآنَ – أُسَلِّمُهُ لَكَ .. لِتَرعاهُ، وَتَحمِيَهُ، وَتَحفَظَهُ مِنَ الأخطار."

دَفَعَـتِ الأَمـواجُ الـصُّندوقَ حَتَّى وَصَلَ إلى شاطِئِ الجَزيرَةِ الأُخرَى. واستَقَرَّ الـصُّندوقُ بَينَ الأَشـجارِ الّتي عَلَـى الـشّاطِئ. وَبَعـدَ وَقـتٍ قَـصيرٍ شَعَـرَ الطِّفـلُ بِالجوعِ الشَّديد، وَأَخَذَ يَبكي.

كانـتِ الجَزيرَةُ خالِيَةً مِنَ النّاسِ فَلَم يَسمَعهُ أَحَد. اِشتَدَّ بُكاءُ الطِّفلِ فَسَمِعَتهُ ظَبْيَةٌ كانَـت قَـد فَقَـدت وَلـيدَها الَّذي خَطَفَـهُ النَّسر، وَطارَ بِهِ بَعيدًا. حَسبَت الظَّبـيةُ الـبُكاءَ صَـوتَ وَلـيدِها. وَأَخَـذَت تَقتَـربُ مِـن مَـصدَرِ الـصَّوت حَتَّـى وَصَلَت إلَـى الـصُّندوق. نَظَرَت الظبـيةُ في الـصُّندوق فَـوَجَدَت الوَلـيدَ يَبكـي. عَطَفَـت الظَّبـيةُ عَلَـى الوليـدِ الـضّعيفِ، وَسَقَتهُ مِن لَبَنِها، وَأَخَـذَتْ تَعْتَنِـي بِـهِ، وَتُحافِظُ عَلَيهِ مِن كُلِّ أَذًى.

(٢)

كانَتِ الجَزيرَةُ الّتي عاشَ فيها حَيٌّ وأمُّه الظَّبيَةُ كَثيرَةَ الخَيراتِ مُتَنَوعَةَ الثِّمار، خالَيَةً من الوَحوشِ المفترسَة. كَبِرَ حَيٌّ وبَلغَ الثانِيَةَ مِن عُمره، وَقوىَ جِسمُه، وَظَهرَت أَسنانُه وَتَعلَّمَ المَشي. فكانَ يَسيرُ خَلفَ أُمِّه الظَّبيةِ وَيَتَبعُها في كُلِّ مَكان، وَيَأكُلُ مِن ثمراتِ الشّجَرِ اللّذيذَةِ، أَو يشربُ مِن عُيونِ الماءِ المنتَشِرَةِ في الجزَيرة.

لَم يَكُن حَيٌّ يتكلَّمُ مِثلَ بَقِيَّةِ النّاس، وإنّما كانَ يُقَلِّدُ صَوتَ أُمِّهِ الظَّبيَةِ وأصواتَ الحَيَوَاناتِ الأخرى الأَليفِةِ الّتي كانَت تَعيشُ مَعَهُ في الجَزيرَة. وَبِمرُورِ الأيّامِ بَدأَ حَيٌّ يُفَكِّرُ في كُلِّ ما يَراهُ حَولَهُ .. السَّماء .. والبَحر .. والأَشجار .. والثِّمار .. حَتَّى بَلَغَ الثّامِنَةَ مِن عُمره. نَظَرَ حَيٌّ إلَى الحَيَوَاناتِ حَولَهُ فَرَأى بَعضَها يُغَطّيها الوَبَر. وَرَأى الطُّيورَ يَكسوها الرّيش. وَكانَ هُوَ عَاريًا لا يُغطّي جِسمَهُ شَيءٌ.

قَطَعَ حَيٌّ بَعضَ أَلياف الأَشجارِ وَفَتَلَها وَصَنَعَ مِنها خُيوطًا، وَضَفَّرَها حَتّى سارت قِطعةً كَبيرَةٌ غَطَّى بِها جِسمَهُ فَصارَت مَلابِسَهُ الّتي تَحميهِ مِنَ الحرِّ والبَرد. قَطَعَ حَيٌّ غُصنًا مِن أَغصانِ الشَّجرِ وَسَوّاه وَصَنَعَ منه عَصًا قَوِيَّة. أدرَكَ حَيٌّ أَنَّ لِيَدَيْهِ فائِدَةً عَظيمَة، فَهُوَ يَستطيعُ أَن يَصنَعَ بِها أشياءَ كثيرةً نَافِعَةً.

كَبِرت الظبيةُ أُمُّ حَيٍّ وَصارَت عَجوزًا ضَعيفَةً.. تَمشي بِبطْء، وَلا تَقوَى عَلَى العَمَل. فكانَ حَيٌّ يَجمَعُ لَها العُشبَ والثَّمرَ لِتَتَغَذَّى بِه، وَيَملأُ لَها الوعاءَ بِالماءِ لِتَشرَب. وفي يَومٍ أَخَذَتِ الظَّبيَةُ الأمُّ تَرتَعِشُ فَجأَة، ثُمَّ تَوقّفتْ رَعْشَتُها، وَسَقطَتْ عَلَى الأَرضِ بِلا حَرَكَة.

(٣)

اِضطَرَبَ حَيٌّ وَأَخَذَ يُنادي أُمَّه الظَّبيَةَ لِتَصحُوَ، لَكِنَّها لم تَتَحَرَّك. فَكَّرَ حَيٌّ فيما حَدَثَ لَها وأدرَكَ أنَّ لِكُلِّ شَيءٍ نِهايَة. جلس حَيٌّ بِجِوارِها يَبكي يَومًا وَلَيلَةً، لا يَدري ماذا يَصنَعُ. وَبَينَما هوُ مَشغولٌ بِحُزنِه، أقبَلَ غُرابان يَتَقاتَلان، فَقَتَل أَحَدُهما الآخَر. بَدَأَ الغُرابُ المُنتَصِرُ يَحفِر الأَرضَ .. وَيَحفِر .. حَتَّى أَصبحَت لَدَيهِ حُفرةٌ تَكفي جِسمَ الغُرابِ القَتيل. دَفَعَ الغُرابُ زَميلَهُ الميِّتَ بِمنقاره حَتَّى سَقَطَ في الحُفرَة، ثم غَطّاهُ بالتُّراب. فَهِمَ حَيٌّ الدَّرسَ وَعَرَفَ كَيفَ يَدفِنُ المَيِّتَ. حَفَرَ حَيٌّ حُفرةً تَتَّسِعُ لأُمِّهِ الظَّبيَة، ثُمَّ وَضَعَها فيها، وَغطّاها بالتُّراب.

مَرَّتِ الأَيّامُ، وَعَرَفَ حَيٌّ أَشياءَ كَثيرَةً مِن غَيرِ مُعَلِّم. وَعَرَفَ كَيفَ يَصطادُ الحيواناتِ، وَكَيفَ يَصنَعُ لِنَفسِهِ غِطاءً لِجِسمِهِ مِن جُلودِها، ثُمَّ قَطَعَ جُذوعَ الشَّجر، وَبَنَى لِنفسِهِ كوخًا يَحميهِ مِنَ الحَرِّ والبرَد، وَرَبَّى بَعضَ الطُّيور، وَكَانَ يَأكُلُ لُحومَها وَبَيضَها. واستَأنَسَ عَدَدًا مِنَ الخُيولِ الوَحشِيَّة، وَرَكبها، فَكانت تَنقُلُهُ مِن مَكان إلى مَكان بِسُرعَة، وَمِن غَير تَعَبٍ أو مَشَقَّةٍ.

وفي أَحَدِ الأَيّام الحارَّة، رَأَى حَيٌّ كَوْمَةً مِنَ الأعشابِ الجافَّة تَحتَرِق. فاقتَربَ مِنها، وحاولَ لمسَها، فاحترَقَت أصابِعُه، فَأَمسَكَ بغُصنِ شَجَرَة، وقَرَّبَهُ منها، فاشتَعَلَ. وَمُنذُ تِلكَ اللّحظةِ عَرَفَ حَيٌّ النّار، وَتَعَلَّمَ كَيفَ يُنضِجُ بِها لَحومَ الحَيوَاناتِ الّتي يصطادُها، فَتصيرُ أَسهَلَ في المَضغ، وَأَلَذَّ في الطَّعم، وكانَ يُشعِلُ النارَ بِجِوارِ كوخِهِ يَستَدفِئُ في البَرد، وَيَأمَنُ خَطَرَ الحيواناتِ.

بَدَأَ حَيٌّ يفكِّرُ في وحدَتِه، وَينظُرُ إلَى المخلوقاتِ الّتي حَولَه. فَقَد رَأَى الحيواناتِ تَتَحَرَّكَ عَلَى الأرض والطُّيورَ تَطيرُ في السَّماء، والأسماكَ تَسبَحُ في الماء. ثم نَظَرَ حَيٌّ بنُ يَقظانَ إلَى نَفسِهِ فَوَجَدَ أَنَّه يَختَلِفُ عَنها جَميعًا.

(٤)

وَذاتَ يَومٍ تَساءَلَ حَيٌّ: "أَنا صَنَعتُ المَلابِسَ مِن جلدِ الحيوانات الّتي اصطَدتُها، وَبَنَيتُ كَوْخِي من فُروع الأَشْجَار، فَمَن الّذي صَنَعَ كُلَّ ما حَولي؟ مَن الّذي صَنَعَ تِلكَ الأنواعَ الثلاثة. مَن الّذي صَنَعَ السماءَ والشمسَ الّتي تُنيرُ بِالنَّهارِ والقَمَرَ والنّجوم التي تَظهَرُ باللّيل؟ إنَّ هَذِهِ الأشياءَ والحَيوَاناتِ والطُّيورَ والنباتاتِ لا يمُكِنُ أن توجِدَ نَفسَها. فَهيَ تعيشُ وَتموتُ، وَيأتي مَكانَها مَخلوقاتٌ أخرَى .. وَحتَّى الشَمس، والقَمَر، والنُجوم تَظهَرُ وتختفي.

فَهِمَ حَيٌّ بِعَقْلِهِ وتَفكيرِهِ أنَّ هُناكَ صانِعًا عَظيمًا لِهذِهِ الأشياءِ أكبرَ وأعظمَ وأقوَى وأقدَرَ مِنها جَميعًا. وَحينَ بَلَغ الخامِسةَ والثَّلاثينَ مِن عُمرِهِ كانَ قَد عرفَ اللّهَ بِقلبِه، وَأَخَذَ يَعبُدُهُ ويُفكِّرُ فيه، وَيَذكُرُهُ طول الوَقت. أخيرًا اهتَدَى حَيٌّ إلَى الدّينِ بعقلِه، وَكانَ يَقْضِي مُعظَمَ وقتِهِ في العِبادَة.

وعندَما بَلَغَ حَيٌّ الخمسينَ مِن عُمره، التَقَى في الجزيرَةِ بإنسان آخَرَ.. كانَ اسمُه أبسال. وكانت لأبسالَ قِصَّةٌ عَجيبَة. فَقَد كانَ يَعيشُ في جزيرَةٍ قَريبةٍ مسكونةٍ بِالنّاس، وكانَ أَهلُ الجزيرَةِ يؤمِنونَ بأحَدِ الأَديانِ السَّماوية، وَيعبدُونَ اللهَ، وَكانَ أبسالُ رَجُلاً صالِحًا. وذاتَ مَرَّة سَمِعَ أَبسالُ عَن الجزيرَةِ الّتي يعيشُ فيها حَيٌّ وَظَنَّ أنَّها جَزيرةٌ مَهجورَةٌ لا يَسكُنُها أَحَد. فَفَكَّرَ في الانتِقالِ إلَيها لِيقضِيَ فيها بَقيَّةَ عُمره، وَيَعبُدَ الله، ولا يَنشَغِلَ عن عِبادَتِه بأَحَدٍ مِنَ النّاس. جَمَعَ أَبسالُ كُلَّ ما لَدَيهِ مِن مال، واستَأجَرَ به مَركَبًا حَمَلَهُ إلَى الجزيرَة، وَتَرَكَهُ عَلَى شاطِئِها وَرَجَعَ. عاشَ أَبسالُ عَلَى الجزيرَةِ بَعضَ الوَقت، يَأكُلُ مِن ثمراتِها لِيَسُدَّ جوعَه، ثُمَّ يَتَفَرَّغ إلى عِبادةِ الله.

(٥)

وَذاتَ يَومٍ تَقَابَلَ حَيٌّ بنُ يَقظان وَأبسال، وكانت المُفاجَأَةُ لِكُلٍّ مِنهمَا. ظَنَّ أَبسالُ أَنَّ حَيَّ بنَ يقظانَ رَجُلٌ مِثله... تَرَكَ الحياةَ بينَ النّاسِ، وهاجَرَ إِلَى هَذِهِ الجزيرَةِ الخاليةِ ليَعبُدَ الله كَما فَعَلَ هُو. ودَهِشَ حَيٌّ عِندَما رَأى أبسال، وأَخَذَ يَنظُرُ إلَيه في صَلاتِه، وَيَسمَعُهُ يَدعو الله بِكلامٍ لا يَعرفُه.

اقتربَ أبسالُ مِن حَيٍّ وأَخَذَ يَتَحَدَّثُ مَعَهُ بِكُلِّ اللُّغاتِ الّتي يَعرفُها مِن غَيرِ فائِدَة. فَكانَ حَيّ يَنظُرُ إلَيه باستِغراب وَلا يَفهَم مِن كَلامِهِ شَيئًا، وَلا يَرُدُّ بِكَلَمَةٍ واحِدَة. بَدَأَ أَبسالُ يُعَلِّمُ صَديقَهُ الجَديدَ أَسماءَ الأشياء. يُشيرُ إلَى الشَّجَرَة ويَقول: "شجرة" وإلَى الأَرضِ وَيَقول: "أَرض"، وإلَى الطائِر ويقول: "خائِر". أخيرًا عَرَفَ حَيٌّ الأسماءَ كُلَّها. وَبعدَ فَترةٍ مِنَ الزَّمَن كانَ حَيٌّ يَفهُم ما يَقولُهُ أَبسالُ، وَيَتَعلَّمُ كَلِماتٍ جَديدةً كُلَّ يَوم.

قصَ حَيٌّ عَلَى أبسالَ قِصَّتَه، وَعَلَّمَ أبسالُ حَيَّ بنَ يَقظان الصَّلاةَ والصَّومَ والدُّعاءَ لله كما جاءَت في الأديانِ السَّماويَّة. كانَ حَيٌّ يُصَلّي مَعَ أبسال وَيَصومُ مَعَهُ وَ يدعو الله. أحبَّ حَيٌّ أبسالَ حينَ تَعَلَّمَ مِنهُ اللُّغَةَ والدّين، وأَحَبَّ أبسالُ حَيَّ بنَ يقظان حينَ عَرَفَ أَنَّهُ قَد أَدرَكَ بِعَقلِهِ وَحدَه أَنَّ الله خالِقُ كُلِّ شَيء. طَلَبَ أبسالُ من حَيٍّ أَنْ يَذهَبَ مَعَهُ إلَى جَزيرَتِهِ الأولَى لِيُقابِلَ النّاسَ وَيَعيشَ مَعَهُم. فَوافَقَ حَيٌّ.

رَجَعَ الصّديقانِ إلَى جَزيرَةِ إبسال، وَسَمِعَ النّاسُ قِصَّةَ حَيٍّ بن يَقظان. الّذي تَوَصَّلَ إلى عِبادَةِ الله وَحدَه، واهتَدَى بنفسِهِ إلَى أَنَّ الله خالِقُ كل شَيء. قالَ النَاسُ: "سُبحانَ الله!! إنَّ أعظَمَ ما وَهَبَ اللهُ الإنسانَ هُوَ العَقل... نَعَم.. العَقل."

٨- يا لَيْل ... يا عَيْن ...

خارَ غرابٌ وَغرابَةٌ فَوقَ أَحَدِ الحُقول. نَظَرَتِ الغُرابَةُ وَهِيَ تَطيرُ في الجَوّ، فَرَأَت حُزمَةً مِنَ البَرسيم. قالت الغرابَةُ للغُراب: "أنظُر... تِلكَ حُزمَةٌ مِنَ البرسيمِ الطازَج... ما رَأيُك؟ .. نَهبِطُ إلَيها لِنأكُلَ مِنها ... فأنا جَوعَانة.." قالَ الغُرابُ: "لا.. إياكِ أن تَفعَلي هَذا ... فَلَو رآكِ الذِّئبُ فَسَيَنْقَضُّ عَلَيكِ ويأكلُكِ."

لَم تَستمع الغُرابَةُ لِنَصيحَةِ الغُراب. غَضبَ الغُرابُ وَنادَى الذِّئبَ، وقالَ لَهُ: "تعالَ أَيُّها الذِّئبُ.. كُلْ الغُرابَةَ التي لم تَسمَعْ كَلامي.. وتريدُ أَنْ تأكُلَ البرسيم.." لَم يَكتَرثِ الذِّئبُ بكلامِ الغُرابِ، وانصرَفَ عَنه.

غَضِبَ الغُرابُ وَتَوَجَّهَ إلى السِّكين، وقالَ لَها: "تعالَيْ أَيُّها السِّكّين... اِذبَحي الذِّئبَ الّذي لا يُريدُ أَن يَأكُلَ الغُرابَةَ.. التي لم تسمع كَلامي... وتريدُ أَن تأكُلَ البِرسيم." لَم تَهتَمّ السِّكّينُ بما قَالَهُ الغُرابُ، وَسَخِرت مِنه.

ثارَ الغُراب، وَذَهَبَ إلَى النّار، وقالَ لَها: "تَعالَيْ يا نارُ... سَيِّحِي السّكين الّتي لا تُريد أَن تَذبَحَ الذِّئبَ .. الّذي لا يريدُ أَن يأكُلَ الغُرابَةَ التي لم تَسَمع كلامي.. وتريدُ أَن تأكُل البِرْسِيمَ.." اِنصَرَفَتِ النّارُ كَأَنَّها لم تَسمَعْ شَيئًا مما يقولهُ الغُراب.

اِغتاظَ الغُرابُ وَخارَ إلَى الغَدير القَريب، وقالَ لِلماءِ: "تَعالَ أَيُّها الماء.. أَخمِدي النّارَ الّتي لا تريدُ أن تُسَيِّحُ السِّكّين.. التي لا تُريد أَن تَذبَحَ الذِّئب.. الّذي لا يُريدُ أَن يأكُلَ الغُرابَة.. التي لَم تَسمَع كلامي.. وَتُريدُ أَن تَأكُلَ البِرسيم." واصَلَ الماءُ سَيرَهُ، ولم يَلتَفِت إلَى الغُراب.

غَضِبَ الغُرابُ وخارَ إلَى الجاموسَةِ، وقَالَ لَها: "تعالَيْ يا جاموسة... اِشرَبي الماءَ.. الذي لا يريدُ أَن يُطفِئَ النّارَ.. التي لا تُريدُ أَن تُسَيِّحَ السِّكّين.. التي لا تُريدُ أَن تذبَحَ الذِّئبَ.. الّذي لا يريدُ أَن تأكلَ الغُرابَة.. التي لم تَسمَع كلامي.. وتريدُ أنَ تأكُلَ البِرسيم.." لم تَستَمِعِ الجاموسَةَ إلى نِداءِ الغراب، وانشَغَلَت بتناوَلِ طَعامَها.

غَضِبَ الغُرابُ وَأَسرَعَ نَحوَ الحَبْل، وقالَ لَهُ: "تعالَ يا حَبلُ.. اُشنُقِ الجَاموسَةَ.. التي لا ترُيدُ أن تشرَبَ الماء.. الذي لا يُريدُ أَن يُطفِئَ النّار.. التي لا تُريدُ أَن تُسَيِّحَ السِّكينَ... التي لا تُريدُ أن تَذبَحَ الذِّئبَ.. الذي لا يُريدُ أَن يَأكُلَ الغُرابَةَ.. الّتي لم تَسمَعْ كَلامي.. وتريدُ أَن تَأكُلَ البِرسيم.." لم يكتِرث الحبلُ بطَلَبِ الغُراب.

نادَى الغُرابُ الفأرَ وقالَ لَه: "تعالَ يا فَأر... اُقرُضِ الحَبل.. الّذي لا يُريدُ أَن يَشنُقَ الجاموسَةَ.. الّتي لا تُريدُ أن تشربَ الماءَ.. الّذي لا يريدُ أَن يُطفِئَ النارَ... الّتي لا تُريدُ أن تُسَيِّحَ السِّكّين.. التي لا تُريدُ أن تَذبَحَ الذِّئبَ .. الّذي لا يُريدُ أَن يَأكُلَ الغُرابَةَ ... الّتي لَم تَسمَعْ كَلامي.. وتريدُ أَن تَأكُلَ البِرسيم.." لَم يَأبَهِ الفَأرُ بِكَلامِ الغُرابِ وسار في طريقه.

تقدّمَ الغرابُ من القط، وقال له: "تعالَ يا قِطّ. كُلْ الفَأرَ. الّذي لا يُريدُ أَن يَقرِضَ الحَبلَ.. الّذي لا يُريدُ أَن يَشنُقَ الجاموسَة.. التي لا تُريدُ أَن تَشرَبَ الماء.. الّذي لا يُريدُ أَن يُطفئَ النّار.. الّتي لا تُريدُ أن تُسَيِّح السِّكّين.. الّتي لا تريدُ أَن تذبَحَ الذِّئبَ.. الّذي لا يُريدُ أن يأكُلَ الغُرابَةَ.. التي لم تَسْمَع كَلامي.. وَتُريدُ أَن تَأكُلَ البِرسيم.."

سَمِعَ القِطُّ نِداءَ الغُرابِ وَقالَ: "يَا لَيْلُ .. يا عَيْنُ.. أنَا سآكُلُ الفَأرَ." خافَ الفأرُ وقالَ: "يا لَيْلُ .. يا عَينُ.. وَأَنا سَأقرِضُ الحَبل.." خافَ الحبلُ وَقال: "يا لَيْلُ .. يا عَيْنُ.. وَأنا سَأشنُقُ الجاموسَة.." خافَتِ الجاموسَةُ وَقالَت: "يا لَيْلُ.. يا عَينُ.. وَأَنا سَأَشْرَبُ الماءَ.." خَافَ المَاءُ وَقَالَ: وأَنا سَأُخْفِئُ النّار..." خافَت النّارُ وقالَت: "يا لَيْلُ .. يا عَيْن.. وأنا سَأُسَيِّحُ السِّكّين.." خافَت السِّكين وقالَت: "يا لَيلُ.. يا عَينُ.. وَأنا سَأَذبَحُ الذِّئب." خافَ الذِّئبُ وقال "يا لَيْلُ يا عَيْنُ وأَنا سآكُلُ الغُرابَة.."

خافَتِ الغرابَةُ وقالَت: "يَا لَيْلُ .. يا عَيْنُ .. وَأَنا سَأَسمَعُ كَلامَ الغُراب.. وَلاَ آكُلُ البِرسيم.."

٩- طاحونُ الأسرار

مُنذُ أَعوامٍ طَويلَةٍ كانَ يَسكُنُ إحدَى المُدُن رَجُلٌ طَيِّب، كانَ مَعروفًا بَينَ النّاسِ بالكَرَمِ وَحُسنِ الخُلُق. لِذَلِكَ سَمّاهُ النّاسُ "صَدِّيق". وَذاتَ يَومٍ قَرَّرَ "صَديقٌ" أَن يَقومَ بِرحلَة، فَباعَ كُلَّ ما يَملِكُ، واشتَرَى حِصَانًا أَصيلاً، وَشدَّ عَلَيْهِ سَرْجًا، وَمَلأَ الخُرْجَ بِالطَّعام والزّادِ، وَوَضَعَهُ عَلَى ظَهرِ الحِصان، وَسَمَّى حِصانَهُ "سَحَابًا".

رَكِبَ "صَدِّيقٌ" حِصانَهُ، وَغادَرَ المَدينَةَ، وانطَلَقَ وَهُوَ لا يَعرِفُ إلَى أَينَ يَذهَب. وَفي الطَّريقِ لاحَظَ "صَديقٌ" أَنَّ فارسًا آخرَ يَتبَعَهُ وَيَسيرُ خَلفَه. اِنتَظَرَ "صَدِّيقُ" حَتَّى وَصَلَ الفارسُ، وَحَيّاهُ وَسَأَلَهُ عَنِ اسمِه. أجابَ الغَريبُ: "اِسمي عَدُوٌّ." فَصاحَ صَدِّيق: "يا لَهُ مِن اِسمٍ فظَيع! مَن الّذي سَمّاكَ هَذا الاسمَ القَبيح؟!" فقالَ الغَريبُ: "إنَّ والِدَيَّ وَجَميعَ الّذينَ يَعرفونَني يُنادونَني بِهذا الاسمِ "عَدُوّ". فماذا أَستطيعُ أَن أَفعَلَ؟ وَأَنتَ ما اسمُكَ؟" فأجابَ الآخَرُ: "صَدِّيق".

قَرّر "صَديقٌ" و "عَدُوٌّ" أَن يُسافِرا معًا. سارا طَويلاً حَتَّى وَصَلا إلَى يَنبوعِ ماء. أوقَفَ كُلٌّ مِن الفارسَيْنِ حِصانَه، وَجَلَسا لِيَتناوَلا غَداءَهُما. فَقالَ عَدُوّ: "بِما أَننَّا الآنَ رَفيقا سَفَر، وَنُسافِرُ مَعًا أَرَى أَن نَتَقاسَمَ الطَّعامَ،

وَلَيسَ مِنَ الضَّروريِّ أَنْ يَفتَحَ كُلٌّ مِنّا خُرجَهُ. سنبدأ بالأكل من خُرجِكَ، وبعد أن يفرغ وينتهي ما به من طعام نفتح خُرْجي."

رَأَى "صديق" أَنّها فِكرَةٌ جَيدَة، فَفَتَحَ خُرجَهُ وقاسَمَ زَميلَه طَعامَهُ وَشَرابَه. تكرَّر ذَلِكَ عِدَّة مَرّات. وَبَعَدَ ثَلاثَةِ أَيامٍ نَفَذَ كُلُّ ما في خُرجِ "صَدَيق" مِن طَعام وَشَراب. وَجاءَ دَورُ "عَدُوّ" لِكَيْ يُقاسِمَ "صَديقًا" طَعامَه. وعندَما حانَ مَوعِدُ الطَّعامِ ذَهَبَ "عَدُوٌّ" بعيدًا عن "صَديق"، وَجَلَس يأكُلُ وَحدَه كانَ "صَديقٌ" مُهَذَّبًا وَخَجولاً، لِذَلِكَ ظَلَّ ساكِتًا لا يُكَلِّمُ زَميلَهُ وَلا يَشكو مِمّا فَعَل.

مَرَّت أيامٌ و"صَديقٌ" بِلا طَعام، فَشعَرَ بالجوعِ والضَّعفِ الشَّديد. اقتَرَبَ "صَديقٌ" مِن "عَدوٍّ" وَقالَ لَهُ: "أَلَم نَتَّفِق عَلَى أَن نَتَقاسَمَ الطَّعام؟! وَأَنتَ أَكَلْتَ مِن طَعامي؟! الآنَ جاءَ دَوْرُكَ لِكَيْ تُطعِمَني." فَقالَ "عَدوٌّ": "لا يا صاحِب لا تَظُنَّ أَنَّني رَجُلٌ طَيِّبٌ مِثلَك. إنَّ رحلتَنا سَتكونُ طَويلَة. فإذا تَقاسَمنا طَعامي فَستَنتَهي بِسُرعَة. أَمّا إذا احتَفَظتُ بِهِ لِنَفسي فَقَط، فَسَوفَ يَكفيني مُدَّةَ السَّفَر، وَأستطيعُ أن أَستَمِرَّ فِي العَيْش."

حَزِنَ "صَديقٌ" عندَما سَمِعَ كَلامَ صاحِبِهِ، وَقَالَ لَهُ: "ما دُمتَ تُفَكِّرُ بِهَذِهِ الطَّريقةِ فَنَحنُ لا نَستَطيعُ أَن نَسيرَ مَعًا فِي رِحلَتِنا." وَعِندَ أَوَّل مُفتَرَق طُرُق افتَرَقَ "صَديقٌ" وَ"عَدُو". سارَ "صديقٌ" حَتَّى أَقبَلَ اللَّيلُ، وَتَوَقَّفَ أمامَ طاحونٍ قَديم، وَتَرَكَ حِصانَه يَتَجَوَّلُ فِي المكَان، وَدَخَلَ الطّاحونَ لِيقَضِيَ فِيهِ اللَّيل.

لاحَظَ "صَديقٌ" حَجَرًا كَبيرًا فِي أَحَدِ الجَوانِبِ. وَضَعَ "صَديقٌ" خُرجَهُ بِجوارِ الحَجَر، واستَعمَلَهُ وِسادَة" وَنامَ مُطمَئنًا بَعدَ قَليلٍ أيقَظَتْهُ أصواتٌ، فَنَظَرَ مِن شَقٍّ فِي الجِدار، وَرَأَى أَسَدًا وَنَمِرًا وَذِئبًا وثَعلَبًا تَتَحادَثُ فِي ضَوْءِ القَمْرَ سَمِع "صديق" الأَسدَ يَقولُ: أَشُمُّ رائِحةَ إنس!، وقالَ النمرُ: "ماذا تَقولُ؟! لَيسَ هُناكَ مَن يغامِرُ بالدّخول إلى هَذا الّطاحون." وأَكَّدَ الذِّئبُ كَلامَ النَّمِرِ وَقالَ : "لابُدَّ لِمَن يَدخُلُ هَذا المكانَ السِّرِّيَّ أنَ يكونَ قويَّ القَلبِ عَظيمَ الشَّجاعَة." وَقالَ الثَّعلَبُ: "لا أَظُنُّ أَنْ يدخلَ عاقِلٌ هذا المكانَ برجلَيه. دَعونا مِن هَذا الكَلام، وَهَيّا نَستَأنِفُ ما كُنّا نَقُصُّهُ مِن حِكايات."

بَدَأَ النَّمِرُ حَديثَه قائِلاً: "أَنا أَعرِفُ سِرًّا خَطيرًا وَلَيسَ بَعيدًا عَنّا. فَفي هَذا الطّاحونِ تَعيشُ بَعضُ الفِئران التي لَدَيْها كَنزٌ مِن القِطَعِ الذَّهَبِيَّة تُخبِّئُهُ فِي جُحورِها، وَ فِي أَثناءِ اللَّيل، عِندَما يُضيءُ القَمَرُ، تُخرِجُ هَذِهِ الفِئرانُ كَنزَها، وَتَنثُرُهُ عَلَى سَطَحِ الطّاحون، ثُمَّ تَرقُصُ حَوْلَ الذَّهَبِ الّذي يَلمَعُ تَحتَ ضَوْءِ القَمر.

وَعِندَما تُشرِقُ الَّشمسُ فِي الصَّباح تُعيدُ الكَنزَ إِلَى جُحورِها المُظلِمَة."

ثُمَّ تَكَلَّمَ الذِّئبُ وَقال: "أَمّا أَنا فإنَّني أَعِرفُ مَلِكًا لَهُ ابنَةٌ مَريضَةٌ بِمَرَض يَصعُبُ الشِّفاءُ مِنْهُ. وَكُلَّما مَرّ الوَقتُ هَزُلَت وَضَعُفَت. وَهُناكَ عُشبَةٌ واحِدَةٌ فَقَط تَشفيها مِن مَرَضِها، يزرَعُها راعي غَنَمٍ، يُطعِمُ مِن جُذورِها خِرافَهُ ونِعاجَه."

وَجاءَ الدَّورُ علَى الثَّعلَبِ لِيَقولَ سِرَّه: "أَنا أعرِفُ قَصرًا مُتَهَدِّمًا يَبعُدُ ميلاً مِن هَذا الطّاحون، وَبِجِواره يَنبوعُ ماءٍ نَقِيٍّ وبارِد، لَكِنَّ الماءَ لا يَخرجُ مِنهُ الآنَ، لأَنَّ عينَه مَسدودَةٌ بالأَوساخ. وَفي الماضي عِندَما كانَ الماءُ يَجري فيه كانَ حَولَهُ بُستانٌ مَملوءٌ بِالأَشجارِ والفاكِهَة مِن كُلِّ صِنف."

اِنتَهَتِ الحيَواناتُ مِن سَردِ القِصص، وَدَخَلَ كُلٌّ مِنها إلَى عَرينِهِ لِيَنام. وَعِندَما تَأَكَّدَ "صَديقٌ" أَنَّ الحيَواناتِ قَد اِنصَرَفَت جَميعًا، خَرَجَ مِن مَخْبَئِهِ كَي يَتَحَقَّقَ مِن صِحَّةِ ما قالَهُ النَّمِر. وَبِسُرعَةٍ تَسَلَّقَ سَطحَ الطّاحون، وَنَظَرَ فَرَأَى الكَثيرَ مِنَ القِطَعِ الذَّهَبيةَّ تَلمَعُ في ضَوْءِ القَمَر، وَحَولَها الفِئرانُ تَرقُصُ في سَعادةٍ وَبَهجَة. أمسَكَ "صَديقٌ" حَجَرًا، وَأَلقاهُ عَلَيها. خافَتِ الفِئرانُ وَفَرَّت هارِبَةً، وَاختَبأَت في جُحورِها. مَلأَ "صَديقٌ" جُيوبَهُ بالقِطَعِ الذَّهَبِيةِّ، وَرَكِبَ حِصانَهُ، وانطَلَقَ إلَى أقربِ بَلدَة.

نامَ "صَديقٌ" حتَّى الصَّباح. وفي اليَومِ التّالي، بَينمَا كانَ يَزورُ ضواحِيَ البَلدَة، التقَى في الطَّريقِ بِراعٍ كانَ يَجلِسُ وَسطَ قَطيعٍ كَبير. فَتَذَكَّرَ قِصَّةَ الذِّئب، واقتَرَبَ مِنَ الرّاعي، وطَلَبَ مِنْهُ في أَدَبٍ أَن يأخُذَ قَليلاً مِن تِلكَ العُشبَةِ الجَميلَة. سَمَحَ لَهُ الرّاعي أَن يأخُذَ ما يُريد، فَأعطاهُ "صَديقٌ" بَعضَ القِطَعِ الذَّهَبِيّة.

قَفَزَ "صَديقٌ" عَلَى حِصانِه، وتَوجَّهَ نَحوَ المدَينَةِ الَّتي كانَت تَعيشُ فيها الأَميرَةُ المريضَة. كانَ جَميعُ السُّكّان في حُزن شَديد. وَحَكَى بَعضُهم "لِصديق" قِصَّةَ الأَميرةِ كَما حَكاها الذِّئبُ تَمامًا. قالَ لَهُم "صَديقٌ" إنّه قَد أَتَى إلَى هَذِهِ المَدينةِ لِيُعَالِجَ الأَميرةَ المريضَة، فَقالوا لَهُ يُحَذِّرونَهُ: "لَوْ لَم تَنجَحْ في عِلاجِ الأَميرةِ فسَيُحكَمُ عَلَيكَ بالمَوْت."

لم يَخَفْ "صَديقٌ" مِن هَذا التَّهديدِ، وَتَوَجَّهَ نَحوَ القَصر، وَخَلَّبَ مِنَ الحُرّاسِ أَن يَقودوه إِلَى غُرفَةِ الأَميرة. ثُمَّ خَلَّبَ قَليلاً مِنَ الماء، وَأَذابَ فيه العُشبَةَ، وسَقَى الأَميرةَ بعدَ ساعةٍ كانَتَ وَجْنَتا الأَميرَةِ تستَعيدان لَونَهما، وَجَرَى فيهما الدَّمُ، واستَرَدَّت قُواها، وَبَدَأَت تَبتَسِم، وَتَتَحدَّثُ في سَعادَة.

تَمَسَّكَ أَهلُ القَصرِ "بِصَديق"، وَدَعَوْهُ للإِقامَة في جَناحٍ بالقَصرِ حَتَّى يَتِمَّ شِفاءُ الأَميرَة. بَعدَ أَيّام أَحبَّتِ الأَميرة "صَدِّيقًا"، وأَحَبَّ "صديقٌ" الأَميرَةَ، وَقَرَّرا أن يَتَزَوَّجا. لَم يَكُن عِندَ المَلِكِ اِبْنٌ، لِذَلِكَ عَيَّنَ "صَديقًا" وَلِيًّا لِلعَهد.

كانَ "صَديقٌ" يُفَكِّرُ في فِكرَةٍ أُخرىَ. فَقَد أَخَذَ زَوجَته إلى مكان القَصر المتهدِّم الَّذي كانَ قَد تَكَلَّمَ عَنهُ الثَّعلَب. وَهُناكَ أَزالَ "صَديقٌ" الأَوساخَ الّتي كانَت تَسُدُّ عَيْنَ اليَنبوع، فجَرى الماءُ، وَسَقَى الزَّرعَ. بَنَى "صَديقٌ" مَنزِلاً جَميلاً في المكَان.

وَبَعدَ وَقتٍ قَصير، كانَ الزَّوجان يَعيشان داخِلَ أَجمَلِ بُستانٍ في البَلاد.

وَفي أَحَدِ أَيّامِ الرَّبيع، بَينَما كانَ "صَديقٌ" يَتَنَزَّهُ مَعَ زَوجَته وَأَولادِهِ في البُستان، رأَى فارِسًا مِن بَعيد. وَعِندَما اقترَبَ الفارِسُ، اكتَشَفَ أنه رَفيقُه القَديمُ "عَدُوّ". سَأَلَ "عَدوٌّ" "صَديقًا" عَن سِرِّ غِناهُ وَسَعادَتِه، فَقَصَّ لَهُ "صَديقٌ" القِصَّة. قَرَّرَ "عَدُوٌّ" أَن يَذهَبَ هُوَ الآخَرَ إِلَى الطّاحونِ القَديم. وكانَ يَأمُلُ أن يَستَمِعَ إلى أَسرارٍ جَديدَةٍ مِن الحَيوان وأَن يَصيرَ غَنِيًا مِثلَ "صَديق".

وَصَلَ "عَدُوٌّ" إِلَى الطّاحون، واختَبَأَ وَراءَ الحَجَرِ الكَبير. وَبَعدَ لَحَظاتٍ، دَخَلَ الأَسدُ والنمرُ والثعلبُ والذئبُ إِلَى الطاحون كَما ذَكَرَ لَهُ "صَديق" قالَ الأَسَدُ بِصَوتِه القَويّ: "أَشُمُّ رائِحَةَ إنس". فَقَالَ النَّمِرُ: "لابُدّ أَن يكونَ الشخصَ الّذي سَمِعنا في المرةِ السّابِقَةِ، وسَرَقَ كَنزَ الفِئران!"

تأَكَّدَتِ الحَيواناتُ أَنَّ الأَسَدَ كانَ عَلَى حَقٍّ عِندَما قالَ إِنَّهُ شَمَّ رائِحَةَ إنس. فقالَ الذِّئبُ: "لاشَكَّ أَنَّهُ مُختَبِئٌ هُنا في مَكانٍ ما" صَرَخَ الثَّعلَبُ: "لَن يَنْجُوَ مِنا هَذِهِ المَرَّة. هَيَّا نَبحثُ عَنْه."

لم يَمُرَّ وقتٌ طَويلٌ حَتَّى اكتَشفَتِ الحَيَواناتُ "عَدُوًّا" الّذي كانَ مُخْتَبِئًا وَراءَ الحَجَر. هَجَمَتِ الحَيواناتُ عَلَى "عَدُوٍّ" وقَطَّعَتْهُ بأنيابها، وَمَزَّقت جِسمَه. وأكَلَ كُلُّ حيوانِ الجُزءَ الَّذي يُفَضِّلُه. وَهَكَذا انتَهَت حَيَاةُ "عَدُوّ". بَينَما عاشَ "صَديقٌ" حَياةً طَويلةً سَعيدَةً.

١٠- الصَّيّادُ وَالدَّنانيرُ الذَّهَبيَّة

كـانَ صَـيّادٌ فَقيرٌ يَعيشُ عَلَى ما يَصطادُهُ مِنَ الطُّيورِ والحيوانات البَرِّيَّة، وَيَبيعُها لِيَشتَرِيَ الطَّعامَ لَهُ وَلِزوجَتِهِ وأبنائِه الثّلاثة. وَكانَ يُقيمُ مَعَ أُسرتهِ في كوخٍ صغيرٍ في أَطرافِ المدينة. خَرَجَ الصَّيّادُ - ذاتَ يوم - لِيَصطادَ، لَكِنَّهُ لَم يَصْطَدْ شَيئًا، فَنامَ الجَميعُ بِلا طَعام. وَفي اليَوم التّالي خَرَجَ الصَّيّادُ لِلصَّيدِ وَلَم يَصْطَد شَيئًا. تَكرَّر ذَلِكَ سَبعَ مَرّات. فَجَلَسَ الصَّيّادُ حَزينًا في بَيتِه، وَأَخذَ يَشكو حَظَّهُ السَّيِّئَ. جاءَتهُ زَوجَتُه وَقالَت لَهُ: "لا تَحزَن يا زَوجي العَزيز. خُذ هَذِهِ السِّلسِلة الذّهبية التي أَخَذتُها هَدِيَّةً من والِدَتي يَومَ زَواجي. بِعْها، اشتَرِ لَنا بَعضَ الطَّعام."

ذَهَبَ الصَّيادَ إِلَى السّوق لِيَبيعَ السِّلسِلَةِ الذَّهَبِيَّة. وَضَعَ الصَّيّادُ يَدَهُ في جَيبِه وَلَم يَجِد السِّلسِلَة. فَتَّشَ عَنها في كُلِّ مَكان وَلَم يَعثُر عَلَيها. حَزِنَ الصَّيّادُ حُزنًا عَظيمًا، لَكِنَّهُ فَكَّرَ في أَنَّ الحزُنَ لَن يُفيدَه، فَقالَ: "سَأذهَبُ لِلصَّيد، لَعَلّي أَصطادُ شَيئًا."

سارَ الصَّيادُ في طَريقه، وَقابَلَ شيخًا كَبيرَ السِّنّ، يَجلِسُ تَحتَ شَجَرَة. أَشارَ إِلَيه الشَّيخُ فاقتَرَبَ منه الصَّيّاد، وَجَلَس بِجواره. سَأَلَهُ الشيخ: "لماذا أنتَ حَزين؟" فَقَصَّ عَلَيه الصَّيّاد قِصَّتَه. رَبَّتَ الشَّيخُ عَلَى كَتِفِ الصَّيّاد، وَقالَ لَهُ: "سَأَدُلَّكَ عَلَى مَكان فيهِ صَيدُ كَثير، تَستَطيعُ أَن تَعيشَ مِنه عيشَةً سَعيدَة. لَكِنْ لا تَتْرُك الطَّمَعَ يُؤخِّرُكَ عَن العَمَل الشَّريفِ الَّذي قَضَيتَ فيه كُلَّ حياتِك، ولا تُخبِر أَيَّ أحدٍ بِذَلِكَ المكان حَتَّى أَعَزّ الناسِ إليك. فقالَ الصَّيّاد: "أَعِدُكَ - أيها الشيخُ الطيِّبُ أَنْ أُنَفِّذَ كُلَّ ما طَلَبتَ. ساعِدني. فأطفالي جِياعٌ لَم يَذوقوا طَعَم الأكل." أخبَرَ الشيخُ الصيادَ بِمكانِ الطَّيور، فَذَهَبَ إلى هُناك، ونصَبَ شِباكَه. واصطادَ عَدَدًا كَبيرًا منها.

باعَ الصيادُ الطُّيورَ في السّوق، واشتَرَى بِثَمَنِها خعامًا وَزَادًا، وعادَ إلى كوخِهِ مَسروراً. استَمَرَّ الصَّيّادُ عَلَى ذَلِكَ عِدَّةَ أَشهُر. يَصطادُ الطُّيورَ، وَيبيعُها، وَيشتَري بِجُزءٍ مِن ثمنِها الطَّعامَ والملابِسَ ولوازمَ البَيت، وَيَدَّخِرُ الباقي.

وفي يومٍ شديدِ الحَرارَة، كانَ الصيادُ عائِدًا إلَى البيت، حامِلاً قَفَصَهُ الّذي فيه أَكثَرُ مِن خَمسين خيرًا، شَعَرَ بحاجَةٍ إلَى الراّحة، فَجَلَسَ تَحتَ شَجَرَةٍ بالقُربِ مِن عَينِ ماء، ثم نَظَرَ إلى خُيوره، فَرَأَى بينَها خَيرًا جميلاً ذا ألوانٍ بَديعَة، لم يَرَ مِثلَه مِن قَبل. قَرَّرَ الصَّيادُ أَن يَحتَفِظَ بِه، وَلا يَبيعُهُ بِأَيِّ ثَمَن.

غَسَلَ الصَّيّادُ وَجهَهُ مِن ماءِ العَيْن، ونامَ تحتَ الشجرة. وَفي أثناءِ نَومِه رَأَى حُلمًا جَميلاً، وَعِندمَا استيقظَ كانَ سَعيدًا، لكنَّهُ كمّا نَظَرَ ناحِية خيوره وَجَدَها خائِفَةً مَذعورَةً فَقَد كانت هُناك حَيَّةٌ تُمسِكُ بالطَّيرِ الجَميل تُريدُ ابتِلاعَه.

هَبَّ الصَّيّادُ مِن مَكانِه، وَأَخَذَ فأسَه وَرَفَعَها ليضرِبَ الحَيَّة. خافَتِ الحَيَّةُ وقالت لَه: "أعاهِدُكَ – أيُّها الصيادُ – إذا عَفَوتَ عَنّي وَتَركتَني أَن أُعطِيَكَ كُلَّ يومٍ دينارًا ذَهَبِيًا" ثُمَّ انتفخَت وَ أَلقَت لَهُ بِدينار مِنَ الذَّهَب، فَفَرِحَ الصَّيّادُ وأخَذَ يَرقُص، ثُمَّ قالت لَه الحية: "سَأُوَدِّعَكَ الآنَ وفي كُلِّ يَومٍ تَأتي إلَيَّ سَأعطيكَ دينارًا ذَهَبًا."

لم يصدِّق الصَّيّادُ الحيةَ وخافَ أن تَهرُبَ، فَحَمَلَها مَعَ خُيوره إلَى بَيتِه، وَراحَ يُطعِمُها مِنَ الطَّيور الّتي اصطادَها ظَلَّ الصَّيّادُ في البيتِ مُدَّةَ أُسبوع، فَقالَت لَهُ زوجتُه: "أَرَى أَنَّكَ لم تخرُج لِلصَّيْد مُنذُ أُسبوع، وَقَد انتهَى ما لَدَينا مِن خُيور، وَأَخافُ أَن يَنتَهيَ ما عِندَنا مِن نُقود." ضَحِكَ الصَّيّادُ وقالَ في نفسِه: "هَذِهِ زَوجتي، وَأُمُّ أَولادي، فَلِماذا لا أُخبِرُها بالقِصَّةِ لِتَهدأَ وَتَرتاحَ؟!"

أَخبَرَ الصَّيّادُ زَوجَتَهُ بِقِصتِّه، فَسَمِعَتْهُ الحَيَّة. اِستَيْقَظَ الصيادُ في الصَّباحِ فَلَم يَجِدها. بَحَثَ الصيادُ عَنِ الحيَّة، فَوَجَدَها نائِمةً تحتَ فِراشه، فَقالَ لَها: "أنا آسِف. لم أُقَدِّم لَكِ خيورًا لِتَأكُلي. سَأَخرُجُ الآنَ للصَّيد، وَأُحضِرُ لَكِ بَعضًا

منها. أعَطيني الدّينار". لَكِنَّ الحيةَ لَم تُعْطِهِ ما خَلَبَ، وَقالت لَهُ: "سَأُعطيكَ الدّينارَ بِشَرطِ أَن تَأتِيَ لي بِطعامٍ يكفيني يَومَيْن."

خَرَجَ الصَّيّاد، لَكِنَّهُ تَكاسَلَ وَهُوَ في طَريقِهِ، وَخَلَبَ مِن أَحَدِ زُملائِه الصَّيّادين، واسمُه عَوّاد أَن يُحضِرَ لَهُ خُيورًا حَيَّة، وَأَخبَرَهُ بِالقِصَّة. لَم يُصَدِّق عَوّادٌ كَلامَ الصَّيّاد، فأراه الصَّيّادُ الدَّنانيرَ الذَّهَبِيةَّ. قَرَّرَ عَوّادٌ أَن يَسرِقَ الحَيَّةَ والدَّنانير.

ذَهَبَ عَوّادٌ إِلَى مَكانِ الصَّيد، واصطادَ الطُّيورَ، وأحضَرَها إِلَى زميلِه الّذي كانَ جالِسًا في بَيتِه. غافَلَ عَوّاد الصيادَ وَسَرَقَ الحيةَ والدَّنانيرَ، وَهَرَبَ بَعيدًا.

بَحَثَ الصَّيّادُ عن الحيَّة فلم يَجدها. وَفَتَّشَ عَنِ الدَّنانيرِ فَلَم يَعثُر عَلَيها أَيضًا. فَعَرَفَ أَنَّ عَوادًا قَد سَرَقَهُ. نَدِمَ الصَّيّادُ وَجَلَسَ يَبكي. وَلَمّا رأتهُ زَوجَتُهُ قالَت لَهُ: "اِسمَع يا زَوجي. إنَّ النَّدَمَ لا يُفيد. لماذا لا تَخرُجُ لِلصَّيدِ مِن جَديد؟ تَوَكَّل عَلَى الله، واعتمِد عَلَى نفسِك"

اِقتَنَعَ الصيادُ بكلامِ زَوجتِه، وَذَهَبَ لِيصطادَ، وَتَوجَّهَ إِلَى مكانِ الطيورِ فَلم يَجد خَيرًا واحِدًا، ولم يُقابل الشَّيخ. جَلَسَ الصَّيّادُ تَحتَ شَجَرَة، ثم نام، وَرَأى الشَّيخَ في الحُلمِ يَقولُ لَه: "وَعَدتَني بألا تُخبِرَ أَحَدًا، لَكِنَّكَ خالَفتَ وَعدَك، وأعماكَ الطَّمَع. نَصيحَتي إليكَ أَن تَرجِعَ إلى صَيدِك، وَتَعتَمِدَ عَلَى نفسِك، فَلَيس هُناكَ أَفضَلُ مِنَ الكِفاحِ في سَبيلِ العَيش".

سَمِعَ الصَّيّادُ نَصيحَةَ الشَّيخ، وَعَمِلَ بها، وَأَخَذَ يَذهَبُ لِلصَّيدِ، وَيَصطَادُ ما قسَمَ اللهُ لَه، وعاشَ في سعادَة.

١١- عَمَلُ الخَيْر

كانَ لِمَخْلوفٍ حَقلٌ بِجوارِ المقابِر، وَكانَ يَذهَبُ إلَيه مُبَكِّرًا كُلَّ يَومٍ ليعملَ فيه. وذات يومٍ بينما كان يستريحُ مِن عملِه تحتَ شجرةٍ سَمِعَ صَوتًا آتيًا مِنَ المقابر. أَنْصَتَ مخلوف للصَّوت جيّدًا، فَسَمِعَهُ يقول: "إنَّ فُلانًا وفلانة سَوْف يَحْضُران هُنا غدًا" انزعجَ مَخلوفٌ لَدَى سماعِ الخبر، وشَعَرَ بالحزُن الشديد، فقد كانَ فلانٌ جارًا لَهُ، أمَّا فُلانَةٌ فكانَتْ زوجتَه!

لم يُكْمِلْ مخلوفٌ عَمَلَهُ في الحَقل، وقرَّرَ - علَى الفَوْر - أن يرجِعَ إلَى بَيْتِه. وما كادَ مخلوفٌ يدخُلُ قَريَتَه حتَى سَمِعَ صُراخًا وعَويلاً. فلَما سَأَلَ عَنِ السَّببِ عَلِمَ أنَّ جارَهُ الّذي ذكرَهُ الصوْتُ قَد مات.

زادَ اضطِرابُ مَخلوف، وَأَسرَعَ نَحْوَ بيتِه، فَوَجَدَ زوجتَه تستقبلُه وهِيَ في كامِلِ صِحَّتِها. لم يخبرْ مخلوفٌ زوجتَه بِالأمر، فقد كانَ متأكدًا أن الدَّوْرَ عَلَيها في الغَد.

نامَ مَخلوفٌ، وعندَما استيقظَ في الصَّباح طَلَبَ مِنْ زوجَتِه أَنْ تُعِدَّ لَهُ الغَداءَ حَتَّى يَحْضُرَ في الظُّهْر ليأكلَ مَعَها، ثم انصَرفَ إلَى حقلِه. لم تَكُنْ زَوْجَةُ مَخلوفٍ تشكو مِن مَرَضٍ أو عِلّة، ولكنها كانت في صِحَة جَيِّدة. أعدَّت الزوجَةُ الغَداءَ لزوجِها، وجَلَسَتْ منتظره حَتَّى يَعود. مَرَّ الوقتُ ولَمْ يَحضُرْ مخلوفٌ في الموعِد الّذي حَدَّدَهُ لها.

أَحَسَّتِ الزوجَةُ بالجوع، فأحضَرَت بعضَ الطَّعام لتَأْكُلَه. وعندَما وَضَعَتِ الزَّوجةُ الطبقَ أمامَها، واستعدَّت للأكل، سَمِعَت طَرْقًا علَى الباب، فَنَهَضَتْ بِسُرعَةٍ وفتحتْه، فوجدَت شَحّاذًا يطلُبُ منها بَعْضَ الطعام، يَسُدُّ به جوعَه. ودون تفكير أَحضرتِ الزوجةُ طَبَقَ الطَّعامِ كما هُو، وقدَّمَتْهُ للشحّاذ، فَدَعا لَها بطولِ العُمُر وانصَرف.

رَجَعَ مخلوفٌ إلى بيتِه فوجَدَ زوجتَه سليمةً مُعافاة، تتحركُ بنَشاطٍ وحَيَوِيَّةٍ، فتعجَّبَ ولم يحدِّثها في شَيء. وفي اليوم التالي ذهبَ إلى حَقْلِه مُبَكِّرًا كالعادَة،

ونادَى الصَّوتَ وقال: "لقد تَحقَّقَت نُبوءَتُك معَ جاري، ولَكِنَّها لم تتحقَّق مَعَ زَوجَتي، أرجو أن أعرِفَ الحقيقة، ليطمَئِنَّ قَلبي وأرتاحَ."

خَلَبَ الصَّوتُ مِنْ مخلوف أَنْ ينظُرَ إلى السَّماء. رَفَعَ مَخلوفٌ بَصَرَهُ إلى السَّماء فانْكَشَفَتِ لَهُ في الحال خاقةً رَأى فيها صَخرةً كبيرةً تُريدُ أَن تَسقُطَ على رَأسِ زَوجتِهِ لَولا أَنَّ خبقًا مُمتَلِئًا بالطَّعامِ مَنَعَ سُقوطَها.

لم يفهمْ مخلوفٌ شيئًا مِمّا رأى، وَرَجَعَ إلى زوجته، وسألَها عما فَعَلَتْهُ بالأمس في أثناءِ غيابه، قالتِ الزوجةُ: "لقد أَعْدَدْتُ الطعام – كما خَلَبْتَ مني – وانتظَرتُ عودَتَكَ لكنك تأخَّرْتَ ولم تَحضُرْ في الموعد، فَشَعَرْتُ بالجوع الشَّديد، وأَعْدَدْتُ خبقًا لآكُلَه، غَيْرَ أَني لم أتناولْ مِنْه شيئًا، فَقَد قدَّمْتُهُ لِشحّاذٍ مِسكينٍ خَرَقَ بابَنا وخَلَبَ خعامًا."

قالَ مَخلوف: "بارَكَ اللهُ فيكِ يا زَوجَتي الحبيبَة... إنَّ خبقَكِ هَذا أَنْقَذَ حياتَكِ. فَقد مَنَعَ فِعْلُ الخَيرِ الصَّخرَةَ مِن أن تَسْقُطَ عَلَى رأسِكِ وتقتُلَك."

١٢- المالُ والبَنون

كانَ لِرَجُلٍ كَبيرِ السِّنِّ ثلاثَةُ أَبناء، قَضَى عُمُرَهُ في تَربِيَتِهِم وَتَوفِيرِ السَّعادَةِ لَهُم. وَعِندَما كَبِروا زَوَّجَهُم جَميعًا، ثُمَّ قَسَّمَ أَموالَهُ بَينَهُم، حَتَّى يُساعِدَهُم في حَياتِهِم الجَديدَة، وَأَبقَى الأَبُ لِنَفسِهِ دارًا صَغيرَةً لِيُقيمَ فيها وَحدَهُ بَقِيَّةَ عُمرِهِ سَعيدًا مُطمَئِنًا لِأنَّهُ قامَ بالواجِبِ نَحوَ أولادِه، وطَلَبَ مِنهُم أَن يَزوروهُ مِن وَقتٍ لِأخَرَ، لِيَسعَدَ بِهِم وبِالأحفاد.

أَخذَ الأبناءُ يتَرَدَّدون عَلَى والِدِهِم كَما أَوصاهُم. وَمَرَّتِ الأَيّامُ، وَزادَت مَسؤولِيَّةُ كُلِّ واحِدٍ مِنهُم، وَزادَ اهتِمامُهُ بِالحياةِ وَانشِغالُهُ بِها، فَقَلَّت زيارَتُهُم لأبيهِم. وَبَعدَ فَترَةٍ نَسوهُ، وَكَفّوا عَن زِيارَتِهِ. فَجَلَسَ الأَبُ حَزينًا بِوَحدَتِهِ وَجُحودِ أبنائِه.

مَضَت سَنَتان عَلَى هَذِهِ الحال، وَقَلَّ ما ادَّخَرَهُ الأَبُ لِنَفسِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى صارَ لا يَجِدُ ما تأكُلُه. قَصَدَ الأَبُ أَولادَهُ واحِدًا بَعدَ الآخَرِ يَسأَلُ عَن أَحوالِهِم مِن غَيْرِ أَن يُظهِرَ لَهُم شَيْئًا مِنَ الضَّيق. وَلَمّا طَلَبَ مِنهُم المساعَدَةَ رَفَضوا، وادَّعوا أَنَّ مَسؤولياتِهِم قَد زادَت، وأنَّ وَراءَهُم أَبناءً وَزَوجاتٍ يُنفِقون عَلَيهِم.

رَجَعَ الأَبُ مِن لِقاءِ أَولادِهِ حَزينًا، وَنَدِمَ عَلَى ما صَنَعَهُ بِالمالِ الَّذي كانَ عِندَهُ، وَسارَ إلى بَيْتِهِ لا تَكادُ تَحمِلُهُ قَدَماهُ مِن شِدَّةِ الحُزن، وَأَقامَ فيهِ في ضيقٍ وَفَقرٍ لِيقتَصِدَ مِن طَعامِهِ وَشَرابِهِ حَتَّى صارَ في أَسوَأِ حال.

ذَهَبَ الأَبُ لِزيارَةِ أَحَدِ أصدِقائه، لِيَقُصَّ عَلَيهِ ما حَدَثَ مِن أَبنائِه، وَيَطلُبَ مِنْهُ النَّصيحَة. فَكَّرَ الصَّديقُ قَليلاً وَقالَ لَهُ: "إِحضِرْ في أَرضِ غُرفَتِكَ حُفرَةً، وَضَع فيها جَرَّةً فارِغَةً، واجعَل فُوَّهَتَها في مُستَوَى الأَرضِ. وفي كُلِّ مَرَّةٍ تَكنِسُ غُرفَتَكَ أو فِناءَ الدّارِ اِرمِ فيها كُلَّ ما تَكنُسُهُ مِن تُرابٍ وغبار. وَعِندَما تَمتَلِئُ الجَرَّةُ سُدَّ فُوَّهَتَها بِالأَسمَنتِ، وَغَطِّها بالحَصير. وإن شاءَ اللهُ سَأزورُكَ في دارِكَ عِندَما تُخبِرُني بِأنَّ الجَرَّةَ امتلأَت."

نَفَّذَ الأَبُ كَلامَ صاحِبِه. وَبَعدَ أُسبوع امتَلأَت الجَرَّةُ بِما كانَ يَرميهِ فيها مِن تُرابٍ وَغُبار. فَسَدَّ فُوَّهَتَها، وَغَطّاها بالحَصير، وَأَرسَلَ إلى صاحِبِه، وَجَلَسَ يَنتَظِرُه.

وَلَمّا زارَهُ صاحِبُهُ وَشاهَدَ ما فَعَلَ، أَخبَرَهُ بِأَنَّهُ سَيَمُرُّ بأبنائِهِ واحدًا واحِدًا، وَيُؤَكِّدُ لَهُم أَنَّ أَباهُم مازالَ بخير، وَأَنَّهُ يَملِكُ مِنَ المالِ أكثَرَ مِمّا أَعطاهُم، وَأَنَّهُم أَهمَلوا واجبَهُم نَحوَهُ. وَقالَ لَهُ: "تَوَقَّعْ يا صاحِبي زيارَةً قَريبَةً مِن أبنائِك. فإن جاءُوا اِكشِف طَرَفَ الحَصيرِ أَمامَهُم، وانقُرْ عَلَى مَوضِعِ الجَرَّةِ لِيَظُنّوا أَنَّ مازالَ لَديكَ مالٌ كَثير، وَأَنَّكَ سَتُعطيهِ لَهُم إن هُم اعتَنَوْا بِكَ وَأكثَروا مِنْ زيارَتِكَ والسُّؤالِ عَنكَ.

وفي اليَومِ التّالي زارَهُ ابنُه الأكبَر فَقادَهُ الأَبُ إلى غُرفَتِهُ حَيثُ الجَرَّةُ وَسَأَلَ الابنُ أَباهُ إن كانَ في حاجةٍ إلَى شَيء. فَأَكَّدَ الأَبُ لابنهِ أَنَّهُ بخَير، وَلا يَحتاجُ إلَى أَحَد. ثُمَّ رَفَعَ طَرفَ الحَصيرِ وَنَقَرَ عَلَى الجَرَّةِ، فَرَنَّت رَنينًا خاصًّا. فقالَ لَهُ: "أَتَسمَعُ؟" ما زِلتُ أَحتَفِظُ بِجَرَّةٍ كَبيرةٍ مِنَ المال"

طَمِعَ الوَلَدُ، وَرَغِبَ في أَن يَحصُلَ عَلَى أكبَر قَدرٍ مِن مالِ أَبيهِ الَّذي في الجَرَّة. فَأَرسَلَ زَوجَتَهُ لِتكنِسَ لأَبيهِ البَيْتَ وَتُرَتِّبَهُ، وَتَسهَرَ عَلَى رِعايَتِهِ، وَتَحمِلَ لَهُ الطَّعام. وَظَلَّ يزورُهُ كُلَّ يَومٍ وَيَطمَئِنُّ عَلَيه.

وفي اليومِ الثاني زارَهُ ابنُه الأَوسَط. وَفَعَلَ ما عَمِلَهُ أَخوه. ثُمَّ جاءَ ابنُه الثالِثُ وَعَمِلَ مِثلَ أَخَوَيْه. وَمُنذُ ذَلِكَ الوَقتِ كانَ الأبناءُ الثَّلاثَةُ يتنافَسونَ في زيارَةِ أَبيهم والعِنايَةِ بِه.

وَذاتَ يَومٍ زارَهُ صَديقُهُ لِيَطمَئِنَّ عَلَيه، فَرآهُ في أَحسَنِ حال، يَرتَدي ثِيابًا جَديدةً، وَوَجَدَ البَيْتَ نَظيفًا مُرَتَّبًا، والطعامَ عِندهُ كَثير، وَهَنَّأَهُ عَلَى حَياتِهِ الجَديدَةِ، فَشَكَرَ الأَبُ صاحِبَهُ عَلَى نَصيحَتِهِ الغالِيةَ.

عاشَ الأَبُ بَقِيَّةَ عُمرِهِ سَعيدًا باهتِمامِ أَولادِهِ، حَتَّى تَوَفّاهُ الله، وَبَعدَ أَن دَفَنَهُ أَولادُهُ، أَسرَعوا إلَى البَيتِ حَتَّى يَقتَسِموا ما في الجَرَّة. مَكَثوا ثلاثَةَ أيامٍ

يتنافَسون في تَوزيعِ مالِ أَبيهم. وَكانَ كُلٌّ منهم يَدّعي أَنَّه اعتَنَى بِوالِدِهِ أَكثَرَ مِن أَخوَيْه، وأَنَّ مِن حَقِّهِ أَن يَحصُلَ عَلَى أَكبَر نَصيبٍ مِن تَركَةِ والِدِه. وَبَينَما هُم مُختَلِفونَ يتَنَازَعون، دَخَلَ عَلَيْهم صَديقُ أَبيهم، فَقَصّوا عَلَيه ما هُم فيه مِن خِلاف، وَسَأَلوهُ رَأيَهُ.

خَلَبَ صَديقُ الوالِدِ مِن الابن الأَكبَرِ أَن يُخرِجَ الجرَّةَ مِن مَكانِها. فَأخرَجَها، ثُمَّ خَلَبَ مِنهُم أَن يَربِطوها بِحَبل، ويُعَلِّقوها في سَقفِ الدّار.

عَمِلَ الأَبناءُ بِنَصيحَةِ الرَّجُلِ، وَعَلّقوها في سَقفِ الغرفَة. ثُمَّ أَعطَى صديقُ الوالِدِ عصًا غَليظَةً لأَكبَرِ الأبناءِ، وَقالَ لَهُ: "اِضرب الجَرَّةَ بالعَصا. وَعَلَى كُلٍّ مُنكمُ أَنْ يَلتَقِطَ، ما يَستَطيعُ التِقاطَهُ مِمّا فيها. تَضايَقَ الأَولادُ مِن خَريقَةِ القِسمَةِ، وَلَكنَّهُم قَبِلوا الأَمرَ.

اِنتَظَرَ صَديقُ الوالِدِ في خَرَفِ الغُرفَةِ، وَوَقَفَ الأَبناءُ الثَّلاثَةُ تَحتَ الجَرَّةِ مُباشَرَةً، وَقد فَتَحَ كُلٌّ مِنهُم حِجرَهُ لِيَجمَعَ فيهِ أَكبَرَ قَدرٍ مِنَ المال. حَمَلَ الكبيرُ العَصا، وَلَوَّحَ بِها في الهَواءِ، ثُمَّ ضَرَبَ الجَرَّةَ ضَربَةً قَويَّةً، فَانفَجَرَت، وتَناثَرَ ما فيها مِن تُرابٍ وغُبار، وَسَقَطَ عَلَى الأخوة، فَصاحَ الثَّلاثَةُ وَأَسرَعوا نَحوَ البابِ لِيَنجوا بِأنفُسِهِم مِنَ الغُبارِ الّذي مَلأَ الغُرفَةَ.

١٣- جُنَيْهٌ بِمائةِ جُنَيْهٍ

اِصطادَ صَيّادٌ سَمَكَةً كَبيرَةً عَجيبَةَ الشَّكلِ، فَقَرَّرَ أَن يُهدِيَها إِلَى المَلِك.
حَمَلَ الصّيادُ السَّمَكَةَ، وَذَهَبَ إِلَى قَصرِ الملك وقال له: "أرجو أن تقبل مِنِّي هذه الهدية". وقدّم لَهُ السَّمَكَةَ. أُعجِبَ المَلِكُ بالسَّمَكَةِ وَمَنَحَهُ مائةَ جُنَيه.

كانَت زَوجَةُ المَلِكِ حاضِرَةً فَعاتَبَت زَوجَها عَلَى إسرافِهِ، وَقالَت إِنَّ هَذِهِ السَّمَكَةَ لا تُساوى هَذا المبلَغَ الكَبير.

أَخَذَ الصَّيّادُ الجُنَيهاتِ، وَشَكَرَ المَلِك. وَبَينَما كانَ يهبِطُ السُّلَّمَ رَأَى جُنَيهًا ذَهَبِيًا مُلقًى عَلَى الأَرضِ، فانحَنَى وَأَخَذَهُ. وَكانَت زَوجَةُ المِلِكِ تُراقِبُهُ في تِلكَ اللَّحظَة، فَقالَت لِلمَلِكِ: "إِنَّ هذا الصَّيّادَ جَشِعٌ خَمّاع. لَقَد مَنَحتَهُ مائةَ جُنَيهٍ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَد وَجَدَ جُنَيهًا مُلقًى عَلَى الأَرضِ، وانحَنَى وَأَخَذَهُ.

اِستَدعَى المِلِكُ الصَّيّادَ، وقالَ لَهُ: "كَيفَ امنَحُكَ مائةَ جُنَيه، ثم تَجِدُ جُنَيهًا عَلَى الأَرضِ فَتَلتَقِطُه؟!" فَأَجابَ الصّيّادُ عَلَى الفَور: "إِنَّ هَذا الجُنَيه – يا جَلالَةَ المَلِكِ – مَنقوشٌ عَلَيه اسمُكَ مِن جانِبٍ وَصورَتَكَ مِن جانِبٍ آخَر، فإذا تَرَكتُهُ مُلْقًى عَلَى الأَرضِ وَداسَتهُ الأَرجُلُ، فَهِى إمّا أَن تَدوسَ صورَتَكَ وإمّا أَن تَدوسَ اسمَك. وَلِهذا فَقَد رَفَعتُهُ مِن عَلَى الأَرض."

أُعجِبَ المَلِكُ بإجابَةِ الصَّيّادِ، وَمَنَحَهُ مِائَةَ جُنَيهٍ أُخرَى.

١٤- جائِزَةٌ ثَمينَةٌ

اعتادَ رَجُلٌ اسمُهُ "خَريف"، أَنْ يجلِسَ في الشارِعِ، يُحَدِّثُ الناسَ، وَيَقُصُّ عَلَيْهِم الحكاياتِ المسلِّية، وَيَحْكِي الفُكاهاتِ المضحِكةَ... وكانَ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُهُ أَوْ يَراهُ يَضْحَك... وكانَ خَريفٌ يعيشُ مِمَّا يَدْفَعُهُ لَهُ المتفرِّجونَ والمُعجَبون.

وذاتَ يوم.. جَلَسَ خَريفٌ قَريبًا مِنْ قَصْرِ السُّلْطان، ورآهُ أَحَدُ غِلْمان القَصْرِ، فَأُعْجِبَ بِهِ، وَحَدَّثَ السُّلْطانَ عَنْه، فأَحَبَّ السُّلْطانُ أَنْ يَرَى هَذا الرَجُلَ الظَّريفَ.

ذَهَبَ الغُلامُ إلَى خَريف، وقالَ لَهُ: "إنَّ السُّلطانَ يَرْغبُ في أَنْ يَسْتَمِعَ إلَى فُكاهاتِكَ ونَوادِرِك..." واشتَرَطَ الغلامُ عَلَى خَريفٍ أَنْ يُعْطِيَهُ نِصْفَ الجائزةِ التي سَيُقَدِّمُها ولَكني لا أُوافِقُ عَلَى أَنْ تَأْخُذَ مِني نِصْفَ الجائِزَة... فالنّصِفُ كثير.. وأنا رجلٌ فقيرٌ مُحتاج.. فَخُذْ سُدسَ الجائِزةِ... أو رُبعَها عَلَى الأكثَر.

كانَ غلامُ السُّلطان خَمّاعًا، فَرَفَضَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ خريفٍ أَقَلَّ مِنَ النِّصْف.. وخالَ بَيْنَهما الخِلافُ والكلامُ... تضايَقَ خَريفٌ مِنْ خَمَعِ الغُلام... وَوَافَق عَلَى خَلَبِهِ في النهاية.!

سار الاثنان حتى دَخَلا قَصْرَ السُّلطان... ووقفَ خَريفٌ أمامَ السَّلطانِ وانصرفَ الغُلاَم. قالَ السلطانُ: "بَلَغَني يا خَريفُ أَنَّكَ تحكِي حكاياتٍ عَجيبةً ونوادِرَ ظَريفة".. فَقُلْ ما عِنْدك. ولَكَ عِندي جائزةٌ ثمينةٌ إذا أضحكتني... لَكنْ .. ماذا لي عِنْدَكَ إذا لَمْ أَضْحَكْ؟!"

قالَ خَريف: "إذا لم تضحَكْ – يا مولاي – فاجْلِدْني عِشرين جَلدةً" قالَ السُّلطانُ: "هَيّا يا خَريفُ أَسْمِعْنا.."

أَخَذَ خَريفٌ يحكي النوادِرَ والفُكاهاتِ .. نادرةً نادرة.. وفُكاهةً بَعْدَ فُكاهة... حتى انتَهى ما كانَ يعرفُه مِنْ حِكايات.. وكانَ جَميعُ الحاضِرين مِنْ خَدَمِ السُّلْطان يضحكونَ خَوالَ الوَقت... أَمّا السلطانُ فلَمْ يبتَسِمِ ابتسامةٌ واحِدةٌ لأَيةِ نادرةٍ مما سمِع..

أخيرًا... قالَ خريفٌ في أَسَف: "يا مولاي السلطان... لقد انتهَى كُلُّ ما أَعْرف... ويَكادُ رأسي أَنْ يَنْفَجِرَ مِنَ الصُّداع. ولا تبقى عِندي إلاَّ نادرةٌ واحدة... لَقَدْ وَعَدْتَني أَنْ تَجْلِدَني عَشْرَ جَلْداتٍ إنْ لَمْ أستَطِيع إضحاكَكَ... وأَنا أَطْلُبُ مِنكَ الآنَ أَنْ تَزيدَ عليْها عَشرًا أُخرى..."

فتعجَّبَ الخليفةُ مِنْ طَلَبِهِ هَذا، وكادَ يَضْحَكُ ... لكنَّهُ كَتَمَ الضَّحِكَ.

نادَى الخليفةُ الحارسَ، وَطَلَبَ مِنهُ أن يَجْلِدَ خَريفًا عِشرينَ جَلْدَةً... بَدَأَ الحارسُ في جَلْدِ خَريف.. حَتَّى وَصَلَ إلى عَشْرِ جَلْدات. عِنْدَئِذٍ صاحَ خَريفٌ قائلاً: "يا سيّدي... كلمةً واحدة" فأمَرَ السلطانُ حارسَهُ أَنْ يَتَوَقَّفَ عَنِ الجَلْد، ثُمَّ التَفَتَ إلى خريفٍ وَسَأَلَهُ: "ما كَلِمَتُكَ يا خَريف؟ ماذا تريدُ أَنْ تَقول؟" أجابَ خريف "يا سيدي.. لَيْسَ في الدنيا أَحْسَنُ مِنَ الأمانة... ولا أَقْبَحُ مِنَ الخِيانة.. وقد اتَّفَقَ مَعي الغلامُ الذي أَدْخَلَني عَلَيْكَ أَنْ أُعْطِيَهُ نِصفَ الجائِزة.. وَقَدْ نِلْتُ الآنَ نِصْفَها... وَبَقِيَ لِغُلامِكَ نِصْفُها الآخَر!!"

ضَحِكَ السُّلْطانُ حتى كادَ أن يَستَلْقِيَ عَلَى ظَهرِه. وَلَمّا فَرَغَ من الضَّحِكِ نادَى غُلامَهُ، وقالَ للحارس: "أَيُّها الحارس.. اِجْلِدْ هَذا الغُلامَ عَشْرَ جَلْداتٍ" خافَ الغُلامُ وقالَ للسُّلْطان: "ماذا فَعَلْتُ يا سيدِي حَتى تَجْلِدَني عَشْرَ جَلْداتٍ؟ ماذا جَنَيْتُ يا مولاي؟" ابْتَسَمَ السلطانُ ونَظَرَ إلى خَريف، فقالَ خريفٌ للغُلام: "هذه جائِزَتي الّتي كافَأَني بها السلطان... وأنتَ شَريكي كما اتفقنا.. وقد وَصَلَني نِصفُها... وبَقِيَ أَنْ تَأخُذَ نِصفَها بالتمام والكمال!!"

بَدَأَ الحارسُ في جَلْدِ الغُلام، فاقْتَرَبَ مِنْهُ خَريف وقال: "قُلْتُ لَكَ إني فَقيرٌ مُحتاج.. وَرَجَوْتُكَ أَنْ تأخُذَ رُبْعَ الجائزةِ فَلَمْ تقبل.. هَيّا تمتعْ بالنِّصْف.. لَعَلَّكَ تَشْبَع!!"

ضَحِكَ السلطانُ، وَأَخْرَجَ كيسًا مِنَ النقود، وقال لِظَريف: "هَذا الكيسُ لَكَ... فَقَدْ أَضْحَكْتَني رَغْمًا عَنّي.!!"

أَخَذَ خَريفٌ كيسَ النقودِ.. وَشَكَرَ السلطانَ... وانْصَرَفَ سَعيدًا.

١٥- العِفريتُ وَالفَلاّح

غَضِبَ عِفريتٌ وَتَضايَقَ عِندَما سَمِعَ أَنَّ الإنسانَ أَفضَلُ مِنَ العِفريت. قَرَّرَ العِفريتُ بَينَهُ وَبينَ نَفسِهِ أَن يَكونَ الأفضلَ. جلس العفريت يتفرَّجُ عَلَى النّاس. رآهُم ضِعافًا وَكَسلانين وَحَرَكَتَهُم بَطِيئَة... يَجوعون أحيانًا وَيَأكُلون... وَيَعطَشونَ أَحيانًا وَيَشرَبون، عَلَى حينِ لا يَجوعُ العَفاريتُ ولا تَعطَش، وَتَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ كالبَرق.

غَيرَ أَنَّ العِفريتَ وَجَدَ أَنَّ الإنسانَ يَمتازُ بِأمْرٍ لا تَتَمَتَّعُ بهِ العَفاريت... وَجَدَ أَنَّ الإنسانَ يَعمَلُ... أي يُؤدّي عَمَلاً. قرَّر العِفريتُ أن يعمَلَ مِثلَ الإنسانِ حَتَّىَ تَكتَمِلَ صِفاتُهُ، وَيَصيرَ أَفضَلَ مِن بَني آدَم.

ذاتَ يَوم. خَلَعَ العِفريتُ لِرَجُلٍ فَلاّحٍ يَعمَلُ في حَقلِه. خافَ الفَلاّحُ وَسَأَلَهُ: "مَن أنتَ؟"

قالَ العِفريتُ: "أَنا عِفريت".

سَأَلَ الفَلاّحُ: "وماذا تريدُ مِنّي أَيُّها العِفريتُ؟"

أجابَ العِفريتُ: "أُريدُ أن أَعمَلَ مَعَكَ"

قالَ الفلاحُ: "إذا أَردَتَ أن تَعمَلَ مَعي فَلي شَرْطٌ واحِد."

سَأَلَهُ العِفريت: "وما هُوَ؟"

قالَ الفلاحُ: "نَقتَسِمُ العَمَلَ بَينَنا... وَنَقتَسِمُ المَحصولَ كَذَلِك."

قالَ العِفريت: "مُوافِق".

قالَ الفَلاّح: "واحِدٌ مِنا يُقَسِّمُ العَمَلَ... والآخَرُ يَختارُ"

وَوافَقَ العِفريتُ عَلَى شَرطِ الفَلاّح.

سَأَلَهُ الفَلاحُ: "أَتُحِبُّ أن تقسِّمَ العَمَلَ أَم تَختار؟" لم يَكنُ العِفريتُ يَعرِفُ كَيفَ يُقَسِّمُ العَمَلَ لأَنَّهُ لم يَكُن يَعرِفُ ما العَمَلَ.

قالَ لِلفلاّح: "أَنتَ تُقَسِّم وَأَنا أَختار"

سَأَلَهُ الفَلاّحُ: "هَل تُحِبُّ أَن تُحدِّدَ لي العَمَلَ وَأنا أَقومُ بِه، أَو أَن أُحَدِّدَ أَنا العَمَلَ، وَأَنتَ تَعمَلُه؟"

قالَ العِفريت: "حَدِّد أَنتَ العَمَلَ، وَأَنا أَعمَلُه".

قالَ الفَلاّحُ: "إذَن... اُحرُثِ الأَرضَ."

سألَهُ العِفريتُ: "وما مَعنَى أن أَحرُثَ الأَرضَ؟"

قالَ لَهُ الفلاحُ وَهُوَ يُشيرُ إِلَى المِحراثِ: "تعني أَن تَجعَلَ مِن أصابِعِكَ العَشَرَةِ مِثلَ هَذا السِّلاح، ثُمَّ تَغرزَها في الأرضِ بِقُوَّة، وَتَسيرَ مِن أَوَّلِ الحَقلِ إِلَى آخِرِه.. ذَهابًا وَعَودَة.. عِدَّةَ مَرّات... بِهذا تَكونُ قَد حَرَثتَ.."

وَبِسُرعَةٍ.. مَدَّ العِفريتُ أَصابِعَهُ العَشَرَةَ.. وَجَعَلَها حادَّةً مِثلَ سِلاحِ المِحراثِ.. وَغَرَزَها في الأرض... انطَلَقَ العِفريتُ كالرّيح... وقلَّبَ التُّربَةَ في لَمحِ البَصَرَ.. وَأسرَعَ نَحوَ الفَلاّح وقالَ: "أَنا حَرَثتُ"

قالَ لَهُ الفلاّح: "عَلَيكَ بَعدَ ذَلِكَ أَن تُسَوِّيَ الأَرض"

سَأَلَهُ العِفريتُ: "وما مَعنَى أَن أُسَوِّيَ الأَرضَ؟"

قالَ الفلاحُ: "أَي تفردُ ذراعَيك الاثنَتَيْن... وتسوّي الأرض حَتَّى لا يَبقَى فيها مُرتَفَعٌ ولا مُنخَفَض".

انطَلَقَ العِفريتُ فَوقَ سَطحِ الأَرضِ يُسَوّي التُّربَةَ بِهِمَّةٍ وَنَشاطٍ حَتَّى جَعلَها مُستَويةً مِثلَ سَطحِ الماء، ثُمّ جاءَ لِلفَلاّحِ وقالَ : "أَنا سَوَّيْتُ الأرضَ."

قالَ لَهُ الفَلاّحُ: "والآنَ... ابذُر الحَبَّ."

سَأَلَهُ العِفريتُ: "وما مَعنَى أن أَبذُرَ الحَبَّ؟"

قالَ الفَلاّحُ: "أَن تَأخُذَ حَبّاتِ القَمحِ وَتَنثُرَها عَلَى الأَرض.. بِحَيثُ تَدفِنُ كُلَّ حَبَّةٍ عَلَى بُعدٍ يُساوي إصبَعي هَذا... فَلا تَبقَى فَوقَ سَطحِ الأرضِ.. وَلا تغوصُ كَثيرًا في جَوْفِها.."

بَذَرَ العِفريتُ الحَبّ كَما قالَ الفَلاّحُ، فَلَم تَبْقَ حَبَّةٌ فوقَ سَطحِ الأرض... وَلَم تَندَفِن أخُرىَ كَثيرًا، وَتَختَفي بعيدًا في جَوْفِ الأرض.

أَسـرَعَ العِفـريتُ نَحـوَ الفَـلاّحِ وقـالَ: "أنَـا بَـذَرْتُ الحَـبّ" قـالَ الفَـلاّحُ: "جَميل... يَنبغي الآنَ أَن نَنتَظِرَ دَوْرَنا في الحُصول على الماءِ لِنَرويَ الأرض. فَلابُدَّ أَن يرويَ العُمدَةُ أولاً... ثُمَّ شَيخُ الغَفَر... ثُمَّ أَغنياءُ البَلَد.. وأَخيرًا يأتي دَورُنا." فكَّرَ الفَلاّحُ قليلاً وَقالَ للعِفريت. "هَل تَستَطيعُ أَن تَجعَلَ مِن نَفسِكَ ماسورة أو أُنبوبًا طَويلاً تَمتَدُّ تَحتَ الأَرضِ حَتَّى تَصِلَ إلَى النيل... وَتَجلِبَ لَنا الماءَ لِنَسقِيَ بِهِ الزَّرعَ.. ولا نَنتَظِرَ مُدَّةً طَويلَة..."

وفي لَحظَةٍ ... ثَقَبَ العِفريتُ الأَرضَ... وَظَلَّ يَمتَدُّ... وَيَمتَدُّ تَحتَها حَتَّى وَصَلَ إلَى النّيل... فَتَدَفَّقَ الماءُ في الماسورَة... وَجَرَى إلَى الحَقل... وارتَوَتِ الأرضُ. عِندَئِذٍ قالَ لَهُ الفَلاّحُ: " يَكفي عَملُ اليَوْم.. اِذهَب الآنَ... وارجِعْ غَدًا... سَأَكونُ في انتِظارك.."

وَفي كُلِّ يومٍ كانَ الفَلاّحُ يَطلُبُ مِنَ العِفريتِ طَلَبًا جَديدًا أَنْ يُنظِّفَ الأَرضَ مِنَ الحَشائِشِ أَو ينقيها مِنَ الدّود.. أو يُخَلخِلَ التُّربَةَ لِتَهويَةِ الجُذور.

القَمحُ – من شِدَّة العِنايَةِ بِهِ – تَرَعرَعَ وَطالَت سوقُه حَتَّى أَصبَحَت حَبَّةُ القَمحِ في مِثلِ حَجمِ حَبَّةِ الذُّرَة. وَحينما نَضِجَ القَمحُ وَصارَ في لَون الذَّهَب، نادَى الفَلاّحُ العِفريتَ، وقالَ لَهُ: "الحَمدُ لِلّه .. كُلّ سَنَةٍ وأَنتَ طَيِّب ... نَضِجَ القَمحُ وَاستَوَى... وَلا يَبقَى إلاَّ أَن نَجنِيَ المَحصولَ، وَيَأخُذَ كُلٌّ مِنّا نَصيبَهُ. هَل تُحِبُّ أَن تُقَسِّمَ – أنتَ – وأختارَ، قالَ العِفريتُ: "أَنت تقسِّمُ وَأنا أَختار"

سَأَلَهُ الفَلاّح: "هَل تُحِبُّ أَن تَأخُذَ الرُّبْعَ الَّذي في الأَعلَى أَو ثَلاثَةَ الأَرباعِ الَّتي في الأَسفَل؟"

ردَّ العِفريتُ مِن فَوْرِهِ: "آخُذُ ثَلاثَةَ الأَرباعِ الّتي تَحت".

قالَ الفلاحُ: "إذَن اقطعْ الرُّبعَ الَّذي في أَعلَى أعوادِ القَمح، واحمِلْهُ إلَى بَيتي، ثمَّ خُذ – أَنتَ – ثَلاثَةَ الأَرباعِ الّتي تَحتَ لِنَفسِك."

فَرِحَ الفَلاّحُ لأَنَّهُ كانَ يَعرِفُ أَنَّ حَبّاتِ القَمحِ لا تَكونُ إلاّ في الجُزءِ الأَعلى مِن أعوادِ القَمح، أَمّا الباقي فَهُوَ تِبنٌ لا قيمةَ لَهُ، يُستَخدَمُ في طَعامِ الحَيوانات. قَطَعَ العِفريتُ الرُّبعَ الّذي في الأَعلَى، وَنَقَلَ القَمحَ إلَى بَيتِ الفَلاّح. ثُمّ وَقَفَ أَمامَ الباقي يَنظُرُ إلَيه وَيُفكِّرُ ماذا يَفعَلُ بِه. قالَ لِنَفسِهِ:

"الأَفضلُ أَن أَرَى ما يَفعَلُ الفَلاّحُ بِنَصيبِهِ، وَأَعمَلَ مِثلَه".

اِختَبَأَ العِفريتَ حَتَّى لا يَراهُ الفَلاّحُ، وَراحَ يُراقِبُهُ... رآهُ يَملأُ الأَكياسَ بِالقَمحِ وَيَحمِلُها إلَى السّوق، وَيُقبِلُ عَلَيهِ النّاسُ يَشتَرونَ مِنهُ قَمحَهُ النَّضِير، ثُمَّ يَشتَري بِثَمَنِهِ المَلابِسَ الجَميلَةَ لأَولادِهِ وَحُلِيَّ الذَّهَبِ لِزَوجَتِهِ، ثُمَّ يَرجِعُ إلَى البَيتِ فَرِحًا مَسرورًا.

ظَهَرَ العِفريتُ في السّوق في صورَةِ أَحَدِ التُّجّار، وَحَمَلَ التِّبنَ في أَكياس، وَأَخَذَ يَدورُ عَلَى النّاس. كانَ كُلُّ مَن يَراهُ يَضحَكُ مِنهُ وَيَسخَرُ، فَلَم يَسبِق لَهُم أَن رأَوْا التِّبنَ يُعَبَّأ في أكياس. رَجَعَ العِفريتُ إلَى بيتِ الفَلاّحِ خائِبًا، وَراحَ يُراقِبُهُ مِن بَعيد، فَرآهُ يَضَعُ بَعضَ القَمحِ في كيس، وَيَحمِلُهُ إلى الطّاحونَة. وَهُنَاكَ يَطحَنُ القَمحَ وَيعودُ بالكيس مَملوءًا بالدَّقيق، فَتصنَعُ زَوجَتُهُ مِنهُ الخُبزَ والحَلوَى اللَّذيذَة، فَيَأكُلُ هُوَ وَأُسرَتُه.

ظَهَرَ العِفريتُ في شَكلِ رَجُلٍ، وَتَناوَلَ كيسًا مِنَ التِّبن، وَحَمَلَهُ إلى الطّاحونَة. هُناكَ ضَحِكَ مِنهُ النّاسُ وَسَخِروا، وَطَرَدَهُ الطَّحّانُ إذ ظَنَّ أَنَّهُ يُريدُ إتلافَ الطاحونَةِ وَتخريبَها.

رَجَعَ العِفريتُ إلَى الفَلاّحِ حَزينًا يَسأَلُهُ: "ماذا أَفعَلُ بِنَصيبي هَذا؟" كانَ الفَلاّحُ يَعرِفُ أَن العَفاريتَ لا تأكُلُ مِثلَ الإنسان، فقالَ لَه: "إذا لم يُعجِبْكَ التِّبنُ.. فَبيتي مَفتوحٌ لَكَ.. تعالَ في أَيِّ وَقتٍ .. وكُلْ ما تشاءُ مما لَذَّ وَطاب... فَكُلُّ ما عِندي مِن طَعامٍ وَشَرابٍ لَك." تأثَّرَ العِفريتُ مِن كلامِ الفَلاّحِ وَشَكَرَهُ بِحرارَةٍ عَلَى كَرَمِه.

قالَ الفلاحُ: "أنتَ شَريكي، وَلابُدَّ أن نَزْرَعَ القُلقاسَ أَو البَطاطِسَ أَو الجَزَر".

قالَ العفريتُ: "نَزرَعُ البَطاطِسَ"

طَلَبَ الفلاحُ مِنَ العِفريتِ أَن يَحرُثَ الأَرضَ ويُسَوِّيَها ويَحفِرَها، ويَضعَ الحباتِ الّتي سَتنمو وتُصبِحُ بَطاطِس، فَفَعَل. كانَ كُلَّ يومٍ يُنَظِّفُ الأَرضَ مِنَ الحشائِشِ، وَينقيها مِنَ الدّود، وَيُعالجُها مِنَ الأَمراضِ.. وَيرويها بالماءَ.. إلى أن كَبُرَت البطاطِسُ، وَصارَت في حَجمِ البطِيخ.

حانَ مَوعِدُ الجَنْي، فَنادَى الفَلاّحُ العِفريتَ، وَقالَ لَهُ: "كُلُّ سَنَةٍ وأنتَ طَيِّب... هَيّا نجمَعِ البَطاطِسَ.."

سَأَلَهُ العِفريت: "وما مَعنَى: نَجمَع؟"

قالَ الفَلاّحُ: "نُخرِجُ المَحصولَ، وَكُلٌّ مِنّا يَأخُذُ نَصيبَهُ.

هَل تُحِبُّ أَن أُقَسِّمَ وَأَختارَ، أَو تُقَسِّمَ أنتَ وأختار؟"

قالَ العِفريت: "أَنا أقَسِّمُ وَأَنتَ تَختار... أتحِبُّ أَن تَأخُذَ ثلاثةَ الأَرباعِ الَّتي فَوق... أَمِ الرُّبعَ الّذي تَحتَ؟

كانَ الفَلاّحُ يَعرف جَيِّدًا أَنَّ ثِمارَ البَطاطِسَ تَكونُ مَدفونَةً تَحتَ الأَرضِ بِعَكسِ القَمح، أَمّا أَوراقُهُ الّتي فَوقَ الأرضِ فَلَيسَ لَها أَيةُ فائِدَة، فَقالَ عَلَى الفَوْر "آخُذُ الرُّبعَ الَّذي تَحت... وَخُذِ ثلاثَةَ الأَرباعِ الَّتي فَوق"

فَرِحَ العِفريتُ بِهذِهِ القِسمَةِ وتَهَلَّلَ... وبِالطَّبعِ خابَ أَمَلُهُ هَذِهِ المَرَّةَ أيضًا.

ظَلَّ الفَلاّحُ يَطلُبُ مِنَ العِفريتِ أَعمالاً كَثيرَةً... وَسَخَّرَهُ في بِناءِ بَيتٍ جَميلٍ لَهُ.. وكانَ العِفريتُ يَعمَلُ ولا يَتعَبُ... لَكِنَّهُ لا يَستَفيدُ مِن عَمَلِه.. أَمّا الفَلاّحُ فكانَ مُحتاجًا لِلعَمَلِ لِيَسكُنَ وَيَأكُلَ وَيلبِس... وَمُنذُ أَن جاءَهُ العِفريت وَهو لا يَعمَلُ إلاّ مُعَلِّمًا.. يُعَلِّمُ العِفريتَ كَيفَ يَزرَعُ... وَكيفَ يَبني... وَكَيفَ يَغزِلُ الصّوفُ والقُطن... وكانَ العِفريتُ يَصنعُ لَهُ كُلَّ شَيء.. وَالفَلاّحُ هُوَ المُستفيدُ دائِمًا.

١٦- الغَبِيَّتان

كـانَ لأَحَـدِ التُّجّار زَوجَـةٌ سَـمّاها الناسُ رَزيَّـةَ لِغَبائِها. تضايَقت رَزيَّةُ مِن اسمِهـا، وَتَمَنَّت لَـو أَنَّهـا استطاعَت أن تَـستَبدِلَ بِـهِ اسمًا آخَـرَ. وَبَينَـما كانَت تُفكِّرُ في الأَمـرِ مَرَّ رَجُلٌ تَحـتَ شُبّاكِها يُنادي: "أَسماءُ لِلبَيع.. أسماءُ لِلبَيع." نـادَت رَزيَّـةُ الـرَّجُلَ وَخَلَبَت مِنه أَن يَبيعَها اسمًا، واختارَت اسمَ زُبَيدَة. باعَها الرَّجُلُ الاسم، وَقَدَّمت لَهُ بَقَرَةَ زوجِها ثَمَنًا لِلاسم.

عـاد الـزَّوجُ التّاجِرُ، وَدَخَـلَ البَيتَ ونـادَى: "يـا رَزيَـة يـا رَزيَّـة." فَأَجابَتْهُ الزَّوجةُ بِأنَّ اسمَهـا صـارَ زُبَيدَةَ وَلَيسَ رَزيَّة، فَهـذا هُـوَ الاسـمُ الجَديـدُ الَّذي اشـتَرَتهُ. ثُـمَّ قَـصَّت عَلَى زَوجِها ما حَدَث. غَضِبَ التّاجِرُ لِضَياعِ بَقَرَتِهِ، وَثارَ وَتَرَكَ البَيت، وَمَشَى في الطَّريق.

وفي أثنـاء سَيرِهِ بينَما كانَ يَمُرُّ بِجوارِ قَصرٍ سَمِعَ امرأَةً تَبكي وَهِي تُطِلُّ مِنَ الـشُّبَّاك. اِلـتَفَتَ التّاجِرُ إِلَـيها، فَـسَأَلَته: "مِـن أَيـنَ أَنـتَ قـادِم؟ وإِلَـى أَيـنَ أَنـتَ ذاهِب؟"

فأجابهـا التّاجِـرَ بِصَوتٍ حَزين: "أَنا قادِمٌ مِن جَهَنَّم وَراجِعٌ إِلَى جَهَنَّم." في الحـالِ سَأَلَتهُ المرأةُ: "وهـل رأيتَ أَبي الّذي ماتَ مُنذُ يومَين؟" فَأجابها: "نَعَم، رَأَيتُه." فَسَأَلَتهُ: "وَهَل كانَ في حاجَةٍ إِلَى شَيء؟" فَهِمَ الرَّجُلُ أَنَّ المرأَةَ ساذَجَة، وَرَأَى أَن يَستَغِلَّ سَذاجَتَها فقالَ لَها: "نَعَم – يا سَيِّدَتي – أَبوكِ في أَشَدِّ الحاجَةِ إلى النُّقودِ والمَلابِس."

أَسرَعَتِ المرأةُ وَأحضَرَت بعضَ النُّقودِ والمَلابِسِ وَسَلَّمتهَا لَهُ. أَخَذَ الرَّجُلُ النُّقودَ والمَلابِسَ وانـصَرَفَ، وَهُوَ مُتَأَكِّدٌ مِن أَن زَوجَها سَيَلحَقُ بِهِ عِندمَا يَعلَمُ بِالأَمر. ولَـم يَمضِ وَقـتٌ طَويلٌ حَتّى سَمِعَ التّاجِرُ وَقعَ أَقدامِ حِصان، فَأَسرَعَ إِلَـى حَقـلٍ قَـريبٍ لِيختَبِئَ فيه. وَهـناكَ قابَلَ فَلاّحًا يُديرُ ساقِية، فأسرَعَ وأَخبَرَ الفَـلاّحَ أَنَّ هُناكَ مَـن يَبحَثُ عَنه وَيُريدُ أَن يُؤذِيَه. خافَ الفَلاّحُ وَتَرَكَ السّاقِيةَ كَأَنَّهُ يُديرُها.

وَصَلَ الزَّوجُ الغاضِبُ راكِبًا حِصانَهُ، فَلَمّا رَأَى التاجِرَ وَهُوَ يُديرُ السّاقِيَةَ سَأَلَهُ: "هَل رَأَيتَ رَجُلاً يحمِلُ أَمتِعَةً يَمُرُّ مِن هُنا؟" فَرَدَّ عَلَيهِ قائِلاً: "نَعَم، رَأيتهُ. وَهُوَ مُختَبِئٌ هُناكَ خَلفَ تِلكَ الشَّجرَةِ الكَبيرةَ." وَأَشار إلَى المكانِ الَّذي اختَبَأَ فيه الفَلاّح.

تَرَكَ الرَّجُلُ حِصانَه، وَسارَ وَسطَ الزَّرعِ نَحو الشَّجَرَة. وَبِسُرعَةٍ رَكِبَ التّاجِرُ الحِصانَ حامِلاً مَعَهُ ما قَدَّمَتْهُ لَهُ الزَّوُجةُ السّاذَجَةُ وَذَهَبَ إلَى بَيتِه. رَجَعَ الزَّوْجُ إلَى حِصانِهِ وَلَم يَجِدْهُ، فَعَرَفَ أَنَّه كَذَلِكَ راحَ ضَحِيَّةً لِحيلَة.

دَخَلَ التّاجِرُ عَلَى زَوجَتِهِ وَناداها: "أَبشِري يا زُبَيدَة، لَقَد وَجَدتُ رَزِيَّةً أَكبَرَ مِنكِ" وَعادَ الزّوجُ إلَى قَصره، وَرَأَتْهُ زَوْجَتُهُ سائِرًا عَلَى قَدَمَيْه، فَسَأَلَتْهُ: "أَينَ حِصانُكَ يا زَوجي العَزيز؟" فَأَجابَها الزَّوجُ قائِلاً: "لَقَد سَلَّمتُهُ إلَى الرَّجُلِ الَّذي أَعطَيتِهُ المَلابِسَ والنُّقودَ حَتَّى يُوصِّلَها إلَى أَبيكِ بِسُرعَةٍ – يا زَوْجَتي الحَبيبَة!!"

١٧- اِبنُ المَوز

كـان رجـلٌ أَحدَبَ كَبيرَ السِّنِّ يعيشُ وَحيدًا علَى جَبَلٍ. وكانَ يَتَمَنَّى أَن يَرزُقَهُ اللهُ وَلَدًا. زَرَعَ الأَحدَبُ شَجَراتِ مَوزٍ كانَت تَطرَحُ مَوزًا لَذيذَ الطَّعم. وكـانَ الأحدبُ يَقطِفُ المَوزَ، وَيَحمِلُهُ إِلَى السّوقِ لِيَبيعَهُ، وَيَشتَرِيَ ما يَلزَمُهُ مِن أُرزٍ وَزَيتٍ وَمِلحٍ وَغيرِ ذَلِكَ مِن لَوازِمِ البَيْت.

وَفِي إِحْدَى السَّنوات، نَزَلَت أَمطارٌ كثيرةٌ، وهَبَّت ريحٌ قَويَّة، فَذَبَلَت أشجارُ المَوزِ وماتَت، فَخَزِنَ الأحدَبُ حُزنًا شَديدًا وَهُوَ يَنظُرُ إِلَى أَشجارِ المَوزِ الذّابِلَة.

وفي رَبيعِ العامِ التالي نَبَتَت إحدَى شَجَراتِ المَوز. فاعتَنَى بها الأحدَبُ وَرَعاها، وَظَلَّ يَرويها كُلَّ يَومٍ بالماء، وَيَضَعُ حَولَها السِّمادَ حَتَّى أَثمَرَت لَهُ حَبَّةَ مَوزٍ كَبيرة. كَبُرت الموزَةُ، وصارت في حَجمِ شَمَّامَةٍ كَبيرَة. وفي يومٍ من الأيامِ انشقّت الموزةُ وَخَرَجَ مِنها طِفلٌ جَميل. فَرِحَ الأَحدَبُ وَسُرَّ بالمولودِ الصغيرِ سُرورًا عظيمًا، وَسَمّاه: اِبنَ المَوز. وَكانَت أَوَلُ كلِمَةٍ يَنطِقُ بها الصَّغيرُ: "بابا."

كَبُرَ الغُلامُ، وَأَخَذَ يساعِدُ أباه. وبِمُرورِ الأَيّامِ زادَ تقوّسُ ظَهرِ الأَحدَبِ، فَتَأَلَّمَ الغُلامُ لِرُؤيَتِهِ أَلَمًا شَديدًا. ذَهَبَ الغُلامُ الاِبنِ وقالَ: "أنا ذاهِبٌ – يا والِدي – أَبحَثُ لَكَ عَن دَواءٍ يَشفيك"

غادَرَ الغُلامُ القَريةَ، وسارَ يَتَنَقَّلُ مِن مَكانٍ إِلَى مَكان، وَيَسأَلُ كُلَّ مَن يقابِلُهُ عَنِ الدّواءِ الشّافي، لَكِنَّهُ لَم يَجِد ما يُريد. تَعِبَ الغُلامُ، وتوَرَّمَت قَدَماهُ مِن كَثرَةِ المَسير، وَلَكِنْ لَم تَضعُف عَزيمَتُه.

وَذاتَ يَومٍ وَصَلَ الغُلامُ إِلَى غَديرِ ماء، وَشاهَدَ فَتاةً جَميلَةً تُمَشِّطُ شَعرَها الطَّويل. قالَ الغُلامُ للفَتاةِ "لَقَد سِرتُ المسافاتِ الطَّويلَةَ، وَتَحَّملتُ المَشاقّ والصّعوبات وَأَنا أبحثُ عَن دواءٍ لِعِلاجِ ظَهرِ والِدي، وَلَكِنْ مِن غَيْرِ فائِدَة"

أُعجِبَتِ الفَتاةُ بالغُلام، فهو طَيِّبُ القَلبِ بارٌّ بِوالِدِه. وقالَت لَهُ: "هُناكَ عَلَى ذَلِكَ الجَبَلِ الشَرقِيِّ كَهفٌ بِداخِلِهِ لؤلُؤَةٌ سِحرِيَّةٌ تَشفي كُلَّ مَرَضٍ وَداء."

أَسرَعَ الغُلامُ نَحوَ الجَبَل، وَسارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الكَهف بَحَثَ الغُلامُ وَوَجَدَ بِداخِلِهِ اللُّؤلُؤَةَ.

أَخَذَ الغُلامُ اللُّؤلُوةَ، وَسارَ عائِدًا نَحوَ قَريَتِهِ وفي الطّريق قابَلَ راعِيًا يَبكي. اقتَرَبَ الغُلامُ مِنَ الرّاعي، وَعَرَفَ مِنهُ أَنَّ ثَوْرًا كَسَرَ ذِراعَه. رَقَّ قَلبُ الغُلامِ لِلرّاعي الجَريح، وَوَضَعَ اللُّؤلُؤة، في فَمِه. اِبتَلَعَها الرّاعي فَصارَ ذِراعُهُ سَليمًا.

عادَ الغُلامُ يَبحَثُ مِن جَديدٍ عَنِ الفَتاة. وَجَدَها الغُلامُ وَقَصَّ عَلَيها ما حَدَثَ. قَالَتِ الفَتاةُ: "هُناكَ عَلَى قِمَّةِ الجَبَلِ الغَربِيِّ نَبتَةٌ بَيضاءُ تَشفي الجِسمَ مِن أَيِّ مَرَضٍ أَو داء."

أَسرَعَ الغُلَامُ إِلَى قِمَّة الجَبَل، وَقَطَفَ النَّبتَةَ البَيضاءَ. وفي طَريقِ العَوْدَةِ وَجَدَ صَيّادًا كبيرَ السِّنِّ ملقىً عَلَى الأرَضِ، وَساقُه تَحتَ جِذعِ شَجَرَةٍ ضَخمَةٍ، يَبكي مِنَ الأَلَم. أزَاحَ الغُلامُ الجِذعَ، وَوَضَعَ النَّبتَةَ في فَمِ الشيخِ، فَشُفِيَ في الحال.

عادَ الصَّبِيُّ إِلَى الفَتاةِ يَسأَلُها عَن دَواء. فَوَصَفَت لَهُ حَصوَةً ذَهَبِيَّةً في بِركَةِ الجَبَلَ الجَنوبِيّ تَشفي كُلَّ مَرَضٍ وقبلَ أَن يَنصَرِفَ الغُلامُ قالَت لَهُ الفتاةُ: "لا تُعُدْ ثانِيَةً" فَلَيسَ لَدَيّ وَصفَةٌ أُخرَى."

شَكَرَ الغُلامُ الفَتاةَ، وَقَصَدَ بِركَةَ الجَبَل، وَغاص فيها، والْتَقَطَ الحَصوَةَ الذَّهَبِيَّة. أَسرَعَ الغُلامُ راجِعًا إلى أَبيه، وَفي الطَّريقِ سَمِعَ بُكاءَ امرأةٍ تَحتَ أَحَدِ الجُسور، فَتَوَجَّهَ إِلَيها وَعَرَفَ مِنها أَنَّها سَقَطَت مِن فَوقِ الجِسر، وَأَصابَتها جُروحٌ شَديدة. وَضَعَ الغُلامُ الحَصوَةَ في فَمِ المَرأَة، فَعادَت سَليمةً كَأَنَّما لَم يُصِبْها شيْء.

رَجَعَ الغُلامُ إِلَى البَيتِ دون أيِّ دَواء، وَقَصَّ عَلَى أَبيه ما حَدَثَ لَه. رَبَّتَ الأَبُ عَلَى ظَهرِ ابنِهِ بِحنان وَأَثنَى عَلَى ما فَعَل. وَبَينما هُما جالِسان يَتَحَدَّثان، وَصَلَ إِليهما طاوُوسٌ صَغير، زاهي الألوان. هَزَّ الطاوُوس رَأسَهُ وَذَيلَهُ ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى فَتاة دُهشَ الغُلامُ عِندَما رَأى أَنها هِيَ الفَتاةُ ذاتُ الشَّعرِ الطّويلِ نفسُها التي قابلها مُنذ أيام. ناوَلَتِ الفتاةُ الأَبَ ماءً عَذبًا، وشَرِبَهُ فاعتَدَلَ ظَهرُهُ. ومنذُ ذَلِكَ اليَومِ عاشَتِ الفتاةُ مَعَ الأحدَبِ وابنِه الطَّيِّب.

١٨- عَنتَرةُ بنُ شَدّاد

(١)

كانت زَبيبَةُ عَبدةً حَبَشِيَّةً سَوداءَ تَرعَى قَطيعًا مِنَ الجِمال في صَحراءِ الجَزيرَةِ العَرَبِيَة، فَهَجَمَ عَلَيها عَشرةُ فُرسانٍ مِن قَبيلةِ عَبس، واستَوْلَوا عَلَى القَطيع، وأَخذوا الرّاعِيَةَ السَّوداء.

وكانَ بَيْن الفُرسانِ فارسٌ قَوِيٌ شُجاعٌ مِن شُرَفاءِ العَرَبِ اسمُهُ شَدّاد. أَخَذَ شَدّادٌ العَبدَةَ بَينَ الغَنائِمِ الّتي كانت مِن نَصيبِه، وتَزَوَّجَ مِنها سِرًا، فَوَلَدَت لَه طِفلاً أَسوَدَ سَمَّتهُ عَنتَرة.

كَبِرَ الطفلُ وصارَ صَبِيًا. ورثَ عَنترَةُ الصّبيُّ عَن أبيه قُوَّةَ الجسم والشجاعة، وَوَرِثَ عن أُمّهِ الحبشِيَّة الصبَّرَ وقُوَّةَ التَّحمُّل. وكانَ لَهُ أَخٌ أَكبرُ مِنه اسمُهُ شَيبوب يُحِبُّه كثيرًا، وَيَخرُجُ مَعَهُ لِلصَّيد. واستَطاعَ عَنترَةُ - وَهُو لَم يَتَجاوز العاشِرَةَ مِن عُمرِهِ - أن يَقتُلَ ذِئبًا، وَيأتِي بِرَأسِهِ إلى القَبيلَة، فأُعجِبَ بِهِ والِدُهُ شَدّادٌ إعجابًا شَديدًا، وأوصَى بِهِ أُمَّهُ زَبيبَة.

كَبِرَ عَنترَةُ وأَصبَحَ فَتًى في الرّابعة عَشرَةَ مِن عُمرِهِ يُدافِعُ عَن الضُّعَفاء، وَيحمي نِساءَ القَبيلَةِ مِن الأعداء. وَذاتَ يَوم كانَ شَدّادٌ وإخوَتُهُ أَعمامُ عَنترَةَ وَبَقيّةُ رجالِ الحَيِّ بَعيدًا عَنِ القَبيلَةِ، ولم يَكُن في الحَيِّ إلا النِّساءُ والعَبِيدُ والأطفالُ وبينَهم عَنترَة. في تِلكَ الأَثناءِ جاءَ فُرسانٌ مِن قَبيلَةِ غَطَفان، وَهَجَموا عَلَى قَبيلَةِ بَني عَبس، لَكنَّ عَنترَةَ وَقَفَ لَهُم، وقاتَلَهُم وَهَزَمَهم، وَأعادَ الأَشياءَ الّتي أَخذوها، وأَنقَذَ نِساءَ القبيلةِ وأطفالَها. ولّما رَجَعَ شَدادُ ومَن مَعَهُ عَلِموا بِشَجاعَةِ عَنتَرةَ وَبُطولَتِه، فَشَعَرَ شَدّادُ بالفَخرِ، وَشَكَرَ عَنترَةَ عَلَى ما فَعَل.

(٢)

لكنَّ عنترةَ كانَ عَبدًا أَسوَدَ ابنَ عَبدَةٍ سَوداء، وَكانَ العَرَبُ - في ذَلِكَ الوَقتِ - لا يَسمحونَ لأولادِ العَبيدِ أَن يُمارِسوا أَعمالَ أَولادِ الأحرار، بَل

كانوا يَكلِّفونَهم بِرَعْي الغَنَم، وَخِدمَةِ النِّساء. أَحزَنَ الأمرُ عَنترَةَ، وَجَعَلَهُ يَشكوا مُجتَمَعَه الظَالِمَ الّذي يُفَرِّقُ بَيَن الأَسيادِ والعَبيد، وَدَفَعَهُ إلى أَن يَفعَلَ كُلَّ ما يَستطيعُ لِلتَخَلَّصَ من العُبودِيّة ليَعيشَ بَينَ قَومِه حُرًا عَزيزًا مُكَرَّمًا مِثلَ غَيرِهِ مِن شَبَابِ العَرَب.

كانَ لعَنتَرةَ عَمٌّ اسمُهُ مالِك، وكانَت لمالِكٍ ابنةٌ جَميلَةٌ اسمُها عَبْلَة. أَحَبَّ عَنْتَرةُ ابنَةَ عَمِّهِ حُبًّا شَديدًا، وكَتَمَ حُبَّهُ في صَدرِه وَلَم يُعلِنْهُ، فقد كانَ يَعرفُ أَنَّهُ لَيسَ مِن حَقِّ العَبيدِ أن يتَزَوَّجوا من بَناتِ الأَحرار. لم يَجِد عَنترَةُ طَريقًا للوُصول إلى ما يُريدُ إلاَّ الوُقوفَ أَمامَ الأعداءِ وَمُحارَبَتَهُم وإنقاذَ القَبيلَةِ مِنهُم. وكانت قَبيلَتُهُ عَبسٌ مِنَ القبائِلِ الغَنيةَّ الّتي تَملِكُ أَموالاً وأغنامًا وَمواشِيَ كَثيرَة، لِذَلَك طَمِعَ فيها أَهلُ القبائِلِ المجاوِرَة، فَكانوا يَهجمُونَ عَلَيها كَثيرًا لِيَحصُلوا عَلَى الأَموال والمَواشي وَيأَسروا نِساءَها. وَوَجَدَ عنترةُ في ذَلِكَ فُرصَةً يُظهرُ فيها شَجاعَتَهُ وَقوَّتَهُ وَمَهارَتَهُ في القِتال، فكَانَ يَهجُمُ عَلَى الأَعداءِ، وَيهزِمُهُم، وَيطرُدُهُم مِن أرضِ قبيلتِهِ عَبس، وَلِذَلِكَ أَحَبَّهُ رِجالُ القبيلةِ وَنِساؤها، والتَفَّ حَولَهُ شَبابُها.

(٣)

كانَ عَنترَةُ يَتَمَنَّى أَن يُحرِّرَهُ أَبوه شَدادُ مِنَ العّبودِيَّة، وَيَنسِبَهُ إِلَى نَفسِه، فَيُصبِحَ اسمُهُ بَيَن الناسِ عَنترَةَ بنَ شَدّاد، حَتَّى يستطيعَ أن يَرفَعَ رَأسَهُ بَينَ القبائِل، وَيَتَزَوَّجَ مِن عَبلةَ ابنةِ عَمِّه التي يُحِبَّها. لَكِنَّ هَذا لَم يَحدُث.

وذاتَ يَومٍ طَلَبَ عَنترَةُ مِن شَدّادٍ في أَدبٍ أن يُعلِنَ للناسِ أَنَّ عَنترَةَ ابنُه، فَغَضِبَ شَدّادٌ غَضَبًا شَديدًا، وثارَ عَلَيه، وَطَرَدَه. حَزِنَ عَنترَةُ، وَأَخَذَ يَسيرُ في الصّحراءِ، وَقَابَلَ بَعضَ الفُرسانِ مِن قَبيلةٍ أُخرَى، فَرحَّبوا بِهِ صَديقًا جَديدًا بَينَهُم، يُقاتِلُ مَعَهُم وَيُدافِعُ عَن قبيلَتِهم.

وَبَينَما كانَ عَنترَةُ جالِسًا ذاتَ مَساءٍ يَتَسامَرُ مَعَ أَصحابِهِ الجُدُد، جاءَ فارِسٌ مِن قَبيلَتِهِ مُسرعًا، وَذَكَرَ لَهُ أنَّ عَدَدًا كَبيرًا مِن فُرسانِ الأعداءِ قَد هاجَموا أَهلَه، وَأَوشَكوا أَن يَنتَصِروا عَلَيهم.

هَبَّ عَنترَةُ مِن مَجلِسِه، وَرَكِبَ فَرَسَه، وَأَسرَعَ إلى ديارِ قَبيلةِ عَبس، وَهجَمَ عَلَى الفُرسانِ المُهاجِمين، وَعِندَما رَأَوْهُ يَضرِبُهُم بِسَيفِهِ وَرُمْحِه، خافوا وَفَرّوا هارِبين. اِلتَفَّ الجميعُ حَولَ عَنترَةَ، الذي حَقَّق لَهُم النصرَّ، وَأَنقَذَهُم مِن الهَزيمَة.

(٤)

في تِلكَ اللَّيلَةِ سَمِعَ عنترَةُ خَبرًا أَزعَجَهُ وَأَحزَنَه، فَقَد عَلِمَ أَنَّ فارِسًا مِن أَشرافِ القَبيلَةِ وَأَغنِيائِها اسمُهُ عِمارَة قَد خَطَبَ عَبلَةَ، وأنَّه سَوفَ يَتزَوَّجُها. ذَهَبَ عنترَةُ إلي والِدِ عَبلَةَ يَسأَلُهُ عن الأمر، فَغَضِبَ عَمُّهُ وَطَرَدَهُ حَزِنَ عَنترَةُ وَخَلَعَ ثوبَ الفُرسانِ، وَلَبِسَ ثوبَ راعي الغَنَم، وَأَعلَنَ أَنَّهُ لن يَحمِلَ السيَّفَ، وَلَن يُحارِبَ بَعَدَ اليَوم.

وذاتَ يَومٍ هَجَمَ عَلَى قَبيلَةِ عَبسٍ عَدَدٌ كَبيرٌ من فُرسانِ الأَعداء، وَأَدرَكَ شَدادٌ وَأَخوهُ مالِكٌ أَنَّ قَبيلَتَهُم في خَطَرٍ شَديد، فَأَرسَلا إِلَى عَنترَةِ لِيُنقِذَ القَبيلةَ مِن الهَزيمَة. رَفَضَ عَنترَةُ أن يَتحَرَّكَ مِنَ مَكانه إلاّ إذا اعترَفَ شَدّادٌ بِأَنَّهُ أَبوه، وَقَبِلَ عَمُّهُ مالِكٌ أَنَّ يُزوِّجَهُ مِن ابنَتِهِ عَبلَة. صاحَ شَدّادٌ أَمامَ أَهلِ القَبيلَة: "أَعتَرِفُ أَنَّ عنترَةَ ابني، وَلَم يَعُد عَبدًا بَعدَ اليَوم". وَأَرسَلَ إِلَيه عَمُّهُ مالِكٌ بأَنَّهُ مُوافِقٌ عَلَى زَواجِهِ مِن عَبلَة. خَلَعَ عَنترَةُ ثوبَ الرّاعي، وَلَبِسَ ثوبَ الفارِس، وَحَمَلَ سَيفَهُ وَرُمحَه، وَرَكِبَ فَرَسَه، وَأَسرَعَ إِلَى مَكانِ المعرَكَة، يُقَتِّلُ فُرسانَ الأعداءِ عَنِ اليمينِ والشِّمال، حَتَّى فرّوا هارِبين.

تَقَدَّمَ عَنترَةُ مِن عَمِّه مالِك، وَطَلَبَ مِنه أَن يُنَفِّذ وَعدَه. فَقالَ عَمُّه: "سأَزَوِّجُكَ مِن عَبلَةَ بَعدَ أَن تَأتِي بِمَهرَها" فَسَأَلَهُ عَنترَة: "وما مَهرُها؟" فَقَالَ عَمُّهُ: "مَهرُها أَلفٌ مِنَ النّوقِ العَصافير" كانَ عَنترَةُ يَعرِفُ أَنَّ هَذا النَّوعِ مِن

الجِمال غالٍ جِدًا، وَلا يمَلِكُهُ إلاّ المَلِكُ النُّعمانُ الّذي كانَت مَملَكَتُهُ تَقَعُ مَكانَ العِراق الآنَ.

سافَرَ عَنترَةُ إلَى مملكةِ النَّعمان، فاستَقبَلهُ المَلِكُ أَحسَنَ استِقبال، فَقَد سَمِعَ عَن شجاعَتِهِ وَبَراعَتِه في القتال، وَألحَقَهُ بِجَيشهِ. وَقَعَت حَروبٌ كَثيرةٌ بَينَ جَيشِ النُّعمان وَبينَ أعدائِهِ الرّوم، وأظهر عنترةُ بطولةً عظيمةً في القتال.

أخيرًا كَافَأَهُ النُّعمانُ بِألفٍ مِن النّوق العَصافير. ساقَ عَنترَةُ النوقَ إلى أَرضِ عَبس. وَعِندمَا اقترَبَ عَنتَرَةُ مِن دِيار قَبيلَتِهِ قابَلَ عَبلَةَ تَسيرُ وَسطَ الصَّحراء، وَتَبكي بِشِدَّة، فَسَأَلَها عَنترَة عَن سَبَبِ بُكائِها، فقالَت لَهُ: "لَقَد أَسَرَ فارِسٌ مِنَ الأَعداءِ أَبي وأخي، وَهُوَ يَطلُبُ الزَّواجَ مِنيّ مُقابِلَ إخلاق سَراحِهما.

أَوصَلَ عَنترَةُ عبلةَ والنوّقَ إلَى أَرضِ قَومِه، ثُمَّ خَرَجَ إلَى قَبيلَةِ الأعداء، واشترَكَ مَعَهُم في مَعرَكَةٍ قَوِيَّة، أنقَذَ بَعدَها عَمَّهُ وابنَه، وأَعادَهما سالِمَين إلى أَهلِهم. سَلَّم عَنترَةُ عَمّهُ أَلفَ ناقةٍ مِنَ النوّقِ العَصافير، وَطَلبَ مِنه أَن يُزوِّجَهُ مِن عَبلَةَ كما وَعَدَه.

سُرَّ العَمُّ بِبُطولَةِ عَنترَةَ، وَحَدَّدَ مَعَهُ مَوعِدَ الزِّفاف. وَأَخيرًا..

تَزَوَّجَ عَنترَةُ أَشجَعُ الشَّجعان، مِن عَبلَةَ أَجمَلِ الجَميلات.

١٩- الحُكمُ العادِلُ

كانَ جاسِمٌ تاجِرًا غَشّاشًا، بَنَى ثروَتَه مِن الغِشِّ في التِّجارة وَعَدَم الأمانَةِ في مُعامَلاتِه. وكان حَماعًا بَخيلاً وكانَ غنيًا جدًّا لَهُ قَصرٌ كَبيرٌ حَوْلَهُ حَدائِقُ وبَساتينُ مِن كُلِّ جانِب. وَفَوق ذَلِكَ كانَ يَملِكُ شارِعًا كامِلاً مِنَ البِيُوتِ والعَمارات.

وكانَت أَسعَدُ أَوقاتِ جاسِمٍ عِندَما يَجلِسُ لِتَناوُل الطَّعام. الّذي لا يُشاركُهُ فيهِ ضَيفٌ وَلا صَديق. وَمَهما انتَظَرَ قِطٌ أَو كَلبٌ فَلَم يَكُن يَترُكُ لَهُ أَيَّةَ بَقايا مِن طَعامِه. وقد اعتادَ أَن يتَناوَلَ طَعامَه تَحتَ شَجَرَةٍ خَضراءَ وارِفَةِ الظِّلال.

وكانَت زوجتُه تَحمِلُ لَهُ اللَّحمَ المشويَّ الّذي يُحبُّه، فما يَكادُ جاسِمٌ يَشُمُّ رائِحةَ الشِّواءِ حَتَّى تَتَفَتَّحَ شَهيَّتَهُ وَيَأكُلَ كُلَّ ما يُقَدَّم لَهُ وَلا يَترُكُ مِنهُ شَيْئًا. وذاتَ يَومٍ شَمَّ كَلبٌ مِن كِلابِ الصَّيدِ رائِحةَ هَذا الشِّواء، فَجَرَى ناحِيَةَ جاسِم وَقَد سالَ لُعابِهُ، وَوَقَفَ ينظُرُ إلَيه وَقَد تَدَلَّ لِسانُه. لكنَّ الرَّجُلَ رَفَضَ أَن يُعطِيَهُ قِطعَةً مِنَ اللَّحمِ أَو العَظم. اِستاءَ الكَلبُ وَنَبَحَ، وَرَأَى جاسِمٌ مَنْظَرَهُ فَعافَت نَفسُهُ الطَّعامَ وَفَقَدَ شَهيَّتَهُ ظَلّ الكَلبُ يكرِّرُ ذَلِكَ عِدَّةَ أيّام، فَقَرَّرَ جاسِمُ أَن يَشكُوَهُ إِلَى القَاضِي، لأَنَّه سَرَق مِنهُ شَهيَّتَهُ.

أَلقَى الجُنودُ القَبضَ عَلَى الكَلبِ، وَساقوهُ إِلَى المحكَمَة، وجاءَ عَدَدٌ كبيرٌ مِنَ الناس لِيَشهَدوا القَضِيَّة. وَجَلَسوا وَقَد تَعلحَفوا مَعَ الكلبِ المِسكِين الّذي يَشكوهُ هَذا الغَنِيُّ البَخيلُ الطَّماع. افتَتَحَ القاضي القَضِيَّةَ بِقولِهِ: "تَعلمون أَنَّ رائِحةَ الطَّعامِ الشَّهيَّةَ جُزءٌ مِنهُ، وَيَمِلكُها صاحِبُ الطَّعام والكَلبُ يَجيءُ كُلَّ يَوم، لِيَسْتَمتِعَ بِهذِهِ الرّائِحَةِ، وَهَذا لَيسَ مِن حَقِّهِ بالطَّبع."

تَهامَسَ النّاسُ غَيرَ راضين عَن هَذِهِ البِدايَةِ، وَتَثاءَبَ الكَلبُ في ضيق وَغَضَب، بَينَما ابتَسَمَ جاسمٌ راضِيًا. واصَلَ القاضي كَلامَه: "نَحنُ نَعرِفُ أَنَّ عُقوبَةَ السّارِق قَطعُ أَطرافِه، وبخاصَّةٍ يَدَيْهِ حينَ تمتدُّ لِتَأخُذَ ما لَيسَ لَها."

سَمِعَ الكَلبُ هَذا الكَلامَ فأخفَى قائِمتَيْهِ الأَمامِيَّتَيْن تَحتَ جِسمِهِ وَهُو رابِضٌ يَنظُرُ في خَوفٍ وَقَلَقٍ، وَيَستَمعُ إِلَى القاضي يُواصِلُ كَلامَه: "وَقَد تكَرَّر

الخَطَأُ مِنَ الكَلبِ، وَأنا فِي حاجَةٍ إِلَى بَعضِ الوَقتِ لأُفَكِّرَ فِي العُقوبَةِ المناسِبَة. فأَعطوني اللَّيْلَةَ، وَتَعالوا غَدًا لِتَسْمَعوا الحُكمَ الَّذي تَوَصَّلتُ إليه.

انتَهتِ المَحكمةُ، وَأخَذَ الناسُ يَنصَرِفونَ وَعَلَى وُجُوهِهِمْ عَلاماتُ الخَوْف، فَهُم يَعرِفونَ جَيِّدًا أَنَّ هَذا القاضي لا يَرحَمُ الُّلصوص.

وَفِي اليَومِ التّالي جاءَ النّاسُ لِيسمَعوا حُكْم القاضي فِي هَذا الكَلبِ الّذي سَرَقَ شَهِيَّةَ جاسِم الطَّمّاع. حَضَرَ القاضي وَمَعَهُ حِصانٌ، وَرَبَطَهُ عِندَ مَدْخلِ المَحكَمَةِ وَدَخل. تساءَلَ الجَميعُ: "ما هَذا الحِصان؟ وما عَلاقَتُهُ بالقَضِيَّة؟ هَل سَيُسافِرُ القاضي فِي رِحلةٍ بَعدَ المحاكَمَة؟" وَلَم يَستَطِعْ أَحدٌ أَن يُجيبَ عَن هَذِهِ الأَسئِلة، وَانتَبهوا إِلَى القَضِيَّة. نادَى القاضي الرَّجُلَ الغنيَّ والكلبَ المُتَّهَم، ثُمَّ أَعلَنَ حُكمَهُ: "لَقَد تَكَرَّرَتِ السَّرِقَةُ مِن هَذا المُتَّهَم، لِذَلِكَ حَكَمنا عَلَيْهِ بِأَن يُضرَب حَتَّى المَوت."

سُرَّ جاسِمٌ الطَّماعُ لَدَى سَماعِ هَذا الحُكم، وَشَعَرَ النّاسُ بالحُزن. أَمسَكَ جاسِمٌ بالسَّوْطِ وَراحَ يجرِّبُهُ فِي الهَواءِ فَيصدر صَوْتًا حادًّا مُخيفًا. لَكِنَّ القاضي أَشارَ إِلَيْهِ لِيَصبِرَ، وَقال: "أَلَيست رائِحَةُ الطِعامِ جُزءًا لا يَظهَرُ مِنْهُ؟ لَقَد سَرَقَ الكَلبُ روحَ الطَّعام، وَأَنتُم تَعرِفونَ مُعتَقَداتِنا فِي هَذا المَوضوع

إِنَّ روحَ الكَلبِ مَوجودَةٌ فِي ظِلِّهِ. وَبِما أَنَّ الجَريمَةَ كانَتِ ضِدَّ روحِ الطَّعامِ، لِذا فَإِنَّ العِقابَ يكونُ لِروحِ الكلبِ أَي لِظِلِّه نعم، ظله فقط. ولذلك فَعَلَى هذا الرَّجُل أَنْ يَضْرِبَ ظِلَّ الكلبِ حَتَّى المَوت."

بَدَأَ النّاسُ يَرتاحونَ لِهذا العِقابِ، وَتَبادلوا الابتساماتِ والضَّحِكاتِ وَقَد فَهِموا حَقيقَةَ الحُكم. ثُمَّ وَجَّهُ القاضي كَلامَهُ إلى جاسِمِ الغَنِيِّ البَخيلِ قائِلاً: "ظِلُّ الكلبِ كَبيرٌ الآنَ. اِبدأ بِضَربِهِ حَتَّى تَتَوَسَّطَ الشمسُ السَّماءَ فِي الظَّهيرَة، وَعِندَما يَختَفِي ظِلُّ الكَلبِ تَكونُ روحُه بِذَلِكَ قَد خَلَعَت. أَمامَكَ خَمسُ ساعات. هَيّا اضرب ظِلَّ الكَلبِ دونَ أَن تَتَوَقَّفَ لَحظَةً واحِدَة."

أَلقَى جاسِمٌ السَّوطَ مِن يَدِهِ فِي غَضَب، إذ فَهِمَ الأَمر. لَكنَّ القاضي قالَ لَهُ فِي حِدَّة: "لَقد اتَّهمتَ الكَلبَ، فَقَبَضنا عَلَيه، وَحاكَمناه – كما خَلَبتَ –

فعلَيَكَ تَنفيذُ الحُكـمِ دون أَن تَمَسَّ شَعرةً واحِدَةً مِنه. وَإِذا حَدَثَ مِنكَ ذلِكَ أَمَرنا جُنودَنا بِجَلدِكَ – أَنتَ – بالسَّوْط."

وَبِسُرعَةٍ أَمسَكَ الرَّجُلُ الطَّمّاعُ بِالسَّوطِ وَهُوَ خائِف، وَبَدَأَ يَضربُ به ظِلَّ الكَلبِ بِقُوَّةٍ وَفي حَذَرٍ شَديد، وَالنّاسُ يَبتَسمون وَيَضحكون، والكَلبُ يَقفِزُ وَيَنبَحُ كَأَنَّما يوجعُهُ الضَّربُ دون أَن يمسَّه السَّوْط، فالرَّجُلُ حَريصٌ عَلَى أَلاَّ يُصيبَهُ خَوفًا مِن العِقاب. اِستَمَرَّ جاسِمٌ يَضربُ الأرضَ بالسَّوط، والشَّمسُ تَتَحَرَّكُ فِي السَّماءِ مِنَ الشَّرق إلى الغَرب، والظِّلُّ يَصغُرُ شَيئًا فَشَيَئًا. لَم يَنصَرِفْ أَحَدٌ مِنَ النّاسِ، وَظلّوا فِي المَحكَمَةِ يُشاهِدُونَ هَذا المَشهَدَ المُسَلّي المُضحِك.

بَدَأَ جاسِمٌ يَتعَبُ وَيَعْرَقُ، خُصوصًا عِندَما صَغُرَ الظِّلُّ إلَى دَرَجَةٍ كَبيرَة، وَلَم يَكُن مَسموحًا لَهُ أَن يَستَريحَ لَحظَةً واحِدَة. وكانَ ضَحِكُ النّاسِ يُثيرُ جاسِما وَيَغيظُه. أخيرًا اِضطُرَّ جاسِمٌ إلى الرُّكوعِ قُرْبَ الكَلب، وَوَضَعَ ذِراعَهُ بَينَهُ وَبَيْنَ جِسمِ الكَلبِ حَتَّى لا يَلمَسَهُ السَّوْط، وَنَزَلَت بَعضَ الضَّرَباتِ عَلَى يَدِهِ وَذِراعِه فآلَمَتهُ وَأَضحَكَتِ النَّاسَ. تعِبَ الرَّجُلُ وَأَصبَحَ مِنَ الصَّعبِ عَلَيهِ أَن يَرفَعَ يَدَهُ بالسَّوْط.

فَجأَةً أَلقَى جاسِمٌ بالسَّوْطِ مِن يَدِهِ، وَجَرَى بِسُرعَةٍ خارِجًا من المَحكَمَة، وَفَكَّ رباطِ حِصَانِ القاضي، وَقَفَزَ عَلَى ظَهرِهِ وَساقِهِ بَعيدًا. حاوَلَ النّاسُ أَن يوقِفوهُ وَيُمسِكوا بِهِ لَكِنَّ القاضي أشارَ إِلَيهم بِأَن يَترُكوه. وَلَم يَفهَمِ النّاسُ السَّبَبَ إلاّ بَعدَ أَن تَكَلَّمَ القاضي قائِلاً: "أُتركوهُ.. لا حاجَةَ لَنا بِه. هُوَ لَن يَعودَ إِلَينا أَبَدًا. فَهُوَ يَعرِفُ جَيِّدًا أَنَّهُ إذا عادَ فَسَوفَ يُعاقَبُ بِتُهمَةِ السَّرِقَة. سَرِقَةِ الحِصان. وحُكمُها قَطْعُ يَدَيْه. لَقَد ارتَحنا مِنْ هَذا البَخيلِ الطَّمّاعِ إِلَى الأَبَدَ.

وَقَفَ كَلبُ الصَّيدِ فِي تِلكَ اللَّحظَة، وتَمَطَّى، واتَّجَهَ بِأَنفِهِ إِلَى حَيثُ قَصرُ جاسِمٍ الغَنِيّ، ثُم أَخَذَ نَفَسًا عَميقًا كأَنَّما يَشُمُّ رائِحَةَ الشِّواءِ الشَّهِيّ. وانفَجَرَ النّاسُ ضاحِكين.

٢٠- الغُرابُ والعُصفور

تَصادَقَ غُرابٌ وَعُصفور. وذاتَ يَومٍ خارَ الاثنان يَبحثان عَن غِذاءٍ يأكُلانِه. رَأَى الغُرابُ كميةً كبيرةً من حُبوبِ الفُلفُلِ وَضَعَها صاحِبُها عَلَى حَصيرَةٍ لِتَجِفَّ في الشَّمس. قالَ الغُرابُ لِلعُصفور: "اُنظُر إلَى تِلكَ الحبُوب. إنَّها حُبوبُ الفُلفُلِ اللَّذيذ. تعالَ نَتسابَق. ومَن يَستطيعُ أَن يَأكُلَ مِنها أكثَرَ مِنَ الآخَرِ يَكونُ الفائِزَ."

فَرِحَ العُصفْورُ لأَنَّهُ لَم يَكُن يَعرفُ أَنَّ حُبوبَ الفُلْفُل حَرّاقَة، وَقالَ: "أَنا مُوافِق." عِندَئِذٍ قالَ الغُرابُ: "مَن يَكسِبْ يَأكُل الآخَر." تعجَّبَ العُصفورُ وَضَحِكَ مِن كَلامِ صاحِبِهِ الغُراب، وقالَ لابُدَّ أَنَّهُ يَمزَح. فالأَصدِقاءُ لا يَأكُلُ بَعضُهُم بعضًا.

أَخَذَ العُصفورُ يأكُلُ حُبوبَ الفُلفُلِ بِسُرعَةٍ وَهُوَ لا يَدري أَنَّ الغُرابَ يَخدَعُه. وَكُلَّما أَكَلَ العُصفورُ حَبَّةً كانَ الغُرابُ يُخبِّئُ ثَلاثَ حَبّات. بَعدَ قَليلٍ صاحَ الغُرابُ: "أَنا رَبِحتُ. تَعالَ لآكُلَكَ - كَما اتّفَقنا." عِندَئِذٍ قَبلَ أَن تأكُلَني يَنبَغي أَنْ تَغسِلَ مِنقارَك، لأنَّ الناسَ يَعرفون أَنَّكَ تَأكُلُ أَشياءَ كَريهةً."

خارَ الغُرابُ بِسُرعَةٍ نَحوَ ساقِيَةٍ قَريبَة. اقتَرَبَ مِنها فَرآها تَدور، وَتأتي بِالماءِ الكَثير. قالَ الغُرابُ: "أَيَّتُها السّاقِيَةَ. أَيَّتُها السّاقِيَة. أَعطيني ماءً، لأُنَظِّفَ مِنقاري كَي آكُلَ العُصفورَ الصَّغير." قالَتِ السّاقِيَةَ: إنَّ النّاسَ يَعرفون أَنَّكَ تأكُلُ أَشياءَ كَريهة. فإذا كُنتَ تُريدُ ماءً لِتَغسِلَ مِنقارَكَ فَعَلَيكَ أَن تَذهَبَ وَتُحْضِرَ جَرَّةً ثم تَملأَها بالماءِ الّذي تُريدُه.

أَسرَعَ الغُرابُ إلَى القَريةِ لِيَبحَثَ عَن جَرَّة. وتوجَّه إلَى دُكّانِ الخَزّافِ وَصاح: "أَيُّها الخَزّاف. أيُّها الخَزّاف. اِصنَع لي جَرَّةً صَغيرَةً حَتَّى أَملأَها ماءً، وأَغسِلَ بِهِ مِنقاري كَيْ آكُلَ العُصفورَ الصَّغير."

أَجابَهُ الخَزّاف: "هَل تُريدُ جَرَّة؟ آسِف. لَيسَ لَدَيَّ طين. اِذهَب وأَحضِر لي بَعضَ التُّرابِ، وسَأصنَعُ لَكَ جَرَّةً.

خارَ الغُرابُ إلَى أَحَدِ الحُقول، ولَمّا هَمَّ بالحَفر صاحَت بِهِ الأَرضُ وقالَت: "كُلُّ النّاسِ يَعرفون أنَّك تأكُلُ أشياءَ كَريهَة. وأَنا لا أَقبَلُ أَنْ تَحفِرَني إلاّ بالرَّفش. اِذهَب وَأَحضِر رَفشًا."

ذَهَبَ الغُرابُ إلَى حَدّادِ القرية، وكانَ مَشغولاً بإصلاحِ عَجَلَةِ عَرَبَة، وقالَ لَهُ: "أَيُّها الحدّاد. أيُّها الحدّاد. اِصنَع لي رَفشًا كَيْ أَحْضِرَ بِهِ الأرضَ وآخُذَ تُرابًا أصنَعُ بِهِ جَرَّةً أَملؤُها ماءً لأَغسِلَ بِهِ مِنقاري فَيُصبِحَ نَظيفًا وآكُلَ العُصفورَ الصَّغير."

قالَ الحدّاد: "أَنا آسِف. لَيسَ لَدَيَّ نارٌ في كوري – كَما تَرَى. فإذا أَرَدتَ أَن أَصنَعَ لَكَ رَفشًا فأحضِر لي نارًا."

دَخَلَ الغُرابُ أَقَربَ مَنزِل، فَوَجَدَ زَوجَةَ الفَلاّح تَطبُخُ أرزًا في فِناءِ البَيت، فقالَ لَها الغُراب: "أَيَّتُها الفَلاّحَة. أَيَّتُها الفَلاّحَة. أُريدُ نارًا لِيَصنَعَ لي الحَدّادُ رَفشًا أَحضِرُ بِهِ الأَرضَ وآخُذُ تُرابًا لأَصنَعَ بِهِ جَرَّةً أَملَؤُها ماءً لأَغسِلَ بِهِ مِنقاري لِيَكُونَ نَظيفًا قَبلَ أَن آكُلَ العُصفورَ الصّغير."

قالت زَوجَةُ الفَلاّح: "سَأُعطيكَ ما تُريد. ولَكِن! كَيفَ تَستطيعُ حَملَ النّار؟" فَأجابَ الغُرابُ: "ضَعيها عَلَى ظَهري."

وَضَعَت الفلاحَةُ النّارَ عَلَى ظَهرِ الغُرابِ اللّئيم، فاشتَعَلَ جَناحاهُ في الحال، وتَحَوَّل بِسُرعَةٍ إلى رَماد؟

وَهَكَذا أصبح في إمكانِ العُصفورِ الصَّغيرِ الآنَ، أَن يعيشَ في هُدوءٍ وَسَلام.

٢١- الحُلمُ

كـانَ عـبدُ اللهِ تاجرًا غنيًّا يَعيشُ في دِمَشقَ، في قَصرٍ جَميلٍ حَولَهُ حَديقَةٌ واسِعةٌ.

لكـنْ... مَرَّتِ الأَيّامُ .. وَخَسِرَ عبدُ اللهِ تجارَتَـهُ.. بَعْدَ الأُخرَى... وَتَـرَكَ لنفسِهِ بَيْتًا قَديمًا.. لَه حديقةٌ صَغيرةٌ.. بِهَا فِناءٌ مِنَ الرُّخامِ الأَبْيَضِ.. وَسَطَهُ نافورَةٌ حَمْراءُ.

سَكَنَ عبدُ اللهِ في بَيْتِهِ القَديم، وَبَحَثَ عَنْ عَمَلٍ يَعيشُ مِنْهُ. فَعَمِلَ حَمّالاً يَحْمِلُ البَضائِعَ للتجارِ في السُّوق.

وذَاتَ يَوْمٍ. قَضَى عَبْدُ اللهِ ساعاتٍ طَويلةً في حَمْلِ البَضائِعِ حتَّى تَعِبَ... وَفي آخِرِ النَّهارِ... لم يَقْدِرْ عَبْدَ اللهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ.. وأرادَ أَنْ يَسْتَريحَ قليلاً.. فَنَامَ تَحْتَ شَجَرَةٍ قريبَةٍ مِنَ السُّوق.

وفي تِلْكَ الليلة... رَأَى عَبْدُ اللهِ حُلْمًا غَريبًا... رَأَى في المَنامِ رَجُلاً يُكَلِّمُهُ وَيَقولُ: "هُناكَ كَنْزٌ كَبيرٌ ينتظِرُكَ في القاهِرَةِ.. اذْهَبْ هُناكَ حالاً... وَخُذْ ما قَسَمَ اللهُ لَكَ"

اسْتَيْقَظَ عَبْدُ الله مِنْ نَوْمِهِ، وَقَرَّرَ أَنْ يُنَفِّذَ ما أَمَرَهُ بِه الرَّجُلُ الَذّي جاءَهُ في الحُلْمِ .. ولَكِنْ .. كَيْفَ يُمْكِنُهُ ذَلِكَ.. والقاهِرَةُ تَبْعُدُ عَنْ دمَشْقَ أكْثَرَ مِنْ أَلْفِ مِيلٍ... وليس عنده رُكوبةٌ ولا مال؟!!"

لم يَكُنْ أَمامَ عبدِ اللهِ إلاَّ أَنْ يُسافِرَ إِلَى القاهِرَةِ سَيْرًا عَلَى الأَقْدام... اسْتَغْرَقَتِ الرِّحْلَةُ ثلاثَةَ أَشْهُرٍ.. وَصَلَ عَبْدُ اللهِ بَعْدَهَا إِلَى القاهِرَةِ مُتْعَبًا.. وكانَ الوَقْتُ لَيْلاً ... فَنامَ في إِحْدَى الحَدائِق.

وَفِي أَثْناءِ نَوْمِهِ.. كانَتِ الشُّرْطَةُ تُطارِدُ بَعْضَ اللُّصُوص. دَخَلَ اللُّصُوصُ الحَديقَةَ لِيَخْتَبِئُوا فيها. وَجَدَت الشُّرْطَةُ عَبْدَ اللهِ داخِلَ الحَديقَةِ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِ، وَوَضَعوهُ في السِّجْنِ.

ظَلَّ عَبْدُ اللهِ في السِّجْنِ ثلاثَةِ أَيّام. وَقالَ لِنَفْسِهِ: "ما أَحْمَقَني! وَمَا أَغْبانِي! أَهَذا هُوَ الكَنْزُ الّذي سِرْتُ مِنْ أَجْلِهِ ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ؟!!"

وَفي الصَّباحِ خَلَبَهُ أَحَدُ الضُبّاطِ، وَأَخَذَ يَسْأَلُهُ بَعْضَ الأَسْئِلَةِ. أَجابَ عَبْدُ اللهِ عَنْ أَسْئِلَةِ الضابِطِ بِصِدْق، وَذَكَرَ لَهُ قِصَّةَ الحُلْمِ... ضَحِكَ الضَابِطُ وَقالَ لَهُ:

"أَنْتَ تُذَكِّرُني بِحُلْمٍ جاءَني ثَلاثَ لَيالٍ مُتَتَالِيَةٍ . كانَ يَظهَرُ لي في الحُلْمِ رَجُلٌ يَقُولُ: هناك بَيْتٌ قديمٌ في دِمَشْقَ – أَمامَ الغُوخَةِ – فِناؤُهُ مِنَ الرُّخامِ الأَبْيَضِ وَفِي وَسَطِهِ نافُورةٌ حَمْراءُ يَتَدَفَّقُ مِنْها الماءُ . وفي كُلِّ مَرْةٍ كانَ الرجلُ يُحَدِّدُ لي مَوْقِعَ كَنْزٍ مَدْفون تَحْتَ تِلْكَ النافُورَةِ.. وَيُشَجِّعُني عَلَى الذَّهاب إلى بَلَدِكَ دِمَشْقَ للحصولِ عليْه. لَكِنَّني عاقِلٌ. لَمْ أَفْعَلْ شيئًا."

لَخْلَقَ الضابِطُ سَراحَ عبدِ اللهِ. وناوَلَهُ كِيسًا مِنَ النقودِ لِيُساعِدَهُ في الرُّجُوعِ إلى بَلَدِه.

اِنْطَلَقَ عَبْدُ اللهِ في خَريقِ العَوْدَةِ مُسْرِعًا..

لَقَدْ كانَ حُلْمُ الضابِطِ أَغْرَبَ مِنْ حُلْمِهِ هو.. لأَنَّ أَوْصافَ المنزِلِ ونافورَةِ الماءِ هِيَ أوصافُ بيتِهِ ونافورَتِه في دِمَشقَ تمامًا.!

وبَعْدَ رِحْلَةٍ مُتْعِبَةٍ في الصَّحْراء. عادَ عَبْدُ اللهِ إِلَى بَيْتِهِ في دِمَشْقَ، وَتَوَجَّهَ عَلَى الفَوْرِ نَحْوَ النافُورَة. وَراحَ يحفِرُ... وَكانَتِ المُفاجَأَةُ.! لقد وَجَدَ الكَنْزُ!

وَهَكَذا صَحَّ الحُلْمُ أَخيرًا. لَقَدْ ساقَهُ اللهُ إِلَى القاهِرَةِ لِيُقابِلَ الضَّابِطَ الَّذي أَرْشَدَهُ إِلَى مَوْقِعِ الكَنْزِ... وَشاءَ اللهُ أَنْ يُعيدَ الثَّرْوَةَ إلى عَبدِ اللهِ.. بَعْدَخولِ الصَّبْرِ...

٢٢- مَروانُ الكَسلان

كـانَ مَـروانُ شـابًا كَـسْلانَ، وكـانَ كُلُّ عَمَلِهِ أَن يَسحَبَ عَنزَتَهُ إِلَى المرعَى كُـلَّ يَـوم، ورَغـم ذَلِـكَ كـانَ دائِـمَ الشَّكوَى. كانَ يتنهَّدُ مساءَ كُلِّ يَوم عِندَما يَعودُ إِلَـى بَيتِهِ وَيقـولُ: "لاشَكَّ أَنَّهُ عِبءٌ ثقيلٌ وَعَمَلٌ شاقّ، أَن أَسوقَ عَنزَةً لِتَرعَى خَوالَ العامِ حَتَّى أواخِرِ الخَريفِ سَنَةً بَعدَ سَنَة. وَقَد يكونُ الأَمرُ هَيِّنًا لَو أمكَنَني أَن أَستَلقِيَ أَو أَنامَ فِي أثناءِ رَعْيِها، فَلابُدَّ أَن تَبقَى عَيْنايَ مَفتوحتَين، حَتَّى لا تُتلِفَ العَنزةُ الأَشجارَ النَّضِرَة، أَو أَن تَقتَحِمَ حَديقةً مِن خِلالِ السّور، وَتَأكُلَ ثِمارَها، أو أن تَفِرَّ هاربة. كيفَ يُمكِنُ لأَحَدٍ فِي هَذِهِ الظُروفِ أن يَهدَأَ بالُه أو يَرتاحُ أَو يَسعَدُ بِحياته؟!!"

جَلَسَ مـروانُ يفكِّرُ فِي طَريقةٍ يتخَلَّصُ بِهـا مِن ذَلِكَ الحِملِ الثقيل والعَمَلِ الشاقّ. فجأة جاءَتْهُ فِكـرَة: "لمـاذا لا يَتـزَوَّجُ عَزيـزةَ البَديـنَة. فهي أيضًا لَدَيْها عَنـزةٌ كذلك، وَيُمكِنُها أَن تَسوقَ عَنْزَتي مَعَها، وَتَرعَى الاثنتين معًا، فلا داعِيَ لأَنْ أشقَى وأتعَبَ بها أكثر مِن ذَلِكَ بَعدَ اليَوم."

هَـبَّ مـروان واقِفًـا، وَعَبَرَ الشّارِعَ إِلَى بَيتِ أَهلِ عزيزة الذي لم يكن بعيدًا، وَتَقَـدَّمَ خاطِبًا يَدَ ابنتِهِم النشيطةِ ذاتِ الأخلاق الحَميدة. ولم يُفكِّر أهلُها كَثيرًا، وقالـوا: "إنَّ الطيورَ عَلَى أشكالِها تَقَع." ووافَقوا. وبهذا صارت عَزيزةُ البدينَةُ زَوجَـةً لمروان، وَأَخـذَت تَـسوقُ العَنـزَتين معًـا، واستَمتَعَ مـروانُ بحياتِه، وكانَ يَخـرُجُ مَعَهـا مِن حينٍ لآخَر، وَهُوَ يقولُ لنفسِه: "هَكَذا أستطيعُ أَن أعرِفَ طَعمَ الرّاحَةِ أكثَرَ وأكثَرَ، وأَنا أشاهِدُ غَيري يَقومُ بِعَمَلي."

لكـنّ عَزيـزَة البدينـةَ لَـم تكُـن أَقَـلَّ كسلاً مِـن مَـروانُ، وقالَـت لـه يومًا: "يا زَوجـي العَزيـز. لمـاذا تَجعَلُ حياتنا مُرَّةٌ دونَ داعٍ، وَنترُكُ أَجملَ أَيّامِ شَبابِنا تَمُرُّ فِي شَقاءٍ وتَعاسَة؟!

فالعَنزَتان تُزعِجانِنا بأصواتِهما كُلَّ يَومٍ وتُقلِقان نومَنا. أَلَيسَ مِنَ الأَفضَلِ أن نُعطِيَهُما لِلجيران، وَنَـستَبدِلَ بِهمـا خَلِيَّةَ نَحل، يُمكِنُنا أَن نَضَعَها فِي مَكـانٍ

مُشمِسٍ خَلفَ البَيت، وَلَيس عَلَينا أَن نَرعاها بَعَد ذَلِك، فالنّحلُ لا يَحتاجُ إلى رِعايَةِ أَحَد، وَلا أَن يُساقَ إِلَى المرعَى، فَهُوَ يعرفُ كيف يختارُ أماكِنَ الزُّهور، وَلا يَضِلُّ طَريقَه فِي أَثناءِ عَودَتِهِ إلى الخَلِيَّة، وبالطَّبعِ فإنَّنا سَنَجمَعُ العَسَلَ دونَ أَيِّ تَعَبٍ أَو جَهد."

تَهَلَّلَ مَروانُ وَقالَ: "إنَّكِ تَتَحَدّثين حَديثَ الزَّوجَةِ الواعِيةَ المدبِّرة، واقتراحُكِ هَذا سَيُنَفَّذُ فَوْرًا، وَيُمكِنُني أَن أُضيفَ أَنَّ العَسَل ذو طَعمٍ لَذيذ، وفائِدَةٍ غِذائِيَّةٍ أكثَر مِن لَبَنِ الماعِز، وَيُمكِنُ حِفظُهُ بِسهولَة."

أَعطاهُم الجارُ خَلِيَّةَ النَّحل، وَأَخَذَ العَنزَتَينْ وَهُو يكادُ يَطيرُ مِنَ الفَرَح. وَضَعَ مَروانُ الخَلِيَّةَ خَلفَ البَيت، وَراحَ النحلُ يطيرُ خارجًا وداخِلاً بِلا تَعَبٍ مِنَ الصَّباحِ الباكِرِ حَتَّى آخرِ المَساء. وامتَلأَتِ الخلية بالعَسَلِ الطيِّب. واستطاعَ مروانُ أَن يَحصُلَ عَلَى قِدرٍ مِنَ العَسَل، وَوَضَعَها عَلَى رفٍّ مُثَبَّتٍ فِي أَعلَى الحائِطِ بِحُجرَةِ نَومِهِما.

خافَت عَزيزةُ أَن يَسرِقَ العَسَل، أَو أَن تأكُلَهُ الفِئران، وَأَحضَرَت عَصًا غَليظَة، وَوَضَعَتها بجانِبِ سَريرِها، وَبِهذا تَستطيعُ الوُصولَ إِلَى الرَّفِّ دونَ أن تُضطَرَّ إِلَى الوُقوف. وكانَ مَروانُ الكَسلانُ لا يُغادِرُ الفِراشَ إلاّ قُبَيْلَ الظَّهيرَة، وَيَقولُ: "إنَّ مَن يَقُم مُبَكِّرًا، فإنَّهُ يُبدِّدُ صِحَّتَه."

وذاتَ صَباحٍ قالَ مروانُ لزوجتِهِ وَقَد غَطَّى جِسمَهُ بِلِحافٍ مِن ريش: "إنَّ النِّساءَ يُحبِبنَ الحلوىَ، وَأَنتِ تَتَذَوَّقينَ العَسَل بَينَ الحينِ والآخَر، وأخافُ أَن تأكُلِينَه كُلَّه، لذا فإنّهُ مِنَ الأفضَلِ أن نَستبدِلَ بِهِ وِزَّةً مَعَها فَرخُها الصَّغير." قالَت لَهُ زَوْجَتَهُ عَزيزَة: "أليسَ مِنَ الأفضَلِ أن نُؤَجِّلَ هَذِهِ الفِكرةَ إلَى أن يرزُقَنا اللهُ بِطِفلٍ حَتَّى يَرعاهُما، فَلا يَصِحُّ أن اتعَبَ مِن أجلِ الوِزَّةِ وَصَغيرِها فأبدِّدَ عافِيَتي وَصِحَّتي دونَ داع." فقالَ لَها مروانُ: "وَهَل تَعتقدين أَنَّه سَيَرعَى الوزَّة؟ إنَّ أطفالَ اليومِ لا يُطيعونَ أحَدًا، فَهُم يَفعَلون ما يَشاءونَ، لأَنَّهُم يَظُنّونَ أَنَّهُم أكثَرُ ذَكاءً مِن أَبَوَيهم."

قالَت عَزيزةُ غاضِبَةً: "إذا كـانَ الأمـرُ كَـذَلِكَ فَلابُـدَّ أَن يـنالَ هَـذا الابـنُ عقابَه، وإذا لم يَسمَعْ كلامَنا وَيُنَفِّذ ما نَقولُ فَسأُمسِكُ العَصا وَأَضرِبُه هَكَذا."
وَرَفَعَتْ عَزيزةُ العَصا، ثُمَّ أَنزَلَتها بِقُوّة، فأصابَت القِدْرَ الَّتي عَلَى الرّفِّ فَوقَ السَّرير وَهَشَّمَتها فَصارَت قِطَعًا صَغيرةً تَناثَرَت فَوقَ السَّرير، وَسالَ العَسَلُ عَلَى الأَرض.

قالَ مَروانَ: "هُنا.. عَلَى سَريرنا.. تَرقُدُ الوزَّةَ وَصغيرُها وَبِهذا لَن نَحتاجَ إلَى أَن نَرعاهُما.. وَمِن حُسنِ حَظِّي.. أَنَّ القِدرَ لَم تسقُط عَلَى رأسي، وَهَذا سَبَبٌ كافٍ يَجعَلُنا نَرضَى كُلَّ الرِّضَى بِما حَدَث."

لاحَظَ مَروانُ أَنَّ بَعضَ العَسَلِ مازال عالِقًا بإحدَى قِطَعِ القِدْر، فاشتاقَ لِتَذَوُّقِه، وَمَدَّ إصبَعَهُ وَذاقَهُ، وقالَ بِكُلِّ مَرَحٍ وَسُرور: "لَعَلَّنا سَنَستَمتِعُ – يا زَوجَتي – بالقليلِ الّذي بَقِيَ لَنا وَنَستَريحُ قَليلاً، فما المانِعُ لَو استيقَظنا مِنَ النَّومِ مُتَأخِّرين بَعضَ الشَّيءِ عَماّ اعتَدنا، والنهارُ مازالَ أمامَنا طَويلاً."

قالَت عَزيزَةُ البَدينَةُ: "لِخمَئِنّ.. فما زلنا نَلحَقُ بالأُمور في الوَقتِ المُناسِبِ.. الدُّنيا لَن تَطير. هَل تَعلَم أنَّ السُّلحفاةَ دُعِيَت يَومًا إلى عُرسٍ في القرية المجاورة، فاتَّخذَت طَريقَها إليه، وَعِندَما وَصَلَت كانَ العَروسان يحتفِلانِ بِمَولودِهما الجَديد." ثُمّ ارتَمت عَزيزةُ فَوقَ السَّريرِ إلى جِوارِ زَوجِها مَروان، وقالت: "في التَّأنّي السَّلامَة، وَفي العَجَلَةِ النَّدامَة."

٢٣- زَوْجَةُ الحَطَّاب

كـانَ عليٌّ حطابًـا فقيرًا، يَذهَبُ كُلَّ يومٍ إِلَى الغابةِ، وَيَقطَعُ الخَشَبَ ويَبيعُهُ في السّوقِ واستَمَرَّ عَلَى هـذهِ الحالِ سَنواتٍ طَويلةً حَتَّى كَبِرَ وأَصْبَحَ شيخًا ضعيفًا.

وذاتَ صباحٍ كـانَ عليٌّ الحطابُ نائِمًا في فِراشِهِ، فأَيقَظَتْهُ زَوْجَتُهُ، وطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَـذْهَبَ إِلَـى الغابـةِ لِيَقْطَعَ بَعْضَ الخَشَبِ، لأَنَّ بيـتَهُ أصبح خالِيًا مِـنَ الطعام.

قَالَ عليٌّ الحطابُ بصوتٍ ضعيفٍ مُرْتَعِش:

"ولكـني مازِلْتُ مُتْعَبًا.. ولا أَقْوَى عَلَى السَّيرِ إِلَى وَسَطِ الغابَةِ... حَيْثُ الأشجارُ الكبيرةُ التي أَقْطَعُ منها ما أريدُ ثـارتِ الزوجةُ وصاحتْ في وجهِ عليٍّ، وطَلَبَتْ مِنْهُ أنْ يَذْهبَ فورًا إلى الغابة.

حَمَلَ عليٌّ الحطابُ فأسَه، وسارَ بِخُطواتٍ بَطيئةٍ يتوَكَّأُ عَلَى الفأسِ. وكُلَّما سارَ مَسافةً قصيرةً توقّفَ قليلاً ليستريحَ، ثم يَبدأَ سَيْرَهُ مِنْ جَديد.

أَخيرًا وَصَلَ عليٌّ إِلَى طَرفِ الغابـةِ.. ورأَى شَجرةً كبيرةً فـاقترَبَ منها، ورَكَنَ فَأْسَهُ عَلَى جِذْعِها، وَجَلَسَ يستريحُ في ظِلِّها... وَلَم يَمضِ وَقتٌ طَويلٌ حَتى سَمِعَ صوتًا يُحَدِّثُه، فنظرَ حولَه، فلَمْ يَرَ أحدًا... شَعَرَ عليٌّ الحطابُ بالخوفِ وأَنْصَتَ جَيّدًا.. فإذا الصّوتُ يأتِي مِنَ الشجرةِ ويقولُ:

"أعـرِفُ أنـكَ قـد أتـيْتَ إلى هُـنا لـتقطعَ فروعـي وأَغـصاني لِتَبـيعَها في السّوقِ... أَرجوكَ لا تفعلْ هَذا وادخُلْ إِلَى وَسَطِ الغابـةِ، وَسَتَجِدُ أشجارًا كثيرةً خُذْ مِنها ما تشاءُ... فقالَ عَليٌّ الحطابُ:

"أنـا شيخٌ كبيرُ السِّنِّ كما تَرَيْن.. وجِسمي ضعيفٌ.. ولا أقدرُ علَى السيرِ داخِلَ الغابَـةِ ... وبيْتي خالٍ مِنَ الطعام.. وأريدُ بعضَ الحَطبِ لأَبيعَهُ وأَشْتَرِيَ بِثَمَنِهِ طعامًا لي ولِزَوجتي.."

قالَت الشجرة: "هَلْ تريدُ أَنْ تَحْصُلَ علَى خعامٍ لكَ ولزوجتِك مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعملَ وَتَتْعَبَ.. إنَّ ما يَأتي سَهْلاً يَذْهَبُ سَهلاً.. ولابُدَّ مِنَ العَمَلِ للحُصولِ عَلَى الطَّعامِ... ومَنْ لا يَعْمَلُ لا يأكُلُ!!"

قالَ عليٌّ الحطّابُ: "أَيَّتهَا الشجرةُ الطيِّبَةُ... وَأَنا مُسْتَعِدٌّ للعَمَلِ... وَلَكِنْ أَرْجُو أَنْ يَكونَ عَمَلاً سَهْلاً يناسِبُ سِنّي وَصِحَّتِي وقُوَّتي"

قالَتِ الشَّجَرَةُ: "حَوْلَ أَشْجارِ الوَرْدِ هَذِهِ .. تَنْمو نباتاتٌ مُتَسَلِّقَةٌ تمتَصُّ غِذاءَ الوَرْدِ وَتُؤْذِيه. وتجعلُهُ يَذْبُلُ ويموتُ.. اِذْهَبْ وخلِّصْ أشجارَ الوردِ مِنَ النباتاتِ المتسلّقةِ... وارجِعْ إليَّ لأَجْزِيَكَ عَنْ عَمَلِكَ"

ذَهَبَ عليٌّ الحطابُ إلى حقلِ الوردِ، وأخَذَ يقطعُ النباتاتِ المتسلقةَ المُؤْذِيَةَ مِنْ حَوْلِ أَشجارِ الوردِ حَتَّى انْتَهَى مِنْها جَميعًا، ثم رَجَعَ إلى الشَّجَرَةِ وأخبَرَها بِما فَعَلَ.

ابتَسَمَتِ الشَجرةُ، وقالَتْ لِعَلِيٍّ الحَطّابِ:

"أَحْسَنْتَ يا عَلِيّ.. دُرْ خَلْفي.. وَقِفْ بِحَيْثُ يكونُ ظَهْرُكَ نَحْوي.. وَسِرْ مُبْتَعِدًا عَنّي خُطْوَتَينْ.. واحفرِ الأرضَ بفأسِكَ إلى عُمقِ ثلاثةِ أَقْدامٍ تَجِدْ خاحُونةً صَغيرَةً عَجيبةً.. فَخُذْها وَأَعِدِ الأَرضَ إلى ما كانَتْ عَلَيْهِ.."

ذَهَبَ عَلِيٌّ الحَطّابُ خِلفَ الشجرةِ، وَفَعَلَ ما خَلَبَتْهُ، وَوَجَدَ خاحونةً صغيرةً ذاتَ مِقْبَضٍ حَديديٍّ أسودً. حَمَلَ عليٌّ الطّاحونةَ وفأسَهُ وعادَ إِلَى الشَجرةِ.

... قالتِ الشجرةُ: "جميل.. عُدْ إلى بيتِكَ يا عليّ.. وَرَكِّزْ نَظَرَكَ أنتَ وزوجَتُكَ عَلَى الطّاحونَةِ... وَقولا معًا:

يا خاحونة.. دوري.. دوري... وسوفَ تَحْصُلُ - إِنْ شاءَ اللهُ - عَلَى خَحينٍ لَمْ تَرَ مِثْلَهُ في حياتِكَ.."

شَكَرَ عَلِيٌّ الحَطّابُ الشجرةَ، وحَمَلَ الطاحونةَ، وَأَسْرَعَ إلى بيتِهِ. وَعِنْدَ البابِ.. كانَتْ زَوْجَتُهُ في انتظاره... غَضِبَتِ الزَّوجَةُ عندَما لَمْ تَجِدْ مَعَ زَوجِها نُقودًا أَوْ خعامًا. بَلْ خاحونةٌ صغيرةٌ.

خلَبَ عليٌّ الحطابُ مِنْ زَوجَتِه أن تُحضِرَ أكبَرَ إناءٍ في البيتِ. أحضَرتِ الزوجةُ الإناءَ ووَضَعَتْهُ أمامُ زوجِها.. أمسَكَ عليٌّ بالطاحونَةِ وقال لزوجتِهِ:

"رَكِّزي نَظَرَكِ عَلَى الطاحونةِ كما أفعلُ.. وقولي معي... يا خاحونَةُ.. دوري .. دوري.."

فجأةً .. بَدَأَتِ الطاحونَةُ تدورُ... وأَخَذَ دَقيقٌ أَبْيَضُ ناعِمٌ ينزِلُ مِنْها... وكانتِ الزوجةُ تنظُرُ إليهِ في سعادةٍ واستِغراب.. حَتّى امتَلأَ الإناءُ.. عِندئذٍ .. قالَ عليٌّ الحطابُ: "أيَّتُها الطاحونةُ.. كُفّي كُفِّي.."

فتوقَّفَتِ الطاحُونَةَ عَنِ الدَّوَرانِ، وقامَتِ الزوجَةُ تعجِنُ بعضَ العَجينِ، وتَخْبِزُهُ في الفُرْنِ.. حَمَلَ عَلِيٌّ ما زَادَ عَنِ الحاجةِ، وباعَهُ في السّوق واشترَى بِثمنِهِ لَحمًا وخُضَرًا... وَرَجَعَ لزوجتهِ فَطَبَخَتْ لَهُ أكلةً لذيذةً، وأكَلا حَتّى شَبِعَا... وشَكَرَ عليٌّ اللهَ وحَمَدَهُ.

استمرَّ عليٌّ وزوجتُه عَلَى هَذِهِ الحالِ أيّامًا وأسابيعَ يَصْنَعون الخُبْزَ مِنَ الطِّحينِ... ويبيعُ عَليٌّ ما يَزيدُ عَنْ حاجتهِ، ويشتري بثمنِه ما يُريدُ. حتَّى جاءَ يومٌ مِنَ الأيامِ، وَخَلَبَتِ الزَّوجَةُ مِنْ زَوجِها أنْ يأخُذَ الطاحونةَ إلَى الصائغِ، وَيَصْنَعَ لها مِقْبَضًا مِنَ الذَّهَبِ الخالِصِ يليقُ بِها، بَدَلاً مِن مِقْبَضِها الحَديديِّ.

حَمَلَ عَلِيٌّ الحطابُ الطاحونةَ، وذَهَبَ إلَى دُكّانِ الصّائِغِ رنين، وخَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُغَيِّرَ مِقْبَضَها الحديدِيَّ، ويَصنعَ للطاحونَةِ – بَدَلاً منه – مِقْبَضًا مِنَ الذَّهَبِ الخالِصِ.. وقالَ لَهُ: "اسمعْ يا رنين.. لا تُرَكِّزْ نظرَكَ أَبدًا عَلَى المِطحَنة.. ولا تَقُلْ لها دوري.. دوري.."

فَهِمَ الصائِغُ رنينٌ أَنَّ لِهَذِهِ الطّاحونةِ سِرًا.. وأنّها ليست مِثْلَ الطواحينِ العاديةِ.. وبعدَ أَن انصَرفَ عَلِيٌّ الحَطّابُ، وضَعَ رنينٌ الطاحونةَ أمامَهُ، وركَّزَ عليها بَصَرَهُ، وقالَ:

"يا خاحونَة.. دُورِي .. دُورِي" فدارتْ.. وَخَرَجَ مِنْها خَحينٌ كَثيرٌ..

ذَهَبَ الصائغُ إلَى السّوقِ، واشترَى خاحونةً تُشْبِهُها تمامًا، وَصَنَعَ لها مِقْبَضا مِنَ الذَّهَبِ الخَالِص. وجاءَ عليٌّ الحطابُ في اليومِ التالي، وَدَفَعَ للصائغِ ثمَنَ المِقْبَضِ الذهبي، وَحَمَلَ الطاحونةَ إلى البيْتِ، وهناكَ وَجَدَ زوجتَهُ في انتظارِه.

خَلَبَتِ الزَّوْجَةُ مِنَ الَّطاحونَةِ بَعْضَ الطَّحينِ كالعادةِ، لكِنَّ الطّاحونَةَ لَم تَعْمَلْ. بَدأَ عليٌّ وزوجتُهُ يشعُرانِ بالجوعِ. غَضِبَ عليٌّ، وَحَمَلَ فأسَهُ، وَذَهَبَ إلى الشجرةِ، وقالَ لَها:

"أُريدُ أنْ أَقْطَعَ بَعضَ أَغصَانِك. لأنَّ الطاحونةَ التي أخذتُها منكِ تَوَقَّفَتْ عَنِ العَمَلِ" قالَتِ الشجرةُ: "انتظِرْ يا عليّ.. رُبَّما حَدَثَ ذَلِكَ لأنَّكَ لم تُتْقِنِ العملَ الذي كَلَّفْتُكَ بِهِ أولَ مَرَّة. فقد قَطَعْتَ النباتاتِ المتسلقةَ... لكنك لم تقطعْ جذورَها مِنْ أصلِها.. فنبتَتْ مِن جديد.. اذهبْ إلى شجيرات الورد.. واقْتَلَع النباتاتِ المُتَسَلِّقَةَ مِنْ جُذورِها هذه المَرّةَ.. حتى لا تَنْبُتَ مرةً أُخْرَى. وعُدْ إلَيَّ لأَجْزِيَكَ عَنْ عَملِكَ"

فَعَلَ عَليٌّ ما خلبته الشجرةُ، وعادَ إليها وأَلْقَى كَوْمَةَ النباتات أمامَ الشجرةِ بَعْدَ أَنْ اقْتَلَعَها مِنْ جُذورِها. فقالَتْ لَهُ الشجرةُ: "خُذْ هَذا الصحنَ مكافأةً لَكَ عَلَى إتقانِ عملِكَ.. واذْهَبْ إِلَى بيتِكَ وَرَكِّزْ نَظَرَكَ أنتَ وَزَوْجَتُكَ عَلَى الصَّحْنِ.. ولخلُبا ما تَشاءانِ مِنَ الأخعمةِ.. فَسَيَمْتَلِئُ بِها في الحال بإذن الله."

شَعَرَ عليٌّ بالنشاطِ، وأَسْرَعَ عائدًا إلى بيتِه دونَ أَنْ يتوقَّفَ لحظةً واحدةً فَعَلَ عليٌّ وزوجتُهُ كما قالَتِ الشجرةُ، وخلبا أُرزًا وَدَجاجا وَمَرَقًا ساخِنًا. امتلأَ الصحنُ بِما خَلَبا، وأَكَلَ الاثنانِ حتى شَبِعا.

مَرّت الأيامُ والشهورُ، وهما يطلبانِ من الصحنِ ما يشاءان وَيَأْكُلان أشهَى أنواعِ الطعام.. إِلَى أَنْ جاءَ أَحَدُ الأيامِ، وخلبتِ الزوجةُ مِن زَوْجِها أَنْ يَذْهَبَ إلى الصائِغِ رَنين، ويصنعَ للصحنِ إِخارًا مِنَ الذَهبِ ليمتازَ بِهِ عَنْ غيرِهِ مِنَ الصّحونِ.

رَفَضَ عليٌّ بِشِدَّةٍ ما خلبَتْهُ زوجتُهُ، وَحَذَّرَها مِن حُبِّ المَظاهِرِ.. لَمْ تسمعِ الزوجةُ كلامَهُ.. وأخذَتِ الصحنَ بنفسِها إلى الصائِغِ رنين، وخلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يصنعَ لِلصَّحن إطارًا مِنَ الذَّهَب. لكنها حَذَّرَتْهُ أَنْ يَطْلُبَ منهُ خعامًا.

انصَرَفَتْ زَوْجَةُ الحَطّابِ، فأغلَقَ الصائغُ رنينٌ بابَ دُكّانِهِ، وَوَضَعَ الصحنَ أمامَهُ، وركَّزَ نَظَرَهُ عليه، وَخَلَبَ مِنْهُ أنواعًا مختَلِفةً مِنَ الطَّعامِ، فأكَلَ حتى شبِعَ.

انتهَى الصائغُ رنينٌ مِنْ خَعامِهِ، وأخفَى الصحنَ في مكانٍ أمينٍ مَعَ الطاحونةِ العجيبةِ، وأحضَرَ صَحْنًا آخَرَ يُشْبِهُهُ تمامًا، وَصَنَعَ لَهُ إطارًا مِنَ الذَّهَبِ.

وفي اليومِ التالي حضرتْ زوْجةُ الحَطابِ وأَخَذَتِ الصحنَ المزخْرَفَ بالذهبِ، وذهبت إلى زوجِها، وكان جائعًا ينتظِرُ الصحنَ ليطلبَ الطعامَ اللذيذَ. جَلَسَتِ الزوجةُ وَوَضَعَتِ الصحنَ أمامَها، وركَّزَتْ نَظَرَها عَلَى الصَّحنِ وصاحت:

"أريدُ لحمًا مَشويًا وَثريدًا..." وكَرَّرَتِ العبارةَ عِدةَ مراتٍ.. لكنَّ الصحنَ لم يَسْتَمعْ.. وَلَمْ يُجِبْها إلَى خلَبِها.

عاتَبَ عليٌّ زوجتَه لأنَّها لم تسمعْ كلامَهُ.. وفي الصباح حَمَلَ عليٌّ فأسَهُ وتوجَّهَ إلَى الغابَةِ حيثُ الشجرةُ.. وقالَ لها:

"أيتها الشجرةُ الطيّبةُ.. لقد حدثَ للصحنِ ما سَبَقَ أَنْ حَدَث للطاحونَةِ. ولم يَعُدْ يأتي لنا بالطعام.. فقد ذهبَتْ زوجتي إلى الصائِغِ رنين ليصنعَ للصحن إخارًا من الذهب. وعندما عادت به امتنع الصحنُ عَنْ تقديمِ الأخعمةِ التي كانَ يِقَدّمُها لَنا." قالت الشجرةُ: "فَهِمْتُ يا عليّ. إلَى مَتَى ستظَلُّ زوجَتُكَ تَجْري وراءَ المظاهِرِ؟! لا تحزَنْ .. فما زال لَكَ عِنْدي شَيء.. هَلْ تَرَى هَذا الفرعَ الصغيرَ الّذي هناكَ.. اذهَبْ إلَيْه واقْطَعْهُ مِنْ جَسَدي.. وارجعْ إليَّ"

ذَهَبَ عليٌّ إلى الفَرع وَقَطَعَهُ، وَعادَ إلَى الشَّجَرَةِ وهو يحملُهُ في يَدِهِ.. ابتسمَتِ الشَجرةُ وقالت:

" جميل... صارَتْ مَعَكَ الآنَ عَصًا غليظةٌ... اذْهَبْ بهذِهِ العَصا إلى جارِكَ الصائِغَ رنين كَيْ يُزَيِّنَها لَكَ... وَسَوْفَ تساعِدُكَ العصا - إن شاء الله - في إعادةِ حَقِّكَ الذي سَرَقَهُ الصائِغُ منكَ ومِنْ زوجتِك - ولْتَطْلُبْ مِنْهُ أَلاَّ يُرَكِّزَ عليها نظَرَةً.. وألاّ يقولَ لَها: خُوفِي .. خُوفِي.."

أَخَذَ عليٌّ العَصا، وذَهَبَ بها إِلَى جارِهِ الصائِغِ رَنين، وعِندَما دخَلَ عليْهِ الدُّكّان فرِحَ الصائِغُ، وَرَحَّبَ بِهِ تَرحيبًا شديدًا.. وهو يفكِّرَ في الشيءِ الجديدِ الذي سَيأتِي به.

قالَ عليٌّ: "أُريدكَ أَنْ تُزَيِّنَ هَذِهِ العَصا بِحَلْقاتٍ.. واحدةٌ مِنَ الذهب.. وواحدةٌ مِنَ الفضةِ... ولكِنْ أَرجوكَ ... لا تركِّزْ عليْها بَصَرَكَ .. ولا تَقُلْ للعَصا: خُوفِي.. خوفِي"

انْصَرَفَ عليٌّ الحطابُ. فأَمْسَكَ رَنينٌ بِالعَصا ونَظَرَ إليها جَيِّدًا وقالَ لَها: "خوفِي.. خوفِي.." فانْهالَتْ عَليهِ العَصا ضربًا.. حاوَلَ رنينٌ أَنْ يهرُبَ مِنها ويجرِيَ ... لكنها كانَتْ تلاحقُهُ وتضربُه. جَرَى رنينٌ إِلَى أن وَصَلَ إلى مكان الطاحونِة والصَّحْنِ .. فلما أمسَكَهُما توقَّفَتِ العَصا عَنِ الضربِ. فَتَرَكَهُما رنينٌ مِنْ يَدِهِ، فَعادَتِ العَصا تضربُهُ بِشِدَّةٍ مِنْ جديد..

أمسكَ رنينٌ الطاحونةَ والصحنَ، وَحَمَلَهُما إِلَى بَيْتِ جارِهِ عليٍّ الحطابِ، والعَصا مِن خلفه تَضْرِبُهُ.

فَتَحَ عليٌّ الحطابُ البابَ فقدَّمَ لَهُ الصائغُ رنينٌ الطاحونةَ والصحنَ وقالَ: "أَنقِذْني يا جاريَ العزيز.. وأَغِثْنِي.. هَذِهِ العَصا كادَتْ أَنْ تَقْتُلَني.. فهي تَضْرِبُني بِلا رَحْمَة.. تُبْتُ إِلَى الله.. تبتُ إلى الله.. أرجوكَ أَنْ تُسامِحَني يا عليّ.. فقد نِلْتُ جزاء خِيانَتي... وَطَمَعِي فيما لَيْسَ مِنْ حَقّي!!"

فَرِحَتِ الزوجةُ بعودةِ الطاحونةِ والصَّحْنِ.. لكنَّ عليًّا الحَطَّابَ قالَ لَها بِحَزْمٍ:

"كَلاّ يا زوجَتي... لَنْ نَسْتَعْمِلَ الطاحونةَ والصَّحْنَ بَعْدَ الآن سنأكُلُ مِن كَدِّي وعَمَلِ يَدي.. وعَرَق جَبيني .. لقد عِشْنا خَوالَ حياتِنا دُونَ هذا الصحنِ.. وَدُونَ هَذِهِ الطاحونةِ.. وكُنّا نأكُلُ مِنْ رِزْقِ اللهِ حَلالاً طَيِّبًا.. وكُنّا أَسْعَدَ حالاً.. وأَهْنأَ بالاً.!!"

أعادَ عليٌّ الحَطّابُ الطاحُونةَ والصحنَ والعَصا إلى الشجرةِ.. وَشَكَرَها.. وَرَجَعَ إلى بَيْتِهِ وَهُوَ يقولُ في نفسِه:

"الحمدُ لِله.. فقد عَلَّمَتْنِي الشجرةُ أشياءَ نافِعةً! عَلَّمتَنْي أنَّ العَمَلَ واجِبٌ.. وَعَلَّمَتْني ضَرورةَ إتقانِ العَمَلِ.. وأنَّ اللهَ لا يُضيعُ أجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً.."

٢٤- البَخيلُ

كانَ عِندَ بَخيلٍ ثروَةٌ كَبيرَةٌ مِنَ المالِ والحُلِيِّ الذَّهَبِيَّة. وذاتَ يَومٍ باعَ كُلَّ ما لَدَيهِ مِن مال وَاشتَرَى ذَهَبًا، ثُمَّ جَمَعَ كُلَّ ما عِندَهُ مِن ذَهَب، وَجَهَّزَهُ وَصَنَعَ مِنهُ سَبيكَةً مِنَ الذَّهَبِ في حَجمِ خُوبَةٍ كَبيرَة. دَفَن البخيلُ سَبيكَةَ الذَّهَبِ سِرًا في حَقل، وَوَضَعَ عَلامَةً يَعرِفُ بِها المَكان.

كانَ البخيلُ يأتي كُلَّ يَومٍ إلَى المَكان ، ويُخرِجُ السَّبيكَةَ وَيَنظُرُ إلَيها بإعجاب. وكانَ أحيانًا يَقضي السّاعاتِ الطِّوالَ يَتَأَمَّلُ كَنزَه، ثُمَّ يَدفِنُهُ في التُّراب.

لاحَظَ أَحَدُ رِجالِ البَخيلِ أَنَّهُ يُكثِرُ مِن زِيارَةِ المَكان والتَّرَدُّدِ عَلَيه. وذاتَ يَومٍ راقَبَهُ واكتَشَفَ سِرَّه. اِنتَهَزَ الرَّجُلُ الفُرصَةَ، وَذَهَبَ إلَى المكان ليلاً، وَحَفَرَ الأرضَ في الموضِعِ الَّذي كانَ البخيلُ يَقصِدُهُ، وَوَجَدَ سَبيكَةَ الذَّهَبِ، وَأَخَذها وانصَرَف.

وفي اليَومِ التّالي زارَ البخيلُ المكانَ كَعادَتِه، وَلَمّا اكتَشَفَ اختفاءَ كَنزِهِ كادَ يَفقِدُ عَقلَه، وَأَخَذَ يَشُدُّ شَعرَهُ وَيَصيحُ: "ضاعَ كَنزي.. سَرَقوا ذَهَبي."

رَأَى البخيلَ جارٌ لَهُ، فَأَقبَلَ نَحوَهُ، وَسَأَلَهُ عَمّا حَدَثَ لَه، فَأخبَرَهُ البخيلُ بالقِصَّة. فَكَّرَ الجارُ وقالَ: "لا تَحزَن - يا صاحِبي، أحضِر خوبَةً وَضَعَها في الحُفرة، وانظُر إلَيها كُلَّ يوم، فَلَن تُصبِحَ أَسوأَ مما كُنتَ عليه، فَعِندَما كانَ لَدَيكَ ذَهَبُكَ لَم تَكن تَنتَفِعُ بِه وَلا تَستفيدُ مِنه.

٢٥- الزَّوجَةُ المُدبِّرَة

قالَ أَيمنُ لأَبيهِ إِنَّهُ يُريدُ أَن يَتزَوَّج، فَقالَ لَهُ الأَبُ: "أُوافِقُ إذا استَطَعتَ أَن تَقومَ بالتَّجربَةِ التي سأشرَحُها لَكَ بِنَجاح. خُذ هَذا الجُنَيْهَ، واذهَب إلى أَيِّ مكان، وَعُد بَعدَ فَترَةٍ وَمَعَكَ الجُنَيْهُ وَخَروفٌ وَرَخِلُ لَحمٍ وَرَخِلُ عَظم. عِندَئِذٍ سَأُزَوِّجُكَ بِمَن تُريد."

خَرَجَ أَيمَنُ وَمَعَهُ الجُنَيه. وَفي الطريقِ قابَلَ رَجُلاً، وَصَحِبَهُ في رِحلَةٍ. سأَلَ أَيمَنُ الرَّجُلَ: "أَتَحمِلُني أَمْ أَحمِلُك؟" فوجِئ الرَّجُلُ بِهذا السؤالِ الغَريب، وَرَدَّ علَى أَيمَنَ قائلاً: "إنْ أَنتَ حَمَلتَني جَعَلتَني سُخرِيَةً لِلنّاس، وَإِن أَنا حَمَلتُكَ فَلَن أَتَحَمَّلَ ثِقَلَ جِسمِك."

لم يَرُدَّ عليهِ أيمنُ، وإنَّما سارَ مَعَ الرَّجُلِ خُطُواتٍ أُخرَى، وَشاهَدا حَقلاً أَخضرَ يَعمَلُ فيهِ فَلاّح. سَأَلَ أيمنُ الرَّجُلَ: "هَل هَذا الفَلاَّحُ حَرَثَ حَقلَهُ أَو لَم يَحرُثْهُ؟" تعجَّبَ الرَّجُلُ مَرَّةً أُخرَى وَقال: "أَلم تَرَ بِعَينِكَ كيفَ أَنَّ الحَقلَ مازالَ أَخضَرَ لم يَحرُثْهُ أَحَدٌ؟!!"

لم يَرُدَّ أَيمَنُ عَلَى كَلامِ الرَّجُل، واستَمَرَّ في السَّيْرِ مَعَه. فقابَلا نَعشًا، فَسَأَلَ أَيمَنُ الرَّجُلَ: "تُرَى هَل ماتَ الرَّجُلُ الَّذي بِالنَّعشِ أَو لَم يَمُت؟" زادَ عَجَبُ الرَّجُلِ مِن هَذا السُّؤالِ الغَريبِ، وَتَرَكَ أَيمنَ، وَسارَ وَحدَه.

وَصَلَ الرجلُ إلى بَيته، وقابَلَتهُ ابنتُه. حَكَى الأَبُ لأَبنَتهِ ما حَدَثَ بينَهُ وَبَينَ الشّاب. سَمِعتِ الابنةُ القِصَّةَ باهتمام، ثم قالَت لأَبيها: "إنَّ هَذا الشابَّ حكيمٌ، وَيَنبَغي أَن تَخرُجَ لِتَبحَثَ عَنه، وَتُحضِرَهُ إِلَى بيتِنا."

طَلَبَ الأَبُ مِن ابنتهِ أن توضِّحَ لَهُ الأَمر. فَقالَت الابنةُ: "إنَّهُ يَعني بالسُّؤالِ الأَوَّل، هَل تَقُصُّ عَلَيَّ حكايةً أَو أَقُصُّ أَنا عليكَ حِكايةً نَتَسَلَّى بِها في رحلتنا؟. ويقصِدُ بالسُّؤالِ الثاني، هَل حَرَثَ هَذا الفَلاّحُ حَقلاً يؤجِّرُه فلا يَعودُ عليه بأيِّ مكسَبٍ أَو فائِدَة، أَم أَنَّهُ حَرَثَ أَرضًا مِلكًا لَهُ عادَت عَلَيه بالخَيْرِ والمالِ الكَثير. أمّا السؤالُ الثالثُ فَمعناهُ هَل هَذا المَيّتَ تُوُفِّيَ وَتَرَكَ ذُرِّيَةً

وَأَبناءً يَحمِلونَ اسمَه فيَحيا ذِكرُهُ بَينَ النّاس، أَو أَنَّهُ ماتَ دونَ أَن يكونَ لَهُ أولاد، فتكون قد انقطَعَت سِلسِلةُ نَسَبِه."

خَرَجَ الرجلُ وَبَحَثَ عن أَيمَن وَوَجَدَهُ، وَدَعاه إِلَى بيتِه، وقابَلَ الابنةَ، وَحَكَى لها سَبَبَ خُروجِهِ مِن بَيتِهِ وَماذا طَلَبَ مِنهُ أبوه. أَخَذَتِ الفتاةُ تُفكِّرُ مَعَ أَيمَنَ في خُطَّةٍ تُرضي أَباه وتُحقِّقُ رَغبَتَه. أَخَذَتِ الفتاةُ الجُنَيهَ مِن أَيمَنَ، وَاشتَرَت بِهِ خَروفًا، وانتَظَرَت حَتَّى كَبَرَ، فَجَزَّت صوفَهُ، وباعت الخَروفَ والصّوفَ وَحَصُلَت عَلَى مَكسَبٍ مَعقول، ثُمَّ اشترت خَروفًا صَغيرًا، وَرَطلاً مِنَ الَّلحم، وَآخَرَ مِنَ العَظم، وَفي الوَقتِ نَفسِهِ احتَفَظَت بالجُنَيه.

أعطَت الفتاةُ أَيمنَ الجُنَيهَ ورَطلَ الَّلحمِ ورَطلَ العَظم. أَخذَها أيمنُ وَعادَ إلى منزِلِه، وقدَّمَ لَهُ الأَشياءَ الثلاثةَ الّتي طَلَبها منه. سُرَّ الأبُ وَرَبَّتَ عَلَى كَتِفِ ابنِه، وَقالَ: الحَمدُ للهِ أَنَّكَ اكتَسبتَ الحِكمَةَ والمَعرِفَةَ وَالتَّدبير، وَيُمكِنُكَ الآنَ أَن تَتَزَوَّجَ، وَتَستَقِلَّ بِحياتِكَ، وَتعتَمِدَ عَلَى نفسِك.

في اليومِ التالي ذَهَبَ الاثنانِ إِلَى بَيتِ الفَتاة، وَخَطَبَها أَبو أيمنَ مِن أَبيها، وَهُوَ مُطمَئِنٌّ إلى أَنَّ الزوجَيْن الشابَّين يِمكنُهما أَن يُواجِها مَعركَةَ الحَياةِ بِنَجاح، وَيعيشا مَعًا في سَعادَةٍ وَهَناء.

٢٦- الفَقيرُ والوَزير

كانَ حَمّالٌ فَقيرٌ يَعمَلُ مِنَ الصَّباحِ حَتّى المساءِ، يَسوقُ حِمارَهُ، وَيَحمِلُ عَلَيهِ لِلنّاسِ أَشياءَهم، كَيْ يَكسِبَ بعضَ الدّراهِمِ يَشتَري بِها طَعامًا لأَولادِه. وَكانَ في كثيرٍ مِنَ الأَيّامِ لا يَكسِبُ إلاَّ ثَمَنَ الشّعيرِ الّذي يُقدِّمُهُ لِحِمارِه، وَيَعودُ إلَى البَيتِ لِيَقضِيَ اللَّيلَ جائِعًا هُوَ وَأَولادُه.

وَذاتَ يَومٍ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بِرزقٍ كثير، فاشتَرَى لأَهلِهِ أَنواعًا مِنَ الطَّعامِ، وَمَلأَ كيسَ حِمارِهِ بالشَّعير، وَقَصَدَ بَيتَهُ. وَفي أَثناءِ سَيرِهِ أَرادَ أَن يَشتَريَ بَعضَ الفاكِهة، وانشَغَلَ بالحَديثِ مَعَ الفاكِهيِّ، وَلَمّا رَجَعَ لَم يَجِد حِمارَه. فَتَلَفَّتَ يَمينًا وشِمالاً فَلَم يَرَ لَهُ أَثَرًا.

خافَ الحَمّالُ في الأَزِقَّةِ والحاراتِ وَهُوَ يُنادي وَيَسأَلُ النّاسَ عَن حِمارِهِ المَفقودِ لَكِنْ مِن غَيْرِ فائِدَة. تَعِبَ الحّمال وَتَوَرَّمَت قَدَماهُ مِنَ المَشي، ثُمَّ نَظَرَ إلَى السَّماءِ، وَصاحَ في غَضَب: "يا رَبّ .. في كُلِّ الأيامِ لا أُرزَقُ إلاّ بالقَليل، وَيَومَ رُزقتُ بالكَثير يَضيعُ الحِمار!!"

ذَهَبَ الحَمّالُ الفَقيرُ إلَى المَلِكِ يُريدُ أَن يَشكُوَ اللهَ إلَيْه، فَمَنَعَهُ الحُرّاسُ مِنَ الدُّخول، فَأَخَذَ يَصرُخُ وَيَصيحُ حَتَّى سَمِعَهُ المَلِكُ، فَأَطَلَّ مِن نافِذَةِ القَصر، فَرَأَى الحّمالَ الفَقيرَ، فَأَشارَ إلَى الحُرّاسِ أَن اسمحوا لَهُ بالدُّخول، فَدَخَلَ والغَضَبُ ظاهِرٌ عَلَيه. وَتَقَدَّمَ مِنَ المَلِك، فَلَمّا سَأَلَهُ المَلِكُ عَن طَلَبِه، قالَ لَهُ إنَّهُ يُريدُ أَن يَشكُوَ إلَيْهِ الله. فَضَحِكَ المَلِكُ طَويلاً، وَخَفَّفَ مِن غَضَبِهِ بِكَلامٍ رَقيق، ثُمَّ سَمِعَ حِكايَتَهُ وَتَأَثَّرَ بِها، وأَمَرَ لَهُ بِمالٍ كَثير، فَخَرَجَ الفَقيرُ فَرِحًا مَسرورًا.

وَكانَ الوَزيرُ بِجِوارِ المَلِكِ يَسمَعَ وَيَرَى، فَضايَقَهُ أَن يَنالَ هَذا الفَقيرُ كُلَّ ذَلِكَ المال. فَمالَ عَلَى المَلِكِ، وقالَ لَهُ إنَّ هَذا الرَّجُلَ مُحتالٌ، وَاختَلَقَ تِلكَ القِصَّةَ لِيَحصُلَ عَلَى المال. ثُمَّ طَلَبَ مِنَ المَلِكِ أَن يُرسِلَ وَراءَهُ الجُنودَ لِيُحضِروه، فَإنَّ لَدَيْهِ سُؤالاً يُريدُ أَن يَمتَحِنَهُ بِهِ لِيَكشِفَ كَذِبَهُ واحتِيالَه. ذَهَبَ

الجُنودُ وَأَحضَروا الحَمّالَ الفَقيرَ، فَدَخَل خائِفًا مُضطَربًا. فَأخبَرَهُ المَلِكُ أَنَّ الوَزيرَ يُريدُ أَن يَسأَلَهُ سُؤالاً إنْ عَرَفَ الجَوابَ مَنَحَهُ مَزيدًا مِنَ المالِ، وَإن لَم يَعرِفْ قَطَعَ رَأسَه.

اِضطَرَبَ الفَقيرُ، وَوَقَفَ حائِرًا يَنتَظِرُ سُؤالَ الوَزير. عِندَئِذٍ سَأَلَهُ الوَزيرُ: "أَينَ أَوَّلُ الدُّنيا؟ وَأَينَ آخِرُها؟" فَأجابَهُ الفَقيرُ بِسُرعَةٍ: "عِندَ أَقدامِ المَلِكِ أَوَّلُها وآخِرُها." سُرَّ المَلِكُ بالجَوابِ، وَنَظَرَ إلَى الوَزيرِ فَوَجَدَهُ يَقِفُ صامِتًا لا يَنطِقُ بِكَلِمَة. أَمَرَ المَلِكُ لِلفَقيرِ بِبَعضِ المال. فَأَخَذَهُ الفَقيرُ وَخَرَجَ فَرِحًا مَسرورًا وَالوَزيرُ واقِفٌ يَنظُرُ إلَيْهِ فِي غَيظٍ وَحنق.

وَقَبلَ أَن يَبتَعِدَ الرَّجُلُ الفَقيرُ عَنِ المَكان، مالَ الوزيرُ عَلَى المَلِكِ مَرَّةً أُخْرَى، وَقالَ لَهُ إنَّهُ مازالَ يَعتَقِدُ أَنَّ هَذا الرَّجُلَ مُحتالٌ، وَأَنَّ لَدَيْهِ سُؤالاً آخَرَ سَيَكشِفُهُ. وَلَمّا وَصَلَ سَأَلَهُ الوَزيرُ: "فِي أَيِّ جِهَةٍ وَجْهُ الله؟" فَكَّر الفَقِيرُ قَليلاً، ثُمَّ طَلَبَ مِن المَلِكِ أَن يُرسِلَ الخَدَمَ لإِحْضَارِ شَمعَة. وَلَما أحضروها وَضَعَها أَمامَ المَلِكِ، ثُمَّ سَأَلَهُ: "أَينَ وَجْهُ هَذِهِ الشَّمعَةِ – يا مَوْلاي؟" فَأَجابَ المَلِكُ: "فِي كُلِّ الجِهات." فالتَفَتَ الفَقيرُ إلَى الوَزيرِ وأجابَهُ: "وَكَذَلِكَ وَجهُ الله. فَهُوَ فِي كُلِّ مَكان." فَأُعجِبَ المَلِكُ بِجَوابِ الفَقيرِ إعجابًا شَديدًا، وَمَنَحَهُ مَبلَغًا كَثيرًا مِنَ المال.

هَمَّ الفَقُير بالانصِرافِ، فَمالَ الوَزيرُ عَلَى المَلِك، وَطَلَبَ مِنهُ أَن يأمُرَ بإحضارِ الفَقير، فإنَّ لَدَيْهِ سُؤالاً أَخيرًا يُريدُ أَن يَمتَحِنَهُ بِه. فَأجابَ المَلِكُ طَلَبَ الوَزير، وَذَهَبَ الجُنودُ وَأَحضروا الفَقيرَ، فَدَخَلَ وَهُوَ فِي قَلَقٍ شَديد، وَلَكِنَّهُ هَدَأَ بَعدَ قَليلٍ، وَصَمَّمَ عَلَى أَن يَتَحدَّى الوَزير. سارَ الوَزيرُ بِخُطُواتٍ ثابِتَةٍ مَزهُوًّا بِنَفسِه، قَبلَ أَن يُلقِيَ السُّؤالَ الثالِثَ، ثُمَّ قالَ: "ما عَمَلُ الله؟"

طَلَبَ الفَقيرُ مِنَ المَلِكِ أَن يَأمُرَ الوَزيرَ يَخلع ثوبِهِ، فَأَمَرَ المَلِكُ وَزيرَهُ بِذَلِك. دُهِشَ الوَزيرُ وارتَبَكَ، وَنَظَرَ إلَى المَلِكِ مُستَعطِفًا، فَأَمَرَهُ المَلِكُ مَرَّةً أُخرَى. اِستَجابَ الوَزيرُ لِطَلَبِ المَلِكِ وَخَلَعَ ثَوبَهُ. عِندَئِذٍ خَلَعَ الفَقيرُ ثَوبَهُ القَديم،

وَألقـاهُ عَلَـى الوَزيـر، ثُـمَّ خلَـبَ مِـنَ المَلِكِ أَن يَأمُرَ وَزيرَهُ بارتِدائِه، فَأَمَرَه. تَرَدَّدَ الوَزيـرُ أَوّلاً، ثـم نَفَّـذَ أَمـرَ المَلِـكِ، وَلَـبَسَ الـثَّوبَ القَـديم في تِلـكَ اللَّحظَـةِ لَبَسَ الفَقيرُ ثوبَ الوَزير، ثُمَّ التَفَتَ إلَى المَلِكِ وَخَلَبَ مِنهُ أَن يَأمُرُ الوَزيرَ بالنُّزولِ عَن كُرْسِيِّهِ، فَأَمَرَهُ المَلِكُ فَفَعَلَ.

عِـندَئِذٍ تَقَـدَّمَ الفَقيرُ مِنَ الكُرسِيّ، وَجَلَسَ بِجِوارِ المَلِكِ عَلَى كُرسِيِّ الوَزير، ثُـمَّ الـتَفَتَ إلَـى الـوَزيـر وَقـالَ: "انظُـر. هَـذا هُوَ جَوابُ سُؤالِك. إنَّ عَمَلَ اللهِ – تعالَى – أَن يَرفَعَ أناسًا، وَأَن يَخفِضَ آخَرين."

أُعجِبَ المَلِكُ بِذَكاءِ الفَقير، وَقالَ لَهُ: "لَقَد ثَبَّتْنَاكَ فيما أَنتَ فيهِ الآنَ. فَأَنتَ مُـنذُ الـيَومَ وَزيـري". ذُهِـلَ الوزَيرُ عِندَما سَمِعَ كَلامَ المَلِك، وَلَمّا هَمَّ بِالحَديثِ أَشـارَ إلَـيْهِ المَلِـكُ بِمُغـادَرَةِ المكـان فَانـصَرَفَ. ثُمَّ التَفَتَ المَلِكُ إلَى الفقير – وَقَد أَصبَحَ وَزيرَهُ – يُهَنِّئُهُ وَيُبارِكُ لَهُ، وَقَد أَدرَكَ أَنَّ في شَعْبِهِ مَن هُوَ أَذكَى مِن ذَلِكَ الوَزيرِ اللَّئيمِ، وَأَحَقُّ بالوَزارةِ مِنْهُ.

٢٧- الغَزالُ المُنْقِذُ

كانت قافِلَةٌ تَسيرُ في الصَّحراء، حامِلَةً الهَدايا والبَضائِعَ الثَّمينة. وفجأةً هَبَّت عاصِفَةٌ قَوِيَّة، أثارتِ الرِّمال، وارتَفَعَت في الجو، وأظلَمَت الدُّنيا، وَضَلَّ التجارُ الطَّريق. نَظَرَ رِجالُ القافِلَةِ فَوَجدوا جِسمًا لامِعًا مُضيئًا يَتَحَرَّكُ عِندَ الأُفُق. اِقتَرَبَ الجسمُ الَّلامِعُ فإذا هُوَ غزالٌ ذو فَروٍ بِتِسعَةِ ألوان.

اقتَرَبَ الغَزالُ مِنَ القافِلة، وَحَيّا التُّجّارَ وَقال: "جِئتُم أَيُّها الضُّيوفُ الكبارُ مِن مسافَةٍ بَعيدة، وَلَعَلَّكُم في ضيق وتَعَب.. أَوَدُّ أَن أدلَّكُم عَلَى الطَّريق." رَحَّبَ أهلُ القافِلَةِ بالغَزال، وَعَبَّروا عن شُكرِهِم له.

سارَ الغَزالُ أَمامَ القافِلَة، وَسارتِ الجِمالُ خَلفَه، حَتَّى وَصَلوا إِلَى الطريقِ المُؤَدّي إِلَى المدينة. شَكَرَ التُّجّارُ الغَزال، وَوَقَفَ فوقَ تَلٍّ يُوَدِّعهم. انطَلَقَتِ القافِلَةُ في طَريقِها إِلَى المدينة، وَقَد زالَ عَنها الخَطَر. أخيرًا وَصَلوا. واستقبَلَها أهلُ المدينةِ وَتُجّارُها استِقبالاً حارًّا.

وكانَ رَجُلٌ في رُكنٍ من أركان السّوق، يَلعَبُ بِحَيَّةٍ مَعَه، وَيَبيعُ دَواءً لِعِلاجِ لَدغِ الثَّعابين. جاءَ حارسُ السّوق، وَطَرَدَ الرَّجُلَ. سارَ الرجلُ حَزينًا، وتوجَّهَ إِلَى الجِبال القَريبة، لِيصطادَ الثَّعابينَ، وَيَجمَعَ الأعشابَ الطِّبِّيَّةَ.

أرادَ الرَّجُلُ أَن يغسِلَ يَدَيهِ وَوجهَه، فاقتَربَ مِن النهر. انحَنى الرجلُ لِيَغسِلَ يَدَيه، وَفَقَد تَوازُنَهُ فَسَقَطَ في الماء. كانَ الرَّجُلُ لا يعرفُ السِّباحَة، وصاحَ بِأعلَى صَوتِه: "النَّجدَةَ.. النَّجدةَ.. أنقِذوني.. أنقِذوني.."

سَمِعَ الغَزالُ صِياحَ الرَّجُل، فَجَرَى نَحوه، وَقَفَزَ في الماء، وَجَذَبَهُ مِن قَميصِه، وسَبَحَ بِهِ نَحوَ الشّاطِئ، وأنقذَهُ من الغَرَق. شَكَرَ صاحِبُ الحَيَّةِ الغَزالَ الّذي أنقذَ حياتَه، وأقسَم أَنَّهُ سيكونُ صَديقَهُ المُخلِصَ طَوالَ العُمر.

أقامَ المَلِكُ مَأدُبةً لِرجالِ القافِلة، وَقَدَّمَ لَهُم أَلَذَّ الطَّعامِ والشَّراب. وفي أثناءِ الجلسةِ حَكَى بَعضُهُم للملك قِصَّةَ الغزال الّذي دَلَّهُم عَلَى الطريقِ بعدَ أَن كادوا يَضيعونَ في الصَّحراءِ وَيَهلَكون. وكانت المَلِكةُ تَقِفُ خَلفَ السِّتار، وَسَمِعَت كُلَّ ما قالوه.

قالت الملكةُ لِنَفسِها: "لماذا لا يكونُ لي مِعطفٌ مِن فَروِ الغَزال ذي الألوان التِّسْعَة؟ ومنَ المؤكَّدِ أنّهُ سيكونُ جميلاً، ولَن تَقدِرَ أَيَّةُ امرَأةٍ أَنْ تَمْلِكَ معْطَفًا مِثلَهُ. خَلَبَتِ الملكةُ مِنَ المَلِكِ أن يَأمُرَ جُنودَهُ بصَيد هَذا الغَزال لِيَعمَلَ مِن فَروهِ معطَفًا يليقُ بها. لم يوافِق الملكُ عَلَى خَلَبِ زَوجَتِهِ الملكةِ، وقالَ لَها: "هَذا الغَزالُ الطيِّبُ يَجلِبُ لِلبِلادِ الخَيرَ والبَرَكَة، وَصَيدُهُ سَيُسَبِّبُ لَنا المتاعِب." صاحَتِ المِلِكَةُ وقالَت: "كَيف لا يكونُ لي - أنا الملكة - الحَقُّ في صَيدِ غَزال؟! أينَ شَرَفُ المِلِكة؟ وأين عَظَمَتُها؟" ثم بدأت تبكي أمام المَلك.

أخيرًا، أَصدَرَ المِلِكُ أَوامِرَهُ للناس بِأَن يَصطادوا الغَزالَ ذا الألوان التِّسعة. وَوَعَدَ الذي يَصطادُهُ بِمُكافَأةٍ مِن الذَّهَبِ والفِضَّة. سَمِعَ صاحِبُ الحَيةِ أوامِرَ المِلِك، وَخَمِعَ في المكافَأة، وقَصَدَ المِلِك، وَأَخبَرَ الحُرّاسَ أنه يعرِفُ مَكانَ الغَزال. أَخَذَهُ الحَرّاسُ لِلمَلِكِ فَأَمَرَ مجموعةً من جنوده بأن يَتوَجَّهُوا مع الرجل لِيَدُلَّهُمْ على مكانه. رَكِبَ الملك وجنودُه الخيل، وَتَبِعَهُم صاحِبُ الحَيَّةِ راكِبًا حِمارَهُ الهزيل.

شاهَدَ البُلبُلُ المِلِكَ وَجُنودَه فطار بِسُرعةٍ إلى الغزال وَأَبلَغَهُ بِالأمر. وكانَت الملكةُ تَنتَظِرُ صَيد الغَزال بِفارِغ الصَّبر، و تَتَخَيَّلُ نَفسها وَقد ارتَدَتِ المعطَفَ ذا الألوان التِّسعة. بَحَثَ الجنود عن الغَزال في كُلِّ مَكان وَلَكِنَّهم لَم يَعثُروا عَلِيه. غَضِبَ المِلِكُ، وَأَمَرَ صاحِبَ الحَيَّةِ بإحضار الغَزال قَبلَ الغُروب.

فَكَّرَ صاحِبُ الحَيَّةِ بِسُرعَة واهتدَىَ إلَى فِكرَةٍ ماكِرَة. ذَهَبَ إلَى المكان الَّذي غَرقَ فيهِ في النَّهر، وَقَفَزَ في الماء، وبدأَ يصيحُ ويستغيث، ويُنادي: "النَّجدةَ.. أنقِذوني.." سَمِعَ الغزالُ صُراخَ الرَّجُل، فأقبَل بِسُرعَة مِنَ الغابَة - غَيرَ مُهتَمٍّ بما قالَهُ البُلبُل - وهو يقولُ في نفسِه: لا يُمكِنُ أَن أقِفَ مُتَفَرِّجًا وَهُناكَ شَخصٌ في خَطَرٍ يَصيحُ في خَلَبِ النَّجدَة."

اقتَرَبَ الغَزالُ مِن مكان الرَّجُلِ في النهر. ولما رآه صاحِبُ الحَيَّةِ أَشارَ للجُنودِ لِيُحيطوا بالغَزالِ مِن كُلِّ جانِب. توجه الجنودُ بِسُرعَةٍ نَحوَ الغَزال،

واستعدّوا بالشِّباكِ والسِّهام. وَعِندَما اقتربَ الغَزالُ صاحَ صاحِبُ الحَيَّة: "أَسرِعوا. أَلقوا السِّهام."

كان الغَزالُ يَتَحَرَّكُ بِسُرعَة، لِذَلِكَ لم تُصِبْهُ السِّهام لكنَّ أَحَدَ الجُنودِ أَلقَى عَلَيهِ شَبَكَةً كَبيرَةً وَأَمسَكَ بِه. أَخذ الجُنودُ الغَزالَ إِلَى الملِك، فَحَكَى لَهُ الغَزالُ كيفَ أنقذَ صاحِبَ الحَيَّةِ مِنَ الغَرَق. تَعجَّبَ الملكُ مِنَ الرَّجُلِ ناكِرِ الجَميل، وَنَظَرَ إِلَيه نَظرةً صارِمَة. شَعَرَ صاحِبُ الحَيَّةِ بِخَجَلٍ شَديدٍ وَخَوف، فَضَعُفَت قَدَماهُ، وَسَقَطَ فِي النَّهر.

أَخلَقَ الملكُ سَراحَ الغَزالِ الطَّيِّب، وهَتَفَ لَهُ الجنود. سارَ الغَزالُ نَحوَ الغابَة، وَقَبل أَن يَختَفِيَ بَينَ الأَشجار التَفَتَ خَلفَهُ، وَنَظَرَ إِلَى المَلِكِ وَجُنودِه نَظرةَ وَداع، ثُمَّ انطَلَقَ فِي الغابة.

وَمُنذُ ذَلِكَ الحين انتشَرَت حِكايَةُ هَذا الغَزالِ الطَّيِّبِ بَينَ النّاس، وَصارَ النَّاسُ يَحكُونَها جيلاً بَعدَ جيلٍ.

٢٨- وَردَةُ الأَرنَب

صَرَخَ الأرنبُ الظريفُ وبكَي بِشِدَّة... سَمِعَهُ الأَصدقاء فأسرَعوا إليه... سألَتْهُ الغَزالة: "لماذا تبكي يا أرنَب؟ قالَ الأرنبُ الظريف: "استيقظْتُ في الصَّباح... لأَسْقِيَ وردتي الجميلةَ التي زرعْتُها بيدي... فلمْ أجِدْها.." تَوَقَّفَ الأرنبُ عن الكلام، وعادَ إلى البُكاءِ مَرَّةً أخرى...

حَزِنَ أصدقاءُ الأرنبِ لِما حَدَث، وحاولوا أن يخففِّوا عنه بِالكلام الحُلو... لكنْ دونَ فائدة... دخَل الأرنبُ جُحْرَهُ، وجلسَ حَزينًا في ركنٍ منه، لا يُكَلِّمُ أحدًا، وَلا يتناوَلُ طعامًا، لأَنَّهُ فَقَدَ ورْدتَه التي يحبُّها كثيرًا... فَضَعُفَ جِسمُه، وأصبَحَ نَحيفًا هَزيلاً.

مَرَّ يومٌ بَعدَ يوم... وأسبوعٌ بَعدَ أُسبوع.. وحيوانات الغابةِ حَزينَة، لأنها لا ترَى صديقَها العَزيزَ الأرنبَ بينما أخَذَتِ الحيواناتُ تروحُ وَتجيءُ إلى جُحرِ الأَرنَبِ، تُحاولُ أن تُعيدَ إلَيه سَعادَتَه وَبَهجَتَهُ... فَلَم تنجَحْ في ذَلِك.

وَصَلَ الخبرُ إلى السَّلَحفاةِ الطَّيِّبةِ العَجوز، التي كانت تَعيشُ في لَخِرافِ الغابة... تألَّمت السُّلَحفاةُ كثيرًا لهذا الأرنب المسكين، وقرَّرت أن تَذهبَ إليه لِمُساعَدَتِه.. سارت في الغابةِ تَسأَلُ عن الأرنبِ صاحِبِ الوَردَةِ الضائِعة، وتَجَمَّعَ حَولَها الأصدقاءُ لَيَدُلّوها على الطريق.. سارَ الجميعُ حَتَّى وَصلوا إلى جُحرِ الأرنب.

نهضَ الأَرنبُ ليرحِّبَ بِضيفتِه وأَصدِقائِه. فَسَأَلَتْه السُّلَحفاة مِن أَينَ جِئتَ بِهذِهِ الوَردَة؟ .. فقالَ الأرنبُ وَهُوَ يَبكي: "زرعْتُها بنفْسِي"... تَعَجَّبتِ السلحفاةُ وقالت له: "أَتَعْرِفُ حَقًّا كَيفَ تَزرَعُ الوَرد؟" قالَ الأرنَبُ: "نَعَم" قالَتِ السُّلحفاة: "وهَلَ يُمكِنَ أن تُعَلِّمَ جَدَّتَك العَجوزَ طَريقةَ زِراعَةِ الوَرد؟"

أَسرَعَ الأرنَبُ، وَأَحضرَ بِذْرَة، وَغَرَسَها في الأرض، ثم سقاها بالماء، وَقالَ لِلسُّلَحفَاةِ: "هَكَذا زَرَعْتُ الوَردَةَ" فَسَأَلَتْهُ السُّلَحفاةُ: "أَنتَ بارعٌ في الزِّراعةِ أَيُّها الأرنبُ الظريفُ لَكِن... مَتَى تَظهَرُ الوَردَة؟" قالَ الأَرنَبُ: "بَعدَ أسبوع

إن شاءَ الله." قالَتِ السُّلَحفاةُ: "وَكَم مَضَى مِنَ الوَقتِ عَلَى ضَياعِ وَردَتِك؟
قالَ الأَرنَبِ: "أَربَعَةُ أَسابيع." عِندَ ذَلِكَ قالَتِ السُّلَحْفَاةُ: "مَعنَى ذَلِكَ ... أَنَّكَ لَو زَرَعْتَ وَردَةً جَديدَةً مُنذُ أن فَقَدْتَ وَردَتَكَ الأولَى، لَكانَ لَدَيْكَ وردةٌ أخرَى مُنذُ وَقتٍ طَويل... وَلَكِنَّكَ ضَيَّعْتَ وقتكَ فِي الحُزْن والبُكاء!!"

خَجِلَ الأَرنبُ مِن كَلامِ السُّلَحفاةِ الحَكيمة، وفَهِمَ الأَصدقاءُ ما تَقصِدُه.. ابتَسَمَتِ السُّلَحفاةُ العَجوزُ وقالَت علَى كُلِّ حال... سَآتِي بعدَ أسبوعٍ – إنْ شاءَ الله – لأحتفِلَ معكم بالوردةِ الجديدة... ثم حَيَّتْهُم السلحفاةُ وانصرفتْ إلى بيتِها.

وَفِي نِهايةِ الأُسبوع، رَحَّبَتِ الحَيواناتُ الصغيرةُ بزيارة السُّلَحفاةِ الطيِّبة، الّتي مَلأَ قلبَها السُّرورُ وَهِيَ تُشاهِدُ الأَرنبَ الظَّريفَ يَروِي وَردَتَه الجَديدَةَ الجَميلَةَ في سَعادَة وَحَولَهُ أَصدِقاؤُهُ مِن حيواناتِ الغابِة.

٢٩- بَشيرٌ وطائِرُ المطر

وَقَفَ بَشيرٌ يَستَمِعُ إلى تَغريدِ خائِرِ المَطَر، وَيَنظُرُ إلَيه وَهُوَ واقِفٌ فوقَ غُصنِ شجرةٍ عالِيَة يُغَرِّدُ: "تيت.. تيت.." فكَّرَ بَشيرٌ طَويلاً، ثُمَّ تَوَجَّهُ إلَى جَدَّتِه، وقالَ لَها: "جَدَّتي. لَو أنَّ عِندَنا خائِرَ المَطَر، فَهَل سَنستَطيعُ أن نَرويَ مَزارِعَنا وَحُقولَنا بالماءِ في أيِّ وَقتٍ نُريد؟"

رَبَّتَتِ الجَدَّةُ عَلَى ظَهرِ حَفيدها وقالَت: "بالتَّأكيد. لأنَّهُ سَيُغرِّدُ لَنا فَقط، وَسَيَسقُطُ المَطَرُ غزيرًا، وَيَكونُ لَدَينا ماءٌ كَثير، نَرْوي بِهِ زَرْعَنا، فَيَزيدُ المَحصولُ، وَنَصيرُ أغنياء" سَمِعَ بَشيرٌ كَلامَ جَدَّتِهِ ولَم يَقتَنِع.

ذَهَبَ بَشيرٌ إلَى والِدِه، وقالَ لَهُ: " يا أَبي. إذا كُنّا نَملِكُ خائِرَ المَطَرِ فَهَلْ سَنَستَطيعُ أَن نَرويَ زَرْعَنا في أَيِّ وَقتٍ نَشاء؟" فَكَّرَ والِدُهُ قَليلاً، وَقالَ لَهُ: "لا أَعتَقِدُ ذَلِكَ. فَقَد حَكَى لَنا شُيوخُ القَرَيةِ قِصَصًا كَثيرةً عَن هَذا المَوضوع، وَلَكِنَّنا لا يَجِبُ أَنْ نُصَدِّقَ كُلَّ ما نَسمَعُهُ". لم يُعجِبْ بَشيرًا كَلامُ والِدِه.

سارَ بَشيرٌ حَتَّى وَصَلَ إلى الرَّجُلِ الحَكيم، وَقالَ لَهُ: "أَيُّها الرَّجُلُ الحَكيم، لَو أَنَّنا نَملِكُ خائِرَ المَطَر، فَهَل تَعتَقِدُ أَنَّ مَزارِعَنا سَتَرتَوي بالمِياهِ في أَيِّ وَقتٍ نُريد؟" هَزَّ الرَّجُلُ الحَكيمُ رَأسَهُ وَقالَ: "نَعَم. لأَنَّ هَذا الطّائِرَ يَعرِفُ مَتَى يَنزِلُ المَطَر، وَيعرِفُ - كَذَلِكَ - مَتَى يَتَوَقَّف. إنَّ المِياهَ سَتَجعَلُ الأَرضَ تَخضَرُّ، والمَزروعاتِ تَنمو، والخَيرُ يَعُمُّ القَريَةَ وَأَهلَها. لَكنْ مَن يَستَطيعُ أَن يَحصُلَ عَلَى خائِرِ المَطَر؟!"

اِقتَنَعَ بَشيرٌ بِكَلامِ الشَّيخِ الحَكيم، وَقالَ: "جَميل سَأَذهَبُ لأُحضِرَ خائِرَ المَطَر."

وفي اليَومِ التّالي، استيقَظَ بَشيرٌ مِن نَومِهِ قَبلَ شُروق الشَّمس، وَبَدَأَ رِحلَتَهُ إلَى داخِلِ الغابَة. سارَ بَشيرٌ قَليلاً، ثُمَّ سَمِعَ صَوْتًا جَميلاً يَرِنُّ في أُذُنَيْه. أَنصَتَ بَشيرٌ لِلصَّوتِ الجَميل، فَوَجَدَهُ يَقولُ: "إلَى أَينَ أَنتَ ذاهِبٌ يا بَشير؟" رفَعَ بَشيرٌ رَأسَهُ، وَنَظَرَ ناحِيةَ الصَّوتِ فَرَأَى بَبَّغاءَ يَقِفُ عَلَى غُصنِ شَجَرَة، فَقالَ

لَه: "أَنا ذاهِبٌ لأَبحَثَ عَن خائِرِ المَطَر." فَرَدَّ البَبَّغاءُ: "أَنا لا أُحِبُّ هَذا الطّائِر. لأَنَّهُ عِندَما يُغَنّي تَتَجَمَّعُ السُّحُبُ في السَّماء، وَتَحجُبُ الشَّمسَ، وتُظلمُ الغابَةُ قَبلَ أَن يَسقُطَ المَطَر. لَكِنْ الشَّمسَ، وتُظلِمُ الغابَةُ قَبلَ أَن يَسقُطَ المَطَر. لَكِنْ إنْ رَغِبْتَ أَن أُساعِدَكَ فَأَنا مستعِدّ، لأَنَّني أَستَطيعُ أَن أُقَلِّدَ صَوتَه: "تيت تيت" فَقالَ بَشيرٌ: "هَيّا بِنا"

تابَعَ بَشيرٌ السَّيرَ وَمَعَهُ البَبَّغاء، وَبَعدَ قَليلٍ قابَلا قِردًا. اِقتَرَبَ القِردُ مِنهُما وقالَ: "نَهارُكَ سَعيدٌ يا بَشير نَهارُكَ سَعيدٌ يا بَبَّغاء. إلَى أَينَ أَنتُما ذاهِبان؟" فَرَدَّ بَشير "نَحنُ نَبحَثُ عَن خائِرِ المَطَر" قالَ القِردُ: "تَبحثانِ عَن خائِرِ المَطَر؟! أُريدُ أَن أَذهَبَ مَعَكُما، وَسَوفَ أَبذُلُ كُلَّ جُهدي لِلبَحثِ عَنه. فَكَما تَعرفان.. أَنا أُحِبُّ استِخدامَ الحيلَة. وَسَوف أَعثُرُ عَلَيْه. هَيّا بِنا" ثُمَّ اِنطَلَقَ الثَّلاثَةُ نَحوَ شَجرَةِ التّوتِ الكَبيرَة.

قالَ القِردُ: "سَنَنْتَظِرُ هُنا فَهُوَ يَأتي دائِمًا إلَى هَذا المَكان." نَصَبَ القردُ شَبَكَتَهُ لِيصطادَ بِها خائِرَ المَطَر، واختَبَأَ البَبَّغاءُ بَينَ الفُروع، وَبَدَأَ يُغَرِّدُ في صَوْتٍ جَميل: "تيت.. تيت" مَكَثَ الثلاثَةُ في انتِظارِ خائِرِ المَطَرِ بَعضَ الوَقتِ، ثُمَّ غَلَبَ النُّعاسُ بَشيرًا فَنام.

استَيقَظَ بَشيرٌ فَجأَةً عِندَما سَمِعَ صَوْتَ البَبَّغاءِ يَصرُخ: "ها هُوَ ذا خائِرُ المَطَر. لَقَد أَمسَكنا بِهِ." وَجَدَ بَشيرٌ الطائِرَ يُرَفرِفُ بِجَناحَيْهِ داخِلَ الشَّبَكَةِ يُريدُ أَن يَخرُجَ مِنها. أَمسَكَ بَشيرٌ الشَّبَكَةَ، وَوَضَعَها في حَقيبتِهِ، وَشَكَرَ البَبَّغاءَ وَالقِردَ وَوَدَّعَهُما، وانطَلَقَ عائِدًا إلَى قَريتِه.

صنع بشير قفصًا جميلاً، وَوَضَعَ الطّائِرُ داخِلَه. حَضَرَ أَهلُ القَريَةِ جَميعًا لِيُشاهِدوا خائِرَ المَطَرِ وَيُحيّوه، وَطَلَبوا مِنه أَن يُنزِلَ المَطَر. لَكِنَّ الطّائِرَ كانَ يُطلِقُ أنينًا حَزينًا وَيَبكي. مَرَّتِ الأَيّامُ، وَلَم يُغرِّدِ الطّائِرُ المِسكينُ، وانتَظَرَ بَشيرٌ وَهُوَ يَتَمَنَّى في كُلِّ لَحظَةٍ أَنْ يُغَرِّدَ الطائِرُ لِيَنزلَ المَطَر. وَمَرَّت أَسابيعُ، وَلَم يُغَرِّد الطّائرُ، وَلَم يَنزِلِ المَطَر، فَجَفَّت أَراضي القَريَةِ، وماتَ الزَّرع.

ذَهَبَ بَشيرٌ إلَى كوخِ الرَّجُلِ الحكيم وَهُوَ يَبكي فَوَجَدَهُ في انتظاره أَدخَلَهُ الرَّجُلُ الكوخ، وَأَغلَقَ البابَ، وَسَأَلَهُ: "لماذا تَبكي يا بَشير؟" فأَجابَ بَشيرٌ: "إنَّ خائِرَ المَطَرِ لا يُريدُ أَن يُغَرِّدَ." فقالَ الرَّجُلُ الحَكيمُ: "اِستمع – يا بُنَيّ – هَل يُمكِنُ أَن يُفَكِّر أَحَدٌ في الغِناءِ وَهُو مَحبوسٌ في السِّجن؟! هَل فَهِمتَ يا بَشير؟ اِذهَبِ الآنَ إلى بَيتِك.. وَكُنْ رَحيمًا بِطائِرِك."

عادَ بَشيرٌ إلَى المنزِل، وَأَسرَعَ إلَى القَفَصِ، وَفَتَحَ بابَهُ، وَأَخرَجَ الطّائِرَ، ثُمَّ هَتَفَ قائِلاً: "عَزيزي.. عَزيزي الطّائِر.. اِنطَلِقْ حُرًّا في الفَضاء" نَظَرَ الطّائِرُ إلَى بَشير، وَرَفرَفَ بِجَناحَيْهِ مَرَّتَيْن، ثُمَّ انطَلَقَ بَعيدًا، وَهُوَ يُغَرِّد فَرَحًا: "تيت.. تيت" وَلَمْ تَمُرَّ لحظاتٌ حَتَّى بَدَأَ المَطَرُ يَنزِلُ بِغَزارَةٍ فَوْقَ قَريَةِ بَشير.

٣٠- السؤالُ الّذي حَيّرَ الجَميع

بَلَغَتِ الأميرةُ بِنتُ المَلِكِ سِنَّ الزَّواج. ناداها والِدُها وَذَكَرَ لَها أَنَّ عَدَدًا كَبيرًا مِن شَبابِ المَملَكَةِ يَرغَبُ في الزَّواجِ مِنها. كانَتِ الأميرةُ فَتاةً ذكيَّةً وعاقِلَة، ولَم يَكُن يُعجِبُها أَحوالُ الشَّبابِ، وَخِفَّةُ عُقولِهِم، وانشِغالُهَم بالأمورِ التّافِهَةِ. قالَت الأميرةُ لأبيها المَلك: "لن أتزوَّجَ إلاّ مِنَ الشّابِّ الّذي يَستطيعُ أن يُجيبَ عَن سُؤالي."

بَدَأَ أُمراءُ المملَكَةِ يَصِلون إلَى قَصرِ المَلِكِ، وَيُقابِلونَ الأميَرةَ واحِدًا بَعْدَ الآخَر. كانَتِ الأميرةُ تَسألُ كُلَّ مَن يَدخُلُ سُؤالَها، فَلا يَعرِفُ الجَوابَ، وَيَخرجُ مِنَ البابِ الآخَرِ وَلا يَعود. جاءَ بَعدَ ذَلِكَ أَبناءُ الوُزراءِ ثُمَّ أَبناءُ الشُّيوخِ ثُمَّ أَبناءُ التُّجارِ، وَلَكِنْ لَم يَستَطِعِ الإجابَةَ عَنِ السؤالِ أيُّ واحِدٍ مِنْهُم. وَبعدَ أَيّامٍ أَصبَحَ القَصرُ خاليًا مِنَ الخُطّابِ، فَلَيسَ هُناكَ أَحَدٌ مِن شَبابِ المَملَكَةِ الأغنِياءِ لَم يَذهَب لِخِطبَةِ الأميرَة.

وَهُناكَ في أَحَدِ الحُقولِ كانَ شابٌّ فَقيرٌ اسمُهُ فارسٌ يَزرَعُ الأَرضَ. سَمِعَ فارسٌ عَن حِكايَةِ الأَميرَةِ، وَعَنِ السُّؤالِ الّذي لَم يَقدِرْ أَحَدٌ أَن يُجيبَ عَنْه. تَعَجَّبَ فارِسٌ كَيفَ يَكونُ هُناكَ سُؤالٌ لا يَعرِفُ جَوابَه أَحَدٌ.

ذَهَبَ فارِسٌ إلى أَبيهِ الفَلاّحِ الفَقير، وَقالَ لَهُ: "يا أَبي... أُريدُ أَن أَذهَبَ إلَى الأَميرة، وَأعرِفَ ذَلِكَ السُّؤال" فقالَ أَبوهُ الفَلاّح: "يا وَلَدي... نَحنُ فُقرَاء مَساكين.. وَلا شأنَ لَنا بِالمُلوكِ والأُمَراء... كُن عاقِلاً واترُك هَذا الأمرَ تمامًا.." قالَ فارِسٌ: "يا والِدي.. إنَّ هَذا السُّؤالَ قَد شَغَلَني كَثيرًا، وَلابُدَّ أَن أَذهَبَ لأُجَرِّبَ حظّي.

قالَ الأَبُ غاضِبًا وَقَد فَشِلَ في إقناعِ ابنِهِ: "ما دُمتَ تَعصي أَمري ولا تُطيعُني فافعَلْ ما تَشاء، واذهَب لزيارةِ الأَميرَةِ ... لَكِنْ لا تَعُدْ إِلَى هُنا ثانِيَةً.. وَها هُوَ ذا نَصيبُكَ في تَرِكَتي.." وأعطاهُ ثَلاثَةَ جُنَيهات.

أَسـرَعَ فـارسٌ نَحـوَ قَـصرِ المِلـكِ، وَخَلَـبَ أَن يقابِـلَ الأمـيرة لِيُجـيبَ عَـنِ السُّؤال. أَدخَلَـهُ الحُرَّاسُ مِن غُـرْفَةٍ إِلَـى غُـرْفَة، بِحَيثُ تَـراهُ الأمـيرَةُ ولا يَرَاهَا فَـارس، سَأَلَتْهُ الأَميرةُ هَلْ أَنتَ مُستَعِدٌّ للإِجابَةِ عَنِ السُّؤال؟" قالَ "نَعَم". قالَتِ الأَميرةُ: "أنـتَ تعرفُ أن الإِنْسَانَ حَيوانٌ عاقِل.. وَأَنَّ اللهَ قد مَيَّزَ الإنسانَ عَنِ الحَيوان بِعَقْلِهِ... فَأَيْنَ عَقلُ الإنسان؟"

فكَّـرَ فارسٌ بَعضَ الوَقت، وَقالَ فِي نَفْسِه: "مِنَ المؤكَّدِ أَنَّ كُلَّ الّذين أجابوا قالـوا إنَّ عَقـلَ الإنـسان فِي رَأْسِـه... وَأَنَّ هَـذا الجَـوابَ لَـم يُعجِـبِ الأَمـيرَة.." عِـندَئِذٍ قـالَ فـارسٌ لِلأَمـيرَة: "لَقَـد قابَلـتِ - يـا أَميرتـي - ثلاثة أَربا ع النّاس.. وَسَـألتِهم الـسُّؤالَ نفسَه.. لَكِـنْ.. لا أحَـدَ عَرَفَ الجَوابَ الصحيح.. أَرجو أَن تُعطِينَني مُهْلَةً لأَسألَ الرُّبْعَ الباقي عَسَى أَن أَعرِفَ الجَوابَ الصحيحَ وآتِيَ إليكِ بِـه. أُعجِبَتِ الأَميرةُ بإجابةِ فـارسٍ وقالَت لَهُ: "لا بَأسَ .. اِذهَبِ الآنَ.. وأنا فِي انتظارِكَ إِلَى أَن تَعودَ.."

خَرَجَ فارسٌ مِنَ القَصرِ، وَسارَ خارجَ البَلَدِ، وَظَلَّ ماشيًا إلى ما قَبلَ الفَجر، حَتَّـى وَصَـلَ إلى مَدينَةٍ كَبيرَة.. كـانَ أهلُها نائِمين.. لَم يَجِد فارسٌ إلاّ دُكانًا واحدًا مفتوحًا، فَقالَ لِنَفسه: "فَلأَذْهَبْ لأَرَى ماذا يَبيعُ هَذا الدُّكّان."

وَصَـلَ فـارسٌ إلى بـابِ الدُّكّان، فَلَم يَجد فيهِ أَيَّ بِضاعَة وَنَظَرَ فَرأَى شَيخًا كَـبيرَ الـسِّنِّ جالِـسًا عَلَـى أَريكَـةٍ يَـشرَبُ الـشايَ. قـالَ فـارسٌ: "مـاذا تَبـيعُ يـا عَـمّ..؟" قـالَ الـشَّيخُ: "سَلِّم أولاً، - يا بُنَيّ - واجلِس وَاشرَبِ الشّايَ مَعي.." أَلقَـى فـارسٌ التَّحِيَّةَ، وَقَدَّمَ لَهُ الشَّيخُ كوبًا مِنَ الشّاي، وَجَلَسا يَشرَبان مَعًا، ثُمَّ سَـأَلَهُ فـارسٌ ثانِيَةً: "بِرَبِّكَ - يا شَيْخَنا - ماذا تَبيعُ؟" فقالَ الشيخُ: "أبيعُ الكَلامَ يـا وَلَـدي.." سَـأَلَهُ فـارسٌ: "وَهَـل الكَلامُ يُباع؟!"، "وَهَلِ يَنفَعُ الكَلامُ؟" فَقالَ الشَّيخُ: "إذا لم يَنفَعْكَ الكَلامُ، فَتَعالَ إليَّ، واستَرِدَّ نُقودَكَ الّتي دَفَعْتَها."

تذكّـرَ فـارسٌ أَنَّـهُ لَـم يَخـرُجْ إلاّ بَحثًا عِـنِ الكَـلام، فَـسَأَلَ: "وَبِكَـم تبـيع الكلمـة؟" فقـال الـشيخ: "بِجُنَـيهٍ.." أَعطَـى فـارِسٌ الـشَّيْخَ جُنَـيهًا، وقـالَ لَـهُ:

"هَيّا... هاتِ الكَلِمَة.." فقالَ الشيخُ: "حَبيبُكَ الّذي تُحِبُّهُ وَلَو كانَ عَبدًا أَسوَدَ." قالَ لَهُ فارسٌ : "أَنا أَعرفُها." قالَ الشيخُ: "وَلَكِنَّكَ لَم تجرِّبْها!" أَعطَى فارسٌ الشيخَ جُنَيْها ثانِيًا، وقالَ لَهُ: "هاتِ كَلِمَةً أخرَى" قالَ الشيخُ: "مَن أمِنَكَ فَلا تَخُنْهُ وَلَوْ كُنتَ مُحتاجًا.." قالَ فارسٌ: "وَهَذِهِ أَيضًا أعرفُها.." وَأَعطاهُ الجُنَيهَ الثّالِثَ، وقالَ لَهُ: "هاتِ كَلِمَةً ثالِثَةً" فَقالَ الشيخُ: "لَحظَةُ السَّعادَةِ والحَظِّ لا تُعوَّضُ."

عِندَما غادَرَ فارسٌ بائِعَ الكَلامِ كانَ نورُ الصُّبحِ قَد أَضاءَ شَوارِعَ المدينَة. أَخَذَ فارسٌ يَتَأَمَّلُ الناسَ، وَهُم يَسْعَوْنَ إلَى أَعمالِهم نَشِيطِين، وَرَأَى السّوقَ يَفتَحُ أَبوابَهُ ... بابًا بَعدَ بابٍ.. بينَ الناسِ والدّكاكينِ إلَى أَن خَرَجَ مِنَ المَدينة.. ثُمَّ نامَ تَحتَ ظِلِّ شَجَرَة.

في صباحِ اليومِ التّالي استَيْقَظَ فارسٌ، وَنَظَرَ حَولَه فَرَأَى طاحونَةً قَريبَة، فقالَ لِنَفسِه: "اِذهَبْ يا فارسُ إلَى تِلكَ الطّاحونة. فَرُبّما تَجِدُ فيها عَمَلاً تَكْسِبُ مِنهُ رزقًا حَسَنًا" كانَ صاحِبُ الطّاحونَةِ يَفتحُ بابَها، فَتَقَدَّمَ مِنهُ فارسُ وَحَيّاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ: "هَل أَجِدُ لَدَيكَ عَمَلاً؟" قالَ الطَحّانُ: "نَعَم.. عِندي لَكَ عَمَل.. لَكِنْ بِشَرْطٍ" قالَ فارس: "وَما شَرطُكَ" قالَ الطَّحّانُ أَنا أَملِكُ هَذِهِ الطاحونَةَ نَهاراً فَقَط، أَمّا بالَّليلِ فيطحَنُ فيها عِفريتٌ. فإن أَردَتَ أَن تَعمَلَ مَعي فَعَلَيكِ أَن تُغَادِرَها كُلَّ يَومٍ قَبلَ غُروبِ الشَّمسِ." قالَ فارسٌ: "أَنا مُوافِق"

بَدَأَ فارسٌ يَعمَلُ مَعَ الطَّحّان، وَتَعَلَّم كَيفَ يُديرُ الطّاحونَةَ وَكَيفَ يَطحَنُ القَمْحَ، وَكَيفَ يُعَبِّئُ الدَّقيقَ في أَكْياس. وَبعدَ وَقتٍ قَصير أجادَ فارسٌ عَمَلَهُ وَأَتقَنَه. وَذاتَ يَوم كانَ عَلَى فارسٍ أَن يَطْحَنَ كَمِّيَةً كَبيرَةً مِنَ القَمح... وَبَعدَ أَن انتَهى مِن عَمَلِهِ شَعَرَ بِالتَّعَب، وَبِرغبَةٍ شَديدَةٍ في النَّوم. نامَ فارسٌ حتى وَقتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ اللّيل.

وبينَما هُوَ مُستغرِقٌ في نَومِهِ هَبَطَ عَلَيه عِفْريتٌ، وَدَفَعَهُ في كَتِفِهِ وَأَيقَظَهُ. قامَ فارِسٌ مِن نَومِهِ مَذعورًا. قالَ العِفريتُ: "اِختَر لَكَ مَيْتَةً... أَلا تَعرفُ أَنَّ الّذي يبقَى هُنا إلَى ما بَعدَ المغرِبِ يَموت؟" قالَ فارسٌ: بَلَى، أَعرفُ يا سَيِّدَنا العِفريت.. قالَ العِفريتُ: "إذَن.. ما الّذي أَتَى بِكَ؟" قالَ فارِسٌ: "أنتَ الّذي أَتيتَ بي يا سَيِّدنا العِفريت. اختَلَطَ الأمرُ عَلَى العِفريتِ فَسَألَهُ: "أَنا الّذي أَتَيتُ بِكَ إلَى هُنا؟!" قالَ فارِسٌ: "يا مَوْلانا العِفريت.. كُنتُ نائِمًا في عالَمٍ آخَرَ ... وَأَنت أَيقَظتَني... إذَن فَأنتَ الّذي جِئتَ بي.."

فَكَّرَ العِفريتُ قَليلاً، ثُمَّ قالَ: "سَأَسأَلُكَ سؤالاً... إنْ عَرَفْتَ جَوابَهُ فَسَأَترُكُكَ لِحالِ سَبيلِك.. وإنْ لَمْ تَعرِفْ فَسَأَقتُلُكَ قالَ فارِسٌ: "تَفَضَّلْ... قُل سُؤالَكَ." مَدَّ العِفريتُ يَدَيْهِ الطَّويلَتَين.. كُلّ يَدٍ في ناحِيَة.. وَفي لَمحِ البَصَرِ عادَت كُلُّ يَدٍ بِفَتاة.. إحداهُما بَيضاءُ شَقراءُ جَميلَة.. وَالأُخرَى سَوداءُ مُجَعَّدَةُ الشَّعر. وَسَألَ فارسًا: "مَنْ مِنْ هاتَيْنِ الفَتاتَيْن أَحَبُّ؟" قالَ فارِس: "يا مَولانا العِفريت... حَبيبُكَ الّذي تحبُّهُ... وَلَو كانَ عَبْدًا أَسوَدَ". قالَ العِفريتُ: "أَحسَنْتَ. نَجَوْتَ مِنَ المَوت.. سَأَترُكُكَ تَعيشُ... وَلَكَ مِنّي – فَوقَ ذَلِكَ– هَدِيَّة." فَرِحَ فارسٌ وَسَأَلَهُ: "وَما الهَدِيَّةُ؟" قالَ العِفريتُ "الطَّحينُ الّذي لا تقدِرُ عَلَى طَحنِهِ... اُترُكْهُ لي لَيْلاً.. وَسَوفَ تَجِدُهُ في الصَّباحِ دَقيقًا.."

تَحَسَّنَتِ الأَحوالَ وَراجَت... فَقَد كانَ فارِسٌ يَتَسَلَّمُ القَمحَ كُلَّ يَوم. وَيُسلِّمُهُ في اليومِ التّالي دَقيقًا مَطحونًا.. دونَ أَن يَتْعَبَ.. أَو تَتَّسِخَ ملابِسُه.. زادَ المَكسَبُ.. وَصارت الأموالُ تَجري بَينَ يَدَي الطَّحّان، فتزوَّجَ مِن فَتاةٍ جَميلَة.. وَبعدَ أَيّامٍ اكتَشَفَتِ الزَّوجَةُ أَنَّ الطَّحّانَ يُحِبُّ فارِسًا وَيَثِقُ فِيهِ فَشَعَرَتْ نَحوَهُ بِالغيرَة، وَخَلَبتْ مِن زَوْجِها أَن يُشَغِّلَ أَخاها عِندَهُ في الطّاحونَة. وافَقَ الطحّانُ عَلَى خَلَبِ زَوْجَتِهِ.. وَعَيَّن أَخاها حارِسًا عَلَى المخازِنِ بالنَّهار.

وذاتَ يَوم... قالَ المعلِّمُ لفارس: "سَوفَ أُسافِرُ لأَحُجَّ بَيتَ اللهِ... ولا أَعلَمُ هَل سَأَعودُ أَوْ لا... فإن عُدْتُ فها هُوَ ذا المالُ أَمانةٌ عِندَك... وإن لم أعُدْ فَهُوَ حَلالٌ لَكَ.. فقد أَتَى كُلُّ هَذا الخَيرِ عَلَى يَدَيْك... لَكِنْ أوصيكَ بِأهلي خَيْرًا.."

أَخَذَ فارسٌ يَعمَلُ باجتِهادٍ في طَحنِ القَمحِ وَبَيْعِ الدَّقيق. وَكانَ العفريتُ يُساعِدُهُ كالعادة... حَتَّى جَمَعَ مالاً كَثيرًا وَضَعَهُ في خِزانَةٍ كَبيرَةٍ، وَاحتَفَظَ بالمِفتاح. وَكانَ أخَو الزَّوجَةِ يُراقِبُهُ وَيَحسُدُهُ عَلَى الأموالِ الكثيرةِ التي يَكسِبُها. واقتَرَبَ مَوعِدُ عَودَةِ الحُجّاجِ، واستَعَدَّ فارسٌ لاستِقبالِ المُعَلِّم الطَّحّان، فَدَهَنَ البَيتَ... وَزَيَّنَهُ بالرُّسومِ... وَأَقامَ سُرادِقًا... وَذَبَحَ الخِرفانَ .... وَدَعا أَهلَ المدينَة.

وَصَلَ الحاجُّ.. واستَقبَلَهُ فارسٌ والضُّيوفُ أَحسَنَ استِقبال. وفي نهايةِ الحَفْلِ انصَرَفَ النّاس. فاقتَرَبَ أَخو الزوجةِ مِنَ المعلِّمِ الطحّان، وَقالَ لَهُ هامِسًا: "يا مُعلِّم... وَجَدتُ مِنَ الوَفاءِ أَن أُخبِرَكَ أَنَّ فارسًا الَّذي ائْتَمَنْتَهُ عَلَى خاحونَتِكَ وأموالِكَ وَأَهْلِكَ قد خانَ الأمانة.. كانَ يَضَعُ جُنَيهًا في الخِزانَة، وَيأخُذُ لِنَفسِهِ عَشرَةَ جُنَيهات... لَقد راقَبتُهُ دونَ أَن يَراني، وَأخبرتُ أُختي بما رأيتُ فَطَلَبَت مِنّي أَن أُخْبِرَكَ بِالأَمر عِندَما تَعودُ مِن الحَجِّ.

غَضَبَ الحاجُّ الطَّحّان، وَذَهَبَ إِلَى زَوْجَتِهِ، فَذَكَرَت لَهُ ما قالَهُ أَخوها وأَضافَت أنَّه لَم يُعْطِها أَيَّةَ نُقودٍ تَعيشُ مِنها في غِيَابِه.. ظَلَّت الزَّوجَةُ تُحَدِّثُ زَوجَها حَتَّى جَعَلَتهُ يَحقِدُ عَلَى فارس، وَيُفكِّرُ في التَّخَلُّصِ منهُ.

في اليومِ التّالي تَوَجَّهَ الحاجُّ إِلَى خارِجِ المَدينَةِ، وَقابَلَ أَحَدَ الأشقِياءِ مِنَ القَتَلَةِ المأجورين، وَطَلَبَ مِنهُ قَتْلَ فارس، وَسَأَلَهُ الحاجُّ: "بِكَم تقتُل؟" فَأجابَ الشَّقِيُّ "بمائةِ جُنَيه" فقالَ الحاجُّ: "سَأَبعَثُ إِلَيكَ بِواحِدٍ مَعَهُ خمسُون جُنَيْهًا... اقْتُلْهُ.. ثُمَّ سَأَبعَثُ إليكَ بِآخَرَ مَعَهُ الخَمسون الباقِيَة... أَعطِهِ رَأسَ الأوَّلِ، وَخُذْ بَقِيَّةَ حَقِّكَ.."

رَجَعَ الحاجُّ إلَى دُكّانه، وَنادَى فارسًا، وَأَعطاهُ خَمسينَ جُنيهًا، وَخَلَبَ مِنهُ أَن يَذهَبَ إلَى الرَّجُلِ وَيُعطِيَهُ هَذِهِ الأَمانَةَ وَيَشْكُرَه. ثم وَصَفَ لَهُ العُنْوَانَ بِدِقَّة.

وَبَينَما كانَ فارسٌ ماشِيًا في طَرِيقِهِ سَمِعَ مُوسيقَى وَغِناء.. وَعِندَما اقتَرَبَ وَجَدَ حَفلَ عُرْس، فَرَأَىَ أَنَّهُ مِنَ الواجِبِ عَلَيهِ أَن يَدخُلَ وَيُهنِّئَ أَهلَ العَروسَيْن. وَاستَقْبَلَهُ أَصحابُ الفَرَحِ أحسَنَ استِقبال، وَأُعْجَبوا بِهِ وَاستَضافوهُ. حاوَلَ فارسٌ أن يَعتَذِرَ بِتوصيلِ الأَمانَةِ الّتي مَعَهُ فَقالوا لَهُ: "ابْقَ مَعَنا.. حَتَّى تَكتَمِلَ فَرحَتُنا... فَلَحْظَةُ السَّعادَةِ والحَظِّ لا تُعَوَّض."

سَهِرَ فارسٌ مَعَ أَهِلِ العَروسَيْنِ حَتَّى الصَّباح، ثم تَوَجَّهَ إلى صاحِبِ الأَمانَة، وأَعطاهُ الخَمسينَ جُنَيهًا، وَقالَ لَهُ: "الحاجُّ يَشكُرُكَ" أعطاهُ الرجلُ لِفافَةً، وقالَ لَهُ: "خُذ هَذِهِ اللِّفافَةَ وَسَلِّمها إلَى الحاجِّ"

رَجَعَ فارسٌ باللِّفافَة إلَى الحاجّ، وَحينَ رآهُ الحاجُّ شَعَرَ بالفَزَعِ الشَّديدِ، ثم حاوَلَ أن يُهَدِّئَ نَفسَه، وَقالَ لفارس: "اجلِس يا بُنَيّ" جَلَس فارِسٌ، وَأَخَذَ الحاجُّ اللِّفافَةَ، وَفَتَحَها، وَرَأَى رَأْسَ أَخِ زَوجَتِه.."

قَفَزَ فارسٌ مُبتَعِدًا مِن شِدَّةِ الخَوْفِ، إلاّ أَنَّ الحاجَّ قالَ: "كانَ المفروضُ أَن تَكونَ أَنتَ مَكانَهُ، وَأَنْ يَأتِيَ هُوَ بِرأسِكَ.. يَبدو أَنَّ اللهَ يُحِبُّك.." وَحَكَى الحاجُّ ما جَرى بَينَهُ وَبَينَ أَخِ زَوجَتِهِ، وَخَلَبَ مِنهُ أَن يَرْوِيَ لَهُ ما حَدَثَ بِالتَّفصيل. ذَكَرَ فارسٌ كَيفَ انضَمَّ إلَى العُرسِ وما فَعَلَهُ مَعَ أَهلِ العَروسَيْن فقالَ لَهُ الحاجُّ: "لَقَد حافَظتَ عَلَى الأمانة، ولَم تَخُنّي وَهَذا هُوَ الَّذي نَجّاكَ مِنَ المَوْتِ . أَمّا أَنا ..فَغَيْرُ راضٍ عَن نَفْسي.. لَقَد تَصَرَّفْتُ بِلا عَقل، وَتَسَرَّعْتُ في الحُكْمِ عَلَيك، وَلَو صَبَرْتُ – يا بُنَيّ – إلَى أَنْ أَعرِفَ الحَقيقَةَ كامِلَةً لَكانَ أَفضلَ ... إنّما العَقْلُ في الصَّبر..

قَفَزَ فارسٌ هاتِفًا: "العَقلُ في الصَّبرِ! العَقلُ في الصَّبرِ! وَداعًا يا عَمّ.. وداعًا..."

وَأَسرَعَ فارِسٌ نَحوَ الأميرةِ... يَحمِلُ إلَيها جَوابَ سُؤالِها.

٣١- المالُ الحَلالُ

كانَ لِرَجُلٍ مَحَلٌ صَغيرٌ يَصنَعُ فيه سُروجَ الخَيْل. وكانَ كُلَّما باعَ سَرْجًا مِنَ السُّروج خَبَّأ جُزءًا مِن ثَمَنِهِ في سَرجٍ قَديمٍ يَضَعُهُ بِجِوارِه. فَقَد كانَ يُريدُ أَن يَدَّخِرَ مَبْلَغًا مِن المالِ يُعينُهُ عِندَما يَكبُرُ وَيصيرُ شَيخًا لا يَقدرُ عَلَى العَمَل. واستَمَرَّ السَّرجُ عَلَى ذَلِكَ سِنينَ طَويلَةً.

وَفي أَحَدِ الأَيّامِ تَرَكَ السَّرّاجُ المَحَلَّ لابنِهِ، وَذَهَبَ لِشِراءِ بَعضِ اللَّوازِمِ الّتي يَستَعمِلُها في صِناعَةِ السُّروج. وَبَينَما كانَ غائِبًا جاءَ رَجَلٌ وَطَلَبَ مِنَ الابنِ أن يَشتَرِيَ السَّرجَ القَديم، وَعَرَض مَبلَغًا مَعقولاً مِنَ المالِ ثَمَنًا لَهُ، فَوافَقَ الابنُ وباعَ السَّرجَ القَديمَ لِلرَّجُل.

رَجَعَ السَّرّاجُ إِلَى المَحَلِّ فَقَدَّمَ لَهُ ابنُهُ ثَمَنَ السَّرجِ القَديمِ وَهُو فَرِحٌ مَسرورٌ، وَقالَ لَهُ إنَّ رَجُلاً جاءَ واشتَراه. اِنزَعَجَ الأَبُ وَجُنَّ جُنونُهُ، فَقَد وَضَعَ فيهِ كُلَّ ما ادَّخَرَهُ في سِنينِ عُمرِه. لَكِنْ استَمَرَّ السَّرّاج يَصنَعُ السُّروجَ بِنَشاطٍ كعادَتِهِ، وَكُلَّما غَرَزَ في السَّرْجِ غُرْزَةً بِإِبْرَتِهِ الكَبيرَةِ كانَ يَقولُ: "ما راحَ راحَ... ما راحَ راحَ.. ما راحَ راحَ." والناسُ يَمُرّونَ بِهِ، وَيَسمعونَهُ وَهُوَ يُعيدُ ذَلِكَ وَيُكَرِّرُهُ، وَلا يَعرِفونَ ماذا يَقصِدُ.

وَمَرَّتِ الأَعوامُ.. وَبَينَما كانَ السَّرّاجُ في المَحَلِّ مَشغولاً في عَمَلِهِ، جاءَهُ رَجُلٌ عَلَى حِصَان، وَوَقَفَ أَمامَهُ، وَطَلَبَ مِنهُ سَرْجًا مِن أَجوَدِ الأَنواع. فَقَدَّمَ لَهُ السَّراجُ أَفضَلَ سَرْجٍ عِندَهُ، وَدَفَعَ الرَّجُلُ ثَمَنَهُ، ثُمَّ فَكَّ السَّرجَ القَديمَ مِن فَوقِ ظَهرِ حِصانِهِ، وَوَضَعَ مَكانَهُ السَّرجَ الجَديدَ، وَقالَ لِلسَّراج: "مُنذُ سَنَواتٍ اشتريتُ مِن مَحَلِّكَ هَذا السَّرجَ القَديم. وَاليَومَ - وَقَد رَزَقَني اللهُ ثَمَنَ سَرجٍ جَديد - فَأَنا لَسْتُ في حاجَةٍ إِلَيْه." تَرَكَ الرَّجُلُ السَّرجَ القَديمَ وانصَرَفَ.

نَظَرَ الرّجُلُ إِلَى السَّرجِ القَديمِ وَعَرَفَهُ. إِنّهُ السَّرجُ نَفسُه الّذي كانَ يَضَعُ فيهِ نُقودَهُ الّتي ادّخَرَها طَوالَ حَياتِه.

أَسرَعَ السَّرّاجُ وَفَتَقَ جانِبَهُ، وقَدَّ يَدَهُ داخِلَهُ، وَعَثَرَ عَلَى نُقودِهِ كامِلَةً لَم يَنقُصْ مِنها دينارٌ واحِد. فَرِحَ السَّرّاجُ فَرَحًا شَديدًا بِعَودَةِ مالِهِ إلَيه. وَبَعدَ ذَلِكَ، كانَ كُلَّما غَرَزَ في السَّرجِ غُرْزَةً يَقولُ: "ما هُوَ لَكَ لَكَ.. ما هُوَ لَكَ لَك." والنّاسُ يَمُرّونَ بِهِ، وَلا يَعرِفونَ ماذا يَقصِدُ بِما يَقولُ.

٣٢- الثَّعلبُ وَأُنْثَى الغُرَابِ

كانَت أُنثَى الغُرابِ تَعيشُ في غابَةٍ، واشتاقَت - ذاتَ يَومٍ - لِتَرْبِيَةِ الأَخْفَال. بَنَتْ لَها عُشًّا في أَعلَى شَجَرَةٍ كَبيرة، ثم وَضَعَت فيه ثَلاثَ بَيْضَاتٍ. حَضَنَت أُنثَى الغُرابِ البَيضَ واحِدًا وعِشرينَ يَومًا حَتّى فَقَسَت وَخَرَجَت مِنها ثَلاثَةُ غِرْبانٍ صِغار.

بَعدَ وِلادَةِ الصِّغارِ أَصبَحَتِ الأُمُّ مَشغولَةً طَوَالَ الوَقْتِ. فَقَد كانَ عَلَيها أَن تُطْعِمَهُم عِدَّةَ مَرّاتٍ لأَنَّ الصِّغارَ تَجُوعُ باستِمرارٍ، وَكانَ عَلَيها أَيضًا أَن تَحْمِيَهم وتحافِظَ عَلَيْهِمْ لأَنَّ كَثيرًا مِنَ السّارِقين يَبحثونَ عَنِ الزَّغاليلِ وَصِغارِ الطُّيور.

وَكان أَخطرَ أَعدائِها الثَّعلَبُ الَّذي يَعيشُ بِجِوارِ الشَّجَرَةِ الكَبيرَة. وَعِندَما سَمِعَ الثَّعلَبُ الصِّغارَ تُزَقْزِقُ قالَ في نَفسِهِ: "جَميل.. هُناكَ ما يُطْعِمُني في ذَلِكَ العُشّ." اقترَبَ الثعلبُ مِنَ الشَّجرَةِ يَبحثُ عن طَريقَةٍ يَستطيعُ الوُصولَ بِها إِلَى العُشّ. لَكِنَّ العُشَّ كانَ في أَعلَى الشَّجَرة، وَلَم يَكُنِ الثَّعلَبُ يَستَطيعُ الوُصولَ إِلَيه لِيَحصُلَ عَلَى الزَّغاليل.

فَكَّرَ الثعلبُ في طَريقة تُمَكِّنُهُ مِنَ الحصُول عَلَى الغِرْبَان الصِّغار. بَحَثَ في قِمامَةِ القَريَةِ فَوَجَدَ قُبَّعَةً قَديمَة، وَسَرَقَ مِن حَارِسِ الغَابَةِ مِنْشَارًا صَدِئًا قَديمًا. وَعِندَ الفَجر، وَقَبلَ أَن تُغادِرَ أُنثَى الغُرابِ عُشَّها، اِتَّجَهَ الثَّعلَبُ نَحوَ الشَّجَرَة، وَعَلَى رَأسِهِ القُبَّعَةُ القَديمة، وفي يَدِهِ المِنشار. بَدَأَ الثَّعلَبُ يَنْشُرُ الشَّجرَةَ بالمِنْشَارِ الصَّدِئ.

انزَعَجَتْ أُنْثَى الغُرابِ عِندَما سَمِعَت صَوتَ المِنْشَار، وَعِندَما وَجَدَتِ الشَّجَرَةَ تَهتَزُّ، وَنَظَرَتْ أَسفَلَ لِتَعرِفَ ما يَحدُثُ. ثم سَأَلت: "مَن أَنتَ؟ وماذا تَفعَلُ؟" أجابَها الثَّعلبُ المُحتالُ: "أَنا حارِسُ الغابة، وَأُريدُ قَطْعَ شَجَرَتي." قَالَتْ أُنثَى الغُرابِ وَهِيَ تَتَوَسَّل: "أَرْجُوكَ. لا تَقطَع هَذِهِ الشَّجَرَة، فَقَد بَنَيْتُ

عَلَيها عُشًّا، وَصِغاري دَاخِلَه." قالَ الثعلبُ: "لَقَد أَخطأتِ بِبِناء عُشِّك علَى شَجَرَتي، لأنّي سَأَقطَعُها حالاً."

بَدَأَت أُنثَى الغُرابِ تَستَعطِفُ الثَّعلَبَ وَتقولُ: "أَمهِلني بِضعَةَ أَيّامٍ فَقَط، لِتَكبُرَ صِغَاري، وتُصبِحَ أَقَوى وَأَقدَرَ عَلَى الطَّيران." لَكِنَّ الثعلبَ قالَ في حِدَّة: "لَن أُمْهِلَكِ ساعةً واحِدَةً. يَجِبُ أَن أَقطَعَ شَجَرَتي حَالاً."

قالَ الثَّعْلَبُ هَذِهِ الكَلِماتِ، ثم واصَلَ نَشرَ الشَّجَرَة وتَوَقَّفَت أُنثَى الغُرابِ عَنِ الكَلام، ولَم تَعُد تعرِفُ ماذا تفعَل نَظَرَ الثَّعلَبُ إلَى العُشِّ نَظرَةً ماكِرَة وَقالَ: "جَميل. سأُمهِلُك يَوْمَيْن بِشَرطِ أَن تُعطِيَني أَحَدَ صِغارِك. فَبِذَلِكَ فَقَط يُمكِنُني الانتِظار."

اِضطَرَّت المِسكينَةُ أَن تَقبَلَ الشَّرطَ. وأَلْقتْ لِلثَّعْلَبِ أَحَدَ صِغارِها فالتَهَمَهُ في الحال. سارَ الثعلبُ سَعِيدًا لِنَجاحِ فِكْرَتِهِ الماكِرة، وَزادَت سَعادَتُه عِندَما فَكَّرَ أَن يَفعَلَ الحيلةَ نَفسَها مَعَ خَيُور أُخرَى.

بَعدَ اِنصِرافِ الثَّعلَبِ، جاءَت أُنثَى البَبْغَاءِ لِزيارَةِ أُنثى الغُراب، فَوَجَدَتها حَزينَةً تَبكي صَغيرَها الَّذي فَقَدَتْهُ. وعَرَفَت ما دارَ بَينَها وبينَ الثعلَب. قالَت أنثَى البَبغاءِ: "ما أَغرَبَ هَذا! إنَّ حارسَ الغابةِ لا يقطَعُ شَجرةً خضراءَ أبدًا. لابُدَّ أنَّ أحدًا خَدَعكِ. عِندَما يَعودُ دَعِيني أُشاهِدُه، وَسَأَقولُ لَك إنْ كانَ حَقًّا حارسَ الغابَةِ أَوْلا"

وَبَعدَ يَومَين عادَ الثَّعلَبُ وَعَلَى رَأْسِهِ القُبَّعةُ القَديمةُ يَحمِلُ المِنشارَ الصَّدِئَ، وَيَسيرُ بِخُطُواتٍ ثابِتَةٍ وَهُو مُتَأَكِّدٌ مِن نَفسِه. وَعِندَما شاهَدَت أُنثَى الغُرابِ القُبَّعَةَ مِن بَعيد، خارَت إلَى أُنثَى البَبغاءِ وأَخبَرَتها بِوُصول حارس الغابَة. جاءَت أُنثَى البَبغاء، وَنَظَرت إلَى الحارس نظرة فاحصَةً، ثم قالَت: "يا لَغَبَائِكِ! لَيسَ هَذَا حارسِ الغابَة. إنه الثَّعلَبُ الماكِر. لَقَد خَدَعَكِ بقبَّعَتِهِ ومِنشاره. لا تَخَافي – يا صَدِيقَتِي – إنْ قالَ لكِ إنه سَيَقطَعُ الشَّجَرةَ فلخرُديه، وثِقي بأَنه لَن يَستطيعَ قَطعَ الشَّجرَة. فإنَّ ذَلِكَ يَستَلزِمُ مِنشارًا خاصًّا ذا حَدّيْن وساعِدَيْن قَوِيَّيْن.

بَدَأَ الثَّعلَبُ فِي نَشْرِ الشَّجَرَة، بَينَما كانَت أُنثَى الغُرابِ تَنْظُرُ إليه مِن أعلَى الشَّجرة دونَ أن تَشْعُر بالخَوْف وقالت: "مَن أنْتَ؟ وماذا تُريدُ؟" أجابَ الثّعلبُ: "أنا حارسُ الغابة، وَجِئتُ لأقطعَ شَجَرَتي" قالت أُنثَى الغراب: "اِفعَل ما تَشاء. اِقطَعها إنْ كُنْتَ تَقْدِر. لَن أترُكَ عُشِّيَ أبدًا. أَنتَ لَسْتَ حارسَ الغابَةِ بَل الثَّعلَبُ الحَقير."

تَعَجَّبَ الثعلبُ مِن كَلامِ أنثَى الغُراب. فَهِيَ تَتَحَدَّثُ بِثِقَةٍ وَدونَ خَوْفٍ، بَعدَ أَن كانت تَبْكِي وَتَتَوسَّل. وفَهِمَ أنَّ أَحَدَهُم قد حذَّرَها مِن حِيَلِهِ وَمَكْرِه. صَمَّم الثعلبُ عَلَى أن يَعرفَ مَنِ الذي تَكَلَّمَ وأخبَرَها بحقيقته وَسَأَلها: "مَن قالَ لَكِ إني لَسْتُ حارسَ الغابةِ؟" وَدونَ تَفكير قالَت أُنثَى الغُراب: "أُنثَى البَبغاءِ هِيَ التي أَخبَرَتني بِحقيقتكِ." مُنذُ تِلكَ اللَّحظَةِ قَرَّرَ الثَّعلَبُ أَنْ يَنتَقِمَ مِن أُنثَى البَبغاء

بَعدَ أَيّام، ذَهَبَ الثعلبُ إلى بِركَةٍ ماؤُها قَذِر، وبَلَّل جِسمَه بمائِها، واستَلقَى تَحتَ الشَّجَرَةِ حَيثُ تعيشُ أنثَى البَبغاء، وتظاهَرَ بالمَوْتِ. رَأتهُ أُنثَى الببغاء وَحَلَّقت فَوقَه مَرّتَيْن لكنَّ الثعلبَ بَقِيَ ساكِنًا لا يتحرك.

فَقَالَتْ فِي نَفْسِها: "لابُدّ أنَّ الثعلبَ قَد مات. سَأقتَربُ مِنه وَأنقرُ عَينَيْه." وقَفَزَت فَوقَ جِسمِ الثعلبِ، وَبَدَأَت تَنْقُرُ جِسمَهُ بِمِنقارَها، لكنَّ الثعلبَ لَم يتحرَّك. تَشَجَّعت أُنثَى البَبغاءِ، واقتَرَبَت مِن رَأسِهِ لتنقُرَ عينَيْه. فَجأَةً أَمسَكَ بِها الثَّعلَبُ بَيْنَ فكَّيه.

قالَت أُنثَى البَبغاء: "لَكَ الحَقّ فِي قَتْلِي، فأنا الَّتي حَذَّرتُ أنثَى الغُراب وبَقِيَّةَ الطيور مِن حيلتِك. وكما تَعرفُ فإنَّ لَدَيّ حِيَلاً كثيرةً يمكنُكَ أن تَسْتَفِيدَ مِنها. فَكِّرْ - يا صاحِبي - إمّا أَن تَأْكُلَني حَالاً ويَمْتلئَ بَطنُك خِلالَ النهار، وإمّا أَن تَترُكَني فَنُصبِحَ صَدِيقَيْن وَأُخلِعَكَ عَلَى حِيَلي. صَدِّقني.. سَتكونُ حياتُك أَسْهَل وأَفضَلَ بَقِيَّةَ عُمرِك."

فكَّرَ الثَّعلبُ، وقالَ لنفسِه: "رُبَّما كانَت عَلَى حَقّ. إنَّ أُنثَى البَبغاءِ، مَاكِرَةٌ، وَسَتكونُ صَداقتُها مُفيدَةً ونافِعَةً" دونَ شَكٍّ، وَرُبَّما تمكِّنُني مِن أَكلِ عُصفورَيْن يوميًّا." قالَت أُنثَى البَبغاءِ: "هَيّا أَيُّها الثعلبُ. إنَّها فُرصَةٌ لَن تَتَكَرَّر. سَوفَ نُقسِمُ اليمينَ مَعًا بشهادةِ الشمسِ والقمرِ عَلَى صَدَاقَتِنَا."

فَتَحَ الثعلبُ فَمَهُ ليُقسِمَ يمينَ الصَّداقة. وَأَفْلَتَتْ أُنثَى البَبغاءِ مِن بَيْنِ أسنانِه، وطارَت إلى أعلَى الشجرة تاركةً الثعلبَ في شِدَّة الأسفِ والحُزن عَلَى نفسِه أَن خَدَعَتْه أنثَى البَبغاء. وَمُنذُ ذَلِكَ الوَقتِ لم يَعُد يَقولُ إنَّهُ أَذكَى وأَمكَرُ حَيوانٍ في الغابَةِ.

٣٣- عُصْفُورٌ وَجَرادَة

كانَ يَعيشُ في مَدينَةِ بَغدادَ رَجُلٌ فَقيرٌ وَزَوجَتُهُ. اِسمُ الرَّجُلِ عُصفور، وَاسم الزَّوجَةِ جَرَادَة. وكانا لا يَمْلِكان شَيْئًا. فَقَد كانَ عُصفورٌ علخِلاً لا يَجِدُ شَيئًا يَعْمَلُهُ، وكَذَلِكَ لَم تَجِد زَوجَتُهُ ما تُساعِدُهُ بِهِ، فعاشا في ضيقٍ وَفَقرٍ شَديد.

وذاتَ يَومٍ قالَت جَرادَةُ لِزَوجِها: "ما رَأيُكَ لَو عَمِلتَ في السِّحْرِ وَقِراءَةِ الحَظّ" تَعَجَّبَ عُصفورٌ مِن كَلامِ زَوجَتِهِ، وَقالَ: "أَنتِ تَعلَمينَ – يا زَوْجَتي – أَنَّني رَجُلٌ أُمِّيٌّ لا أَعرِفُ القِراءَةَ وَلا الكِتابَةَ، فَكَيْفَ أَعمَلُ في السِّحْر؟! وَكَيفَ أَقرَأُ الحَظّ؟!" فَأَجابَتْهُ زَوجَتُهُ: "أَلا تَعرِفُ أَنَّ السِّحْرَ مِهنَةُ الجاهِلِ، وَأَنَّهُ حِرفَةُ مَن لا حِرْفَةَ لَه؟ فَمِهنَةُ السِّحْرِ لا تَحتاجُ لأَكثَرَ مِنَ الكَذِبِ والخِدَاع. فَما عَلَيْكَ إلاّ أَنْ تَرسُمَ في وَرَقَةٍ بَعضَ الخُطوطِ والأَشكال، وَسَوفَ يُصَدِّقُكَ النّاسُ وَبِخاصَّةٍ النِّساء."

كانَ عُصفورٌ في فَقرٍ شَديدٍ وَشِدَّةٍ وَضيق، لِذَلِكَ اضطُرَّ إلَى أَن يُنَفِّذَ كَلامَ زَوجَتِهِ، وَيَعمَلَ في السِّحر. كانَ يَجلِسُ في دارِهِ فَتَأتيهِ النِّساءَ، فَيَكتُبُ لَهُنَّ الأَوراقَ، وَيُمَنِّيهِنَّ بِما يُسعِدُهُنّ. وكان يستشير زوجته من آن لآخَرَ، فهي أعرَفُ بِطِباعِ النِّساءِ وعاداتِهِنَّ وَطَريقَةِ تَفكيرِهِنَّ، وَما يَرغَبْنَ فيهِ وَما يَكرَهْن. نَجَحَ عُصفورٌ في عَمَلِهِ، وَأَقبَلَت عَلَيْهِ النِّساءُ، حَتَّى اشتُهِرَ وَصارَ مَعروفًا في المَدينَة. وَفي كَثيرٍ مِنَ الأَحيانِ كانَ يَستَمِعُ إلَى مُشكِلَةِ المرأَةِ، وَيَطلُبُ مِنها أَن تَنتَظِرَ قَليلاً لِيَخلُوَ إلَى نَفسِهِ، ثُمَّ يَترُكُها، وَيَدخُلُ إلَى زَوجَتِهِ، وَيَعرِضُ عَلَيْها مُشكِلَتَها، فَتَذكُرُ لَهُ ما يَقول.

وذاتَ يومٍ جاءَتهُ إحدَى وَصيفاتِ الخَليفةِ، وَأَخبَرَتْهُ أَنَّها عَثَرَت عَلَى خاتَمِ زَوجَةِ الخَليفَةِ في حَديقَةِ القصر، وَقَبلَ أَن تُعطِيَهُ لَها اِنْتَشَرَ خَبرُ سَرِقَةِ الخاتَم في القَصر، فَخافَت أَن تُعيدَهُ لِزَوجَةِ الخَليفَةِ فَتَتَّهِمَها بِالسَّرِقَةِ، وَقالَت إنَّها حائِرَةٌ لا تَدْرِي ماذا تَفعَل.

سَمِعَ عُصفورٌ كَلامَها، وَتَرَكَها وَأَسرَعَ إِلَى زَوْجَتِهِ يَسأَلُها ما يَقُولُ لِلوَصيفَة. فَأَخْبَرَتْهُ زَوجَتُهُ أَن يَطلُبَ مِنها أَن تَرمِيَ الخاتَمَ في بِرْكَةِ القَصر. رَجَعَ عُصفورٌ إِلَى الوَصيفَةِ، وَأَخبَرَها بِذَلِكَ. عادَت الوَصيفَةُ إِلَى حَدِيقَةِ القَصرِ، وَرَمَت الخاتَمَ في البِرْكَة.

بَعدَ يَومٍ جاءَت إحدَى خادِماتِ القَصرِ، وَأَخبَرَتْهُ بِأَنَّ زَوجَةَ الخَليفَةِ تَطلُبُ مِنهُ الحُضورَ إِلَى القَصْر. أَدرَكَ عُصفورٌ ما سَوْفَ تَطلُبُهُ زَوجَةُ الخَليفَةِ، فَأَسرَعَ إِلَيها، وَأَخبَرَتْهُ بِأمرِ خاتَمِها المَسروق، وَذَكَرَت لَهُ أَنَّهُ خاتَمٌ ثَمينٌ قَد وَرِثَتهُ عَن أُمِّها. فَكَّرَ عُصفورٌ قَليلاً، ثُمَّ قالَ لَها: "خاتَمُكِ - يا سيِّدتي - لَيسَ مَسروقًا، لَقَد سَقَطَ مِن يَدِكِ في مَكانِ مَاءٍ داخِلَ القَصْر.

تَذَكَّرَت زَوجَةُ الخَليفَةِ بِرْكَةَ القَصرِ، فَأَمَرَتِ الخَدَمَ أَن يَبحَثوا فيها. بَحَثَ الخَدَمُ في البِرْكَةِ، وَوَجدوا الخاتَمَ فَرِحَتْ زَوجَةُ الخَليفَةِ، وكافَأَتْهُ بِمَبلَغٍ كَبيرٍ مِنَ المال.

زادَت شُهرَةُ عُصفور، وَصارَ حَديثَ المَدينَة. وَكانَ النّاسُ يَحضُرُونَ إِلَيْهِ مِن كُلِّ مَكان. خافَ عُصفورٌ، وَعَرَضَ عَلَى زَوْجَتِهِ أَنْ يَكْتَفِيَا بِما مَعَهُما مِن مال، وَيَهرُبا مِنَ البِلادِ، فرُبَّما يَفتَضِحُ أَمرُهُما، وَتكونُ نِهايَتُهُما السِّجنَ. لم تُوافِق جَرادَةُ زَوجَها عَلَى طَلَبِه، وَشَجَّعَتْهُ عَلَى أَنْ يَستَمِرَّ في عَمَلِهِ، وَأَخبَرَتْهُ أَنَّ النّاسَ سَتزدادُ حاجَتُهُم إِلَيْه.

وفي يَومٍ أَرسَلَ الخليفَةُ الخَدَمَ إلى عُصفور يَدعونَهُ إلى القَصر. خافَ عُصفورٌ، لَكِنَّ زَوجَتَهُ شَجَّعَتْهُ عَلَى الذَّهاب. ذَهَبَ عُصفورٌ إِلَى الخَليفَةِ وَهُو خائِف. وَعِندَما وَقَفَ أَمامَهُ أَخبَرَهُ الخَليفَةُ أَنَّ خَزينَةَ الدَّولَةِ قَد سُرِقَت، وأنَّ الخَلِيفَةَ وحدَهُ الّذي يَعرفُ هَذا الخَبَرَ، وَأَمَرَهُ أَن يَعرفَ مَن السّارق.

اِضطَرَبَ عُصفورٌ وَخَافَ، وَوَقَفَ لَحْظَةً لا يَدْري ماذا يقول أو ماذا يفعل. ثم طَلَبَ مِنَ الخَليفَةِ أَن يُمْهِلَهُ خَمسَةَ أَيّام. رَجَعَ عُصفورٌ إِلَى زَوجَتِهِ وَأَخْبَرَها بِالأَمر، وَعَرَضَ عَلَيها الهَرَبَ مِنَ البِلادِ لِلمَرَّةِ الثّانِيَةِ، لَكِنَّ المرأةَ طَلَبَت مِنهُ أَن يَصبِرَ وَيَنتَظِر.

وكانَ خَمسَةٌ مِنَ اللُّصوصِ قَد سَرَقوا خَزينَةَ البِلاد. وَعِندَما عَلِموا أَنَّ الخَليفَةَ استَدعَى عُصفورًا إلَى القَصرِ خافوا أَن يَكشِفَ أَمرَهُم، وَأَرسلوا أَحَدَهُم إلَى دارِ عُصفورٍ لِيَسمَعَ ما يَقولُ وَيُخبِرَهُم، حَتَّى يَعرِفوا ماذا سَيَفعَلون.

اِقتَرَبَ اللِّصُّ مِن بابِ الدّارِ، وَكانَ شَبَحُ عُصفورٍ يَروحُ وَيَجيءُ في فِناءِ الدّارِ مِنَ القَلَقِ وَهُوَ يَقولُ: "ها هُوَ ذا الأَوَّلُ. ها هُوَ ذا الأَوَّلُ." وكانَ يَقصِدُ أَنَّ اليَوْمَ الأَوَّلُ قَد مَرَّ. ظَنَّ اللِّصُّ أَنَّ عُصفورًا قَد شَعَرَ بِهِ وَعَرَفَهُ، فَخافَ وَأَسرَعَ إلى زُمَلائِهِ، وَأَخبَرَهُم بِالأَمرِ فَلَم يُصَدِّقوا.

وَفي اللَّيلَةِ التالِيَةِ أَرْسَلوا لِصًّا ثانِيًا، وَكانَ عُصفورٌ يَروحُ وَيَجيءُ في الفِناء، فَسَمِعَهُ اللِّصُّ يَقولُ: "راحَ الأَوَّلُ.. وَجاءَ الثّاني.. راحَ الأَوَّلُ.. وَجاءَ الثّاني." وَهُوَ يَقصِدُ اليَومَ الأَوَّلَ، واليَوْمَ الثّاني. ظَنَّ اللِّصُّ أَنَّ عُصفورًا قَد أَحَسَّ بِهِ وَعَرَفَهُ هُوَ الآخَرُ، فَأَسرَعَ إلَى أَصحابِهِ وَأَخبَرَهُم بِالأَمرِ فَلَم يُصَدِّقوه.

وَفي اللَّيْلَةِ الثّالِثَةِ أَرْسَلوا لِصًّا ثالِثًا، فَوَقَفَ وَراءَ البابِ يُنصِتُ، فَسَمِعَ عُصفورًا يَصيحُ قائِلاً: "جاءَ الثالِثُ .. جاءَ الثّالِثُ" خافَ اللِّصُّ وَجَرَى إلَى أَصحابِهِ يُخبِرُهُم بِالأَمر.

اِضطَرَبَ اللُّصوصُ. ظَنّوا أَنّ عُصفورًا قَد عَرَفَهُم وَكَشَفَ أَمرَهُم، وَخَشوا أَن يُخبِرَ الخَليفَةَ، فَأَسرَعوا إلَيْهِ في اليَوْمِ الرّابِعِ، وَقابلوهُ، وَعَرَّفوهُ بِأَنفُسِهِم، وَذَكَروا لَهُ أَنَّهُم هُم اللُّصوصُ الخَمسَةُ الّذين سَرَقوا خَزينَةَ الدَّولَة، وتوسَّلوا إلَيْهِ أَلاّ يُخْبِرَ الخَليفَةَ بِأَمرِهِم، وَوَعَدوهُ بِرَدِّ المَبلغِ المَسروقِ كامِلاً بِشَرطِ أَن يُساعِدَهُم عَلَى الأَمر، وَيَمنَعَ عَنهُمُ الأَذَى.

أَسرَعَ عُصفورٌ إلَى زَوجَتِهِ يُخبِرُها بِما حَدَثَ، فَفَرِحَت فَرَحًا شَديدًا، وَأَخبَرَتْهُ بِطَريقَةٍ يُعيدُ بِها المالَ المَسروقَ إلَى الخَليفَة.

وَفي صَباحِ اليَوْمِ الخامِسِ ذَهَبَ عُصفورٌ إلَى قَصرِ الخَليفَةِ وَهُوَ واثِقٌ مِن نَفسِهِ، وَلَمّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَخْبَرَهُ أَنَّ اللُّصوصَ الّذينَ سَرَقوا الخَزينَةَ قَد أَخفَوْها في بُستانٍ مَهجورٍ، لا يَملِكُهُ أَحَدٌ، تَحتَ نَخلةٍ مَحروقَة. فَأَمَرَ الخَليفَةُ جُنودَهُ

بالذَّهابِ إِلَى ذَلِكَ البُستان. وَبَعدَ قَليلٍ رَجَعَ الجنُودُ بالخَزينَةِ. فَرِحَ الخَليفَةُ، وَكافَأَ عُصفورًا بِالهُدايا والمال.

وَذاتَ يَوم كانَ الخَليفَةُ يَتَمَشَّى في حَديقَةِ القَصر، وَأَرادَ أَن يَتَسَلَّى، فأرسَلَ إِلى عُصفور يَدعوهُ لِزيارَتِه. تَرَدَّدَ عُصفورٌ وخافَ، وَسَأَلَ زَوْجَتَهُ جَرادَةَ، ماذا يَفعَلُ. فَطَلَبَتْ مِنه أَنْ يُسرِعَ إِلَى الخَليفَةِ وَلا يَخشَى شَيْئًا.

و كانَ الخَليفَةُ قَد رَأَى جَرادَةَ فَأَمسَكَ بِها، وَلَمّا دَخَلَ عَلَيْهِ عُصفورٌ، وَضَعَها في يَدِهِ، وَأَطبَقَ عَلَيْها أصابِعَهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَمّا يُخبِئُ بَيْنَ أَصابِعِهِ. خافَ عُصفورٌ وَصاحَ يَستَنجِدُ بِزَوجَتِهِ وَهُوَ يَهُمُّ بِالهَرَبِ: "جَرادَة.. جَرادَة." ضَحِكَ الخَليفَةُ وَظَنَّ أَنَّ عُصفورًا يَخافُ مِنَ الجراد. فَتَحَ الخليفَةُ أَصابِعَ يَدِهِ فَظَهَرَت الجَرادَة. أُعجِبَ الخلَيفَةُ بِعُصفور وَكافَأَهُ.

رَجَعَ عُصفورُ إِلَى زَوجَتِهِ يُخْبِرُها بِما جَرَى، وَيَرْجوها أَن تُوافِقَهُ عَلَى مُغادَرَةِ بَغدادَ قَبلَ أَن يُكْشَفَ أَمْرُهُ، وَلَكِنَّها طَمْأَنَتْهُ، وَشَجَّعَتْهُ عَلَى البَقاء.

وَكانَ الخَليفَةُ قَد حَدَّثَ مَلِكَ أَحدِ البِلادِ المجَاوِرَةِ عَن عُصفور، وَذَكَرَ لَهُ قُدْرَتَهُ عَلَى مَعْرِفَةِ كُلِّ شَيء. وَذاتَ يَوم استَضافَ الخَليفَةُ المَلِكَ إِلَى قَصرِهِ، وَأَحضَرَ عُصفورًا صَغيرًا وَخَبَّأَهُ في غُرفَةٍ وَراءَ قاعَةِ العَرش. ولَمّا دَخَلَ عُصفورٌ قَدَّمَهُ الخَليفَةُ إِلَى ضَيْفِهِ المَلِكِ، ثُمَّ سَأَلَهُ إن كانَ يَعرِفُ ما خَبَّأَهُ وَراءَ الجِدار. فَصاحَ عُصفورٌ خائِفًا: "عُصفورٌ خار.. عُصفورٌ خار" ثُمَّ أَعطاهُم ظَهرَهُ، وفَرَّ هارِبًا.

ضَحِكَ الخَليفَةُ وَضَيفُهُ المَلِكُ، وَأَرسَلَ الجُنودَ يَحمِلونَ لَهُ الهَدايا والمالَ. وكانَ عُصفورٌ قَد دَخَلَ دارَهُ، وَأَغلَقَ عَلَيه البابَ، ثُمَّ أَخَذَ يَصيحُ كَأَنَّهُ مَجنون. فَتَحَتِ الزَّوجَةُ البابَ، وَتَسلَّمتِ الهدايا والمالَ مِنَ الجُنودِ، ثُمَّ التَفَتَتْ إِلَى زَوْجِها، وَقالَت لَهُ: "جُنونَكَ – يا عُصفورُ – خَيْرٌ لي مِن فَقْرِكَ.. إِنَّ ما أَصبَحَ لَدَينا مِن مالٍ – الآنَ – يَكفينا بَقِيَّةَ العُمْر."

٣٤- الأَبُ وابنتَاه

كانَ لِرَجُلٍ ابنَتان: شَمسُ وَدُعاء. زَوَّجَ الأَبُ ابنَتَهُ شَمْسًا بُستانيًّا يَزرَعُ بُستانَهُ خَضراواتٍ وفاكِهَة. وَزَوَّجَ ابنَتَهُ دُعاءَ خَزَّافًا، لَهُ مَصنَعٌ صَغيرٌ يَصنَعُ فيهِ الخَزَفَ مِن الطِّين، وَيَعْرِضُهُ في الشَّمسِ لِيَجِفَّ وَيَصيرَ صَلبًا يُمكِنُ استِخْدَامُه.

بَعدَ وَقتٍ فَكَّرَ الأَبُ أَن يَزورَ ابنَتَيْهِ لِيَطمَئِنَّ عَلَيْهما. ذَهَبَ أَوَّلاً إِلَى شَمسٍ زَوجَةِ البُستانِيِّ وَسَأَلَها عَن حالِها. قالت البِنتُ لأَبيها إِنَّها تَعيشُ مَعَ زَوجِها حَياةً سَعيدَة، ثُمَّ قالَت: "وَلَكِنْ.. كَم أَتَمَنَّى – يا والِدي – أَن تَسقُطَ أَمطارٌ كَثيرةٌ خَيِّبةٌ، فالبُستانُ في أَشَدِّ الحاجَةِ إِلَيها لِينمُوَ الزَّرعُ وَتَنْضَجَ الثِّمار.

بَعدَ ذَلِكَ ذَهَبَ الأَبُ لِزِيارَةِ ابنَتِهِ دُعاء زوجةِ الخَزّافِ صاحِبِ مَصنَعِ الخَزَف. سَأَلَ الأَبُ ابنَتَهُ عَن حالِها فَقالَت إِنَّها وَزَوْجَهَا في أَحسَنِ حال وَلا يَشْكُوانِ شَيئًا، ثُمَّ أَضافَت: "لَكِن – يا والِدي – كَم أَتَمَنَّى أَن يَستَمِرَّ الجوُّ صَحوًا جافًّا والشمسُ خالِعَةً، حَتَّى يَجِفَّ الخَزَفُ، وَنبيعَهُ لِلنّاس.

ابتَسَمَ الأَبُ لابنَتِه، وَقالَ مازِحًا: "أَنتِ تَطلُبينَ جَوًّا جافًّا، وأُختُكِ تَطلُبُ المَطَرَ. كُنتُ أَنوي أَن أَدعُوَ اللهَ في صَلاتِي أَن يُحَقِّقَ لِكُلٍّ مِنكُما أمنيتَها، غَيرَ أَنّي – الآنَ – أَرَى أَنَّهُ مِنَ الأَفضَلِ أن أَسكُتَ وَلا أذكُر شَيئًا."

٣٥- العَقلُ زينَة

يُحْكَى أَنَّ امْرَأَةً فقيرةً كانَتْ تَعيشُ في بَلَدٍ بعيدٍ، وكانَ عِندَها ابنٌ اسمُهُ مازن. وفي يوم من الأيام، قالت الأمُّ لابنِها مازن: "اسمعْ يا بُنَيّ... نحنُ فُقَراء. ويجبُ أَنْ تَخْرُجَ لِتَبْحَثَ عَنْ عَمَلٍ. وتَشْتَغِلَ فتكسبَ.. لنجِدَ المالَ الّذي نُنْفِقُ مِنْه"

كانَ مَازِنٌ يُحِبُّ أُمَّهُ.. وَيُطيعُها.. وَيَسْمَعُ كلامَها... ولا يَعْصِي لَها أَمْرًا.

خَرَجَ مازِنٌ.. واشتَغَلَ مَعَ فَلاّحٍ في الحقلِ.. الفلاحُ أعطاهُ دينارًا.

وَضَعَ مازن الدينارَ في مِندِيلِهِ بإِهمالٍ فَوَقَعَ مِنْهُ .. وَضاعَ.. رَجَعَ مازنٌ إلَى أُمِّه بلا نُقود.

أُمُّهُ قالَتْ لَهُ: "كانَ يجبُ أَنْ تَضَعَهُ في جَيْبِكَ!"

قال مازِن لأُمِّهِ: "في المَرَّةِ القادمةِ يا أُمِّي!"

وفي اليومِ التالي خَرَجَ مازن واشْتَغَلَ في مَزْرَعةٍ.. وَأَخذَ أُجْرَتَهُ بَعْضَ اللَّبنِ الحليبِ..

وَضَعَ مازنٌ الحليبَ في جيبِه.. سالَ الحَليبُ عَلَى الأَرْضِ..

أُمُّهُ قالَتْ له: "ما هَذا الّذي فَعَلْتَهُ يا مازن؟! كانَ يَجِبُ أَنْ تَحْمِلَهُ عَلَى رَأْسِكَ!"

مازِنٌ خَرَجَ واشْتَغَلَ في مَحَلٍّ بِقالةٍ وَأَخَذَ أُجْرَتَهُ تِسْعَ بَيْضاتٍ..

وضعَ مازن البيضاتِ عَلَى رأسِهِ فَوَقَعَتْ وتَكسَّرتْ..

أمُّهُ قالَتْ لَهُ: "ما هَذا الذي صَنَعْتَ؟ كانَ يَنْبَغِي أَنْ تَحْمِلَها في يَدَيْكَ.."

وفي اليومِ التالي.

مازن خرج واشتغلَ عندَ راعِي غَنَم.. وأخذ أُجْرَتَهُ خَروفًا صغيرًا. فحمله عَلَى يديْهِ.. وسار نحوَ بيتِهِ. ولكنَّ الخروف كانَ ثقيلاً.! نَطَّ الخروفُ عَلَى الأرضِ... وَهَرَبَ.

أُمُّهُ قالَتْ له: "ما هذا الّذي عَمِلْتَهُ يا بُنَيّ؟!

كانَ يَجِبُ أَنْ ترْبِطَهُ بِحَبْلٍ.. وتَجُرَّهُ وراءَك"

وفي اليومِ التالي..

خَرجَ مازن واشْتَغَلَ عِنْد جزار، وأخَذَ أُجْرَتَهُ نِصْفَ خروفٍ مذبوحٍ.

رَبَطَ مازن لَحْمَ الخروفِ بِحَبْلٍ وَجَرَّهُ وَراءَهُ. فأَكَلَتْهُ الكلابُ.. ولم تَتْرُكْ قطعةَ لَحمٍ واحِدة.

وَصَلَ مازن إلَى أُمِّه يَجُرُّ الحبلَ وليسَ فيهِ لَحْمٌ.

أُمُّهُ قالَتْ لَهُ: "ما هَذا الّذي عَمِلْتَهُ؟! كانَ يَجِبُ أَنْ تَحْمِلَهُ عَلَى كَتِفِكَ"

ثُـمَّ خَـرَجَ مازن في يومٍ آخَرَ.. واشْتَغَلَ عِنْدَ تاجِرِ ماشِيَةٍ وأَخَذَ أُجْرَتَهُ ماعِزَةً كبيرةً فَحَمَلَها عَلَى ظهرِهِ.. وسارَ في الطريقِ.. رَأَتْهُ ابْنَةُ تاجِرٍ غنِيٍّ وَأَخَذَتْ تَضْحَكُ مَسْرورَةً.

التاجِرُ الغنِيُّ قالَ لمازن:

"ابْنَتي كانَت حزينةً.. لم تَضْحَكْ خَوالَ حياتِها أبدًا. واليومَ ضَحِكَتْ لأوَّلِ مَرَّةٍ. وأنَا قُلْتُ .. مَنْ يُضحكْها أَجعَلْهُ شَريكًا لي في تِجارتي. وأُعْطِهِ نِصْفَ ثَرْوَتي.."

اشْتَغَلَ مازنٌ مَعَ التاجرِ الغَنّي وساعَدَهُ في تجارَتِهِ وَصارَ مِنَ الأغْنياءِ. ثُمَّ تزوَّجَ مِن ابنةِ التاجِرِ وعاشَ مَعَ أمِّهِ وَزَوْجَتِهِ سَعيدًا مسرورًا.

٣٦- لا تَغْضَبْ

شادي ونادرٌ أَخَوان فَقيران. قالَ نادِرٌ الأخُ الأكبَرُ لأخيهِ شادي: "سَتَبقَي – أنتَ – فِي البَيْتِ، وسَأَذهَبُ لِلعَمَلِ عندَ أَحَدِ الأَغْنِياءِ فِي القَرْيَةِ المُجَاوِرَةِ، وَسَوْفَ أُرْسِلُ لَكَ جُزْءًا مِمّا أكسَبُهُ لِتَستَعينَ بِهِ عَلَى نَفَقاتِ البَيْت."

بَحَثَ نادرٌ طَويلاً إِلَى أَن وَجَدَ عَمَلاً عِندَ أَحَدِ الأَغنياء. كانَ عِندَ هَذا الغنيِّ مَزرَعَةٌ كبيرةٌ فِي وَسَطِها بيتٌ جَميل. طَلَبَ نادرٌ أَن يَعمَلَ عِندَ صاحِبِ المزرعةِ حَتّي فَصْلِ الرَّبيع. قالَ صاحِبُ المزرَعةِ بِصَوتٍ حادّ: "لي شَرطٌ مُهِمّ".

فَسَأَلَهُ نادِرٌ: "وَما هُوَ؟"

قالَ الغَنِيُّ: "إذا ما غَضِبْتَ – أنتَ – قَبلَ أَن يَصيحَ طائِرُ "الكوكو" الَّذي يُهاجِرُ إِلَى بِلادِنا فِي فَصلِ الرَّبيعِ، فَسَوفَ تَدفَعُ لي أَلفَ جُنَيه.. وَإِذا غضِبتُ – أنا – فَسَوفَ أَدفَعُ لَكَ أَلفَ جُنيهَ.

تعجَّب نادرٌ مِن هَذا الشَّرطِ الغَريب، وَفَكَّر قَليلاً ثُمَّ قال: "وإذا لَم يَكُن لَدَيّ أَلفُ جُنَيه... فكَيفَ أَدفَعُ لَكَ هَذا المبلَغ؟!" أجابَ الغَنِيّ: "الأَمرُ بَسيط.. تَشتَغِلُ عِندي – بِلا أَجرٍ – مُدَّةَ عَشْرِ سَنَواتٍ"

كانَ هَذا الشَّرطُ ظالِمًا وَقاسِيًا بالنِّسبَةِ إِلَى نادِر، لكنّه قالَ فِي نَفسهِ: "مَهما تَكُنِ الأمورُ فَلَن أغضَبَ أَبَدًا.. وَسَأعرِفُ كيفَ آخُذُ حَقّي مِن هَذا الغَنِيِّ الظّالِمِ عِندَما يَغضَب... وَهَذا سَيَحدُثُ بِالتّأكيد..." ثُمَّ وَجَّهَ نادِرٌ كلامَهُ لِصاحِبِ المَزرَعَةِ وَقالَ: "عَظيم... اتَّفَقنا.." وَهَكَذا تَمَّ الاتِّفاقُ بَينَ صاحِبِ المزرَعَةِ ونادِر.

وفي فَجرِ اليومِ التّالي جاءَ صاحِبُ المزرَعَةِ قَبلَ طُلوعِ الشَّمسِ إِلَى غُرفَةِ نادِرٍ وأيقظَهُ مِن نَومِهِ بِعُنفٍ، وَقالَ لَهُ: "اِذهَبِ – الآنَ – فَورًا إِلَى الحَقْلِ... واحصُدِ الزَّرعَ... ولا تَحضرُ هُنا إلاَّ بَعدَ أَن تُظْلِمَ الدُّنيا"

ذَهَبَ نـادِرٌ إلَى الحَقـلِ، وَظَلَّ يَحصُدُ الزَّرعَ تَحتَ أَشِعَّةِ الشَّمسِ المُحْرِقَةِ طَـولَ النَّهار. وَفِي المساءِ رَجَعَ إلَى البيتِ وَهُوَ يَشعُرُ بالتَّعَبِ الشَّديد، فَسَأَلَهُ الغَنِيُّ مُستَنكِرًا: "لماذا رَجَعتَ؟" قالَ نادِرٌ: "غابَتِ الشَّمسُ.. فَجِئتُ.." فقالَ الغَنِيُّ ثائِرًا: "أَلَم أَقُل لَكَ لا تَرجِعْ مادامَ هُناكَ نُور... لَقد غابَتِ الشَّمسُ فِعْلاً... لَكِنَّ القَمَرَ طَلَعَ... وأضاءَ الدُّنيا." تَعَجَّبَ نادِرٌ عندَما سَمِعَ هَذَا الكلامَ، فَقالَ الغَنِيُّ: أَراكَ قَد غَضِبتَ، فَقالَ نادِرٌ: لَم أَغضَبْ .. وَلكِنَّني مُتعَبٌ جِدًّا!" فقالَ الغَنِيُّ بِحدَّة: "اِذهبْ حالاً إلى الحَقلِ، وَأَتِمم عَمَلَكَ كَما اتَّفَقنا.."

ذَهَبَ نادِرٌ إلَى الحَقلِ، وَظَلَّ يَحصُدُ إلَى أَن غابَ القَمَر.. وَبَينَما هُوَ يَستَعِدُّ لِلعَوْدَةِ إلَى البَيْت، بَدَأَتِ الشَّمسُ تُشرِقُ بِنورِها، فاستَأنَفَ نادِرٌ عَمَلَهُ في الحَصاد. وَبَعدَ قَليلٍ سَقَطَ عَلَى الأرضِ مِن شِدَّةِ التَّعَبِ، وَهُوَ يَسُبُّ صاحِبَ العَمَلِ ويَقول: "ما أَسوَأَ عَمَلَكَ!! وما أَردَأَ حَصادَك!! وَما أَقَلَّ الأَجرَ الّذي سَتَدفَعُه لي ... أَيُّها الظالِم!!"

وَلَم يَكَد نادِرٌ يُكمِلُ كَلامَهُ حَتّى سَمِعَ الغَنِيُّ مِن وَرائِهِ يَقولُ: "أَراكَ قَد غَضِبتَ ... سَمِعْتُ كُلَّ ما قُلتَ.. لابُدَّ مِن تَنفيذِ الاتِّفاق الذي تَمَّ بَيْنَنا.. وَبِالطَّبعِ.. أَنا لم أخالِف الاتفاقَ حَتَّى الآن! طَلَبَ الغَنِيُّ مِن نادِرٍ إما أَنْ يَدْفَعَ أَلفَ جُنَيه، وإما أَن يَعمَلَ عِندَهُ عَشرَ سَنَواتٍ بِلا أَجر.

وَجَدَ نادِرٌ نفسَهُ في مأزِق، فَهُوَ لا يَملِكُ الجُنَيهاتِ الألفَ.. وَفي الوقتِ نَفسِهِ هُو لا يَستَطيعُ أَن يَعمَلَ عندَ هذا الرَّجُلِ الظّالِمِ هَذِهِ المُدَّةَ الطَّويلة. فكَّرَ نادِرٌ ثم فَكَّر... وأخيرًا أَجبَرَهُ الغَنِيُّ عَلَى أَن يُوَقِّعَ عَلَى وَرَقَةٍ يَتَعَهَّدُ فيها بِدَفْعِ مَبلَغِ أَلفِ جُنَيهٍ بَعدَ مُدَّةٍ مُعَيَّنَة.

رَجَعَ نادرٌ إلى بيتِهِ حَزينًا مَهمومًا، فَاستَقبَلَهُ أَخوهُ الأَصغَرُ شادي، وَسَأَلَهُ: "كَيفَ الحالُ؟.. هَل وَجَدتَ عَمَلاً جَيِّدًا؟" حَكَى نادِرٌ كُلَّ ما حَدَثَ لَهُ مَعَ الغَنِيِّ صاحبِ المزرَعة، وَما كادَ يَنْتَهي مِن كَلامِهِ حَتَّى قالَ شادي: "لا تَقْلَقْ يا أَخِي... الآنَ جاءَ دَوْرِي لأذهَبَ لِلعَمَل... فَابْقَ – أَنتَ – فِي البَيْت."

ذَهَبَ شادي إلَى هَذا الغَنِيِّ نَفسِهِ لِيَعمَلَ عِندَهُ فِي المَزرَعَة، فَذَكَرَ لَهُ الغَنِيُّ الشَّرطَ الظالِم. قالَ شادي: "سَيَكونُ الاتّفاقُ كَالآتي... إذا غَضِبْتَ - أَنتَ - فَستَدفَعُ لي أَلفَيْن مِنَ الجُنَيهات... أَما إذا غَضِبتُ - أَنا - فَسوفَ أَدفَعُ لَكَ أَلفَ جُنَيه، أَو أُضطَرُّ إلَى العَمَلِ عِندَكَ عَشرَ سَنواتٍ بِلا أَجْر."

ابتَسَمَ صاحِبُ المَزْرَعَةِ ابتسامَةً ماكِرَةً إذ أَنَّهُ متأكِّد مِن أَنَّ هَذا الفَتَى لَن يَتَحَمَّلَ العَمَلَ أَكثَرَ مِن يَومٍ واحِدٍ كما فَعَلَ الأَجيرُ السّابِق، وَقالَ: "أَنا مُوافِق... لَكِنْ احذَر أَن تُخالِفَ الاتِّفاق."

جاءَ الصباحُ وَأَشرَقَتِ الشَّمسُ، وَلَكِنَّ شادي ظَلَّ نائِمًا في سَريرِهِ حَتَّى الظُّهْر. فَدَخَلَ الغَنِيُّ غُرفَةَ شادي وَدَفَعَهُ في كَتِفِهِ لِيوقِظَهُ، ثُمَّ قالَ: "اِسمَع أَيُّها الفَتَى الكَسْلانُ.. نَحنُ الآنَ في مُنتَصَفِ النَّهار ومازِلتَ نائِمًا في سَريرِكِ.. اِنهَضْ بِسُرعَة. وَابدَأ العَمَل." رَفَعَ شادي رَأسَهُ وَتَثاءَبَ في كَسَل وَسَأل: "هَل غَضِبتَ؟" اضْطَرَبَ صاحِبُ المَزرَعَةِ وقالَ: "لا.. أَنا لَم أَغْضَبْ... أَردَتُ فَقَط أَن أخبِرَكَ أَنَّ وَقتَ العَمَلِ في الحَقلِ قَد حانَ." قالَ شادي: "شُكرًا لأَنَّك أَخْبَرْتَني... لا داعِيَ لِلعَجَلَة... سَأَذهَبُ بَعدَ قَليل.."

نَهَضَ شادي مُتَكاسِلاً، وَبَحَثَ عَن حِذائِه، ثُمَّ أَخَذَ يَلبَسُهُ بِبُطءٍ شَديدٍ أَثارَ صاحِبَ العَمَل، فَصاحَ قائِلاً: "أَسْرِعْ قَليلاً وَإلا ضاعَ الوَقت!" اِبتَسَمَ شَادِي وَقالَ بِهُدوء: "أراكَ قَد غضِبتَ .. أَلَيْسَ كذلك؟" قال الغنيُّ: "أَنا لَم أغضَبْ يا فَتَى... وَلَكِنّي أَردَتُ أَن أَقولَ لَكَ إننا قَد نَتَأخَّر. فقالَ شادي: "كُنتُ أَظُنُّ أَنَّك غَضِبتَ... إنما أَنا أُذَكِّرُكَ - فَقَط - بالاتِّفاق الَّذي بَينَنا!!"

لَبِسَ شادي حِذاءَهُ، ثُمَّ سارَ نَحوَ الحَقلِ بِخُطواتٍ بطيئَة. وَصَلَ شادي الحقلَ وَقتَ الغَداء. اِلتَفَتَ شادي إلى صاحِبِ المَزرَعَةِ وَقالَ: "لَيسَ هَذا وَقتَ الحَصاد... اُنظر حَولَكِ ... جَميعُ المُزارِعينَ يَتنَاوَلونَ الغَداءَ الآنَ... هَيّا نَتَناوَلْ خَعامَنا مِثلَهُم... وَبَعدَ ذَلِكَ نَبْدأُ العَمَل.."

جَلَسَ شادي وَصاحِبُ العَمَلِ يَتناوَلان الغَداءَ. قالَ شادي: "الآنَ... وَقَد مَلأنا البُطونَ بالطَّعام اللَّذيذ.. يَنبَغي أَن نَغفُوَ قَليلاً... فالنَّومُ يُعيدُ قُوانا..

وَيُجدِّدُ نَشاطَنا." تَمَدَّدَ شادي فَوقَ العُشبِ الأخضر، وَراحَ في نَومٍ عَميقٍ حَتَّى المَساء. فَصَرَخَ صاحِبُ العَمَلِ في يَأسٍ وَضيق: "أَيُّها الفَتَى الكَسْلانُ... اِنهَضْ فوراً.. فالشَّمس غَابَتْ.. وَأَوشَكَتِ الدُّنيا أَن تُظْلِم.. وَالفلّاحون حَولَنا قد اِنتَهَوْا مِنَ الحَصاد... وَبَقِيَ حَقلُنا كما هُوَ... لَو استَمْرَرْتَ عَلَى هَذا النَّحوِ فَسَوفَ يَفسَدُ المحصولُ وأُفْلِس.."

ما كادَ شادي يَسمَعُ هَذا الكَلامَ حَتَّى رَفَعَ رأسَه قائلاً: "آه... أراكَ غَضِبْتَ!" فَأجابَ الغَنِيُّ بِسُرعة: "لا.. أَنا لم أَغضَب.. كُنتُ أقولُ إنَّهُ قد حانَ وَقتُ الرُّجوعِ إِلَى البَيت.. لَقد أَظلَمتِ الدُّنيا". فَقالَ شادي: "هَذا مَوضوعٌ آخَر.. هَيّا نَرجِعْ إِلَى البَيْت.. لا تَنسَ اتِّفاقَنا... فالوَيلُ لِمَن يَغضَب." ثُمَّ رَجَعَ الاثنان إِلَى البيت.

في تِلكَ اللَّيلةِ جاءَ بَعضُ الضُّيوفِ، فَأَرسَلَ صاحِبُ المَزرَعَةِ إِلَى شادي، وَطَلَبَ مِنهُ أَن يَذبَحَ خَروفاً، فَسَأَلَهُ شادي: "وأيُّ خَروفٍ أَذبَحُه؟!" قالَ الغَنِيُّ: "اِذبَح ما يَقَعُ تَحتَ يَدِكَ."

خَرَجَ شادي لِيُنَفِّذَ أَوامِرَ سَيِّدِه.. وَبعدَ قَليلٍ حَضَرَ أَحَدُ الخَدَمِ مُسرعًا إِلَى صاحِبِ العَمَل، وَقالَ وَهُو يَلهَثُ: "مُصيبةٌ! كارثةٌ لَقَد ذَبَحَ شادي القَطيعَ بِأَكمَلِه.. ذَبَحَ جَميعَ الخِرفان.." تَرَكَ صاحِبُ المَزرَعَة ضُيوفَه في هَلَعٍ، وَجَرَى نَحوَ حَظيرةِ الأَغنام، وَرَأَى جَميعَ الخِرفان مَذبوحَةً... فَأَخَذَ يَضرِبُ عَلَى صَدْرِه، وَيَشُدُّ شَعْرَهُ، وَيَصيحُ: "يا مُصيبَتي؟! ماذا فَعَلتَ أَيُّها الأَحمَق؟ لَقد خَرَبْتَ بَيْتِي.." أَجابَ شادي في هُدوء: "أَمَرْتَني أَن أَذبَحَ مِنَ الخِرفان ما يَقَعُ تَحْتَ يَدِي.. فَنَفَّذْتُ أَوامِرَك... لَم يَستَطِعْ خَروفٌ واحِدٌ أَن يَهرُبَ مِني... فَذَبَحتُها جَميعًا كَما طَلَبتَ.. وَلَكِن.. يَبدو أَنَّكَ قَدْ غَضِبْتَ.." قالَ الغَنِيُّ وَهُوَ يَكادُ يَنفَجِرُ مِنَ الغَيظ: "لا.. لا .. لَم أَغضَبْ.. وَلَكِن حَرامٌ أَن تَذبَحَ كُلَّ هَذا القَطيع.." عِندَئِذٍ قَالَ شَادِي وَهُوَ يَبتَسِم: "مادُمْتَ غَيْرَ غاضِبٍ مِنّي فَسَأَبقَى في خِدْمَتِكَ يا سَيِّدي.!"

أَخَذَ صاحِبُ المزرَعَةِ يُفكِّرُ في طَريقَةٍ تُخَلِّصُهُ مِن هَذا الأَجيرِ المُزعِج، وَقالَ لِنَفسِه: "سَبَقَ أَن اتَّفَقْنَا عَلَى أَن يَعمَلَ الأَجيرُ حَتَّى صياحِ طائِرِ الكوكو في

الرَّبيع.. إلاّ أَنَّنا الآنَ في فَصلِ الشِّتاء ومازالَ هُناكَ وقتٌ طَويلٌ حَتَّى يأتِيَ الرَّبيعُ.. فَما الحَلّ؟" فَكَّرَ صاحِبُ المزرعَةِ وَفَكَّرَ حَتَىّ اهتَدَى إلَى حيلَةٍ ماكِرَة.. أَخَذَ زَوجَتَهُ إلَى الغابَةِ المُجاورَة، وأَصعَدَها شَجَرَةً عالِيَةً، وَطَلَبَ مِنها أَن تَصيحَ كَما يَصيحُ طائِرُ "الكوكو" وَرَجَعَ إلَى البَيتِ وَقالَ لشادي: "أَنا ذاهِبٌ إلى الغابَةِ لِلصَّيدِ... فَتَعالَ مَعي.."

دَخَلَ الاثْنَان الغابَةَ.. وَبَعدَ قَليلٍ سَمِعَا: "كو.. كو.. كو.. قالَ صاحِبُ العَمَلِ في لَهفَة: "اِسمَع.. هَذا طائِرُ الكوكو... عَظيم.. لَقَد جاءَ الرَّبيعُ... أَهنِّئُكَ... لَقد انتَهَت مُدَّةُ خِدمَتِكَ عِندي.."

فَهِمَ شادي أَنَّ في الأَمر خِدعَةً، فَقالَ لِلغَنِيّ: "هَذا أَمرٌ غَريب.. أَمِنَ المَعقول أَن يَصِيحَ طائِرُ الكوكو في فَصلِ الشِّتاء؟! يَنبَغِي أَن أَتَأَكَّدَ مِن هَذا الأَمرِ بِنَفسي." بَحَثَ شادي عَن مَصدَرِ الصَّوتِ، وَصَوَّبَ بُنْدُقِيَّتَهُ تِجاهَ الشَّجَرَةِ وَقالَ: "الصَّوتُ قادِمٌ مِن تِلكَ الشَّجَرَة... سَأَقتُلُ هَذا الطائِر، فَوْرًا"

جَرَي صاحِبُ العَمَلِ نَحوَ شادي وَهُو يَصيحُ: "لا تُطلِقِ النّار.. تَوَقَّف.. لا تُطلِقِ النّار.. يا رَبّي! ما هَذِهِ المُصيبَةَ التي حَلَّت بي.. هَذا الفتَى سَيَدفَعُني لِلجُنون.." قالَ شادي بِهُدوء: "هَل غَضِبتَ؟" أَجابَ الغني: "نَعَم.. نَعَم.. غَضِبتُ.. وَكَفَى... يَنْبَغي أَن نَنْتَهِيَ مِن هَذِهِ المُشكِلَةِ فورًا... خُذْ حَقَّكَ... وارحَل عَنّي.."

أَخَذَ شادي أَلفَيْنِ مِنَ الجُنَيهاتِ مِن صاحِبِ المَزرَعَةِ، ثُمَّ دَفَعَ لَهُ أَلفَ جُنَيهٍ وَأَخَذَ مِنهُ الوَرَقَةَ الَّتي وَقَّعها أَخوهُ نادِر، وَرَجَعَ إلَى قَرْيَتِهِ سَعيدًا يَحمِلُ الجُنَيهاتِ الأَلف. وَعِندَما قابَلَ أخاهُ قَدَّمَ لَهُ الوَرَقَةَ الَّتي كانَ قد وَقَّعهَا لِصاحِبِ المَزْرَعَةِ، ثُمَّ جَلَس شادي يَحكي لِنادِرٍ ما حَدَثَ.. وَظَلاَّ طَوالَ اللَّيلِ يَضْحَكَان..

٣٧- الطِّفلُ الَّذي عَلَّمَ القاضي

أرادَ التّاجِرُ عبدُ السَّلام السَّفَرَ مِن دِمَشْقَ إلى مَكَّةَ لِلحَجّ، فباعَ بِضاعَتَه وَدُكّانَهُ. وأَخَذَ مَعَهُ كُلَّ ما يَحتاجُ إليهِ في سَفَرِه. وَتَبقّى مَعَهُ مبلغُ ألفِ دينارٍ مِنَ الذهب. أحضرَ عبدُ السَّلامِ جَرَّةً مِنَ الفَخّار، وَوَضَعَ فيها الدَّنانيرَ الذَّهبيةَ، ثُمَّ وَضعَ فوقَها زَيْتُونًا، وَسَدَّ الجَرَّةَ جَيِّدًا بِغِطاءٍ مُحكَم، وَحَمَلها إلى صاحِبِه التاجِرِ رضوان، وعَرضَ عليه أن يَضَعَها أمانَةً عِندَه، لحِين عَوْدَتِه مِن الحجَ.

أَعْطَى رِضوانُ مِفْتَاحَ المخزنِ لِعبدِ السّلام، وقالَ: "اِذْهَب إلى مَخْزَنِي، وافتَح بابَه، وَضَعْ جَرَّتَك في المكانِ الذي تَختارُه، وتأكَّد أنها سَتكونُ في أمانٍ حَتَّى تَعودَ مِن سَفَرِك، وَتَأخُذَها مِنَ المكانِ الّذي تَرَكتَها فيه." وضَعَ عبدُ السّلام جَرَّتَهُ في المَخزن، وأعادَ المِفتاحَ إلَى رِضْوَان، وَانْصَرَف.

سَافَرَ عبدُ السّلام إلى مَكَّةَ لِلحَجّ، وَأَقامَ هُناكَ سَبعَ سَنَوات. وذاتَ يومٍ انتَهَى كُلُّ ما في بَيتِ التاجِرِ رضوان من زيتون، وَتَذَكَّر جَرَّةَ الزّيتون التي في مَخزَنِه، فَحَدَّثَتهُ نَفسُه أن يذهَبَ وَيأخُذَ مِنَ الجَرَّة قَليلاً مِن الزّيتون. ظَنَّ رِضوانُ أَنَّ صاحِبَها عَبدَ السَّلام لَن يَعُودَ إلى دِمَشق، وَوَجَد الزّيتونَ تَالِفًا لا يَصلُحُ لِلأكل، وَمَدَّ يَدَهُ داخِلَ الجَرَّة، فَوَجَدَ الدنانيرَ الذهبيّة.أَخَذَ التاجِرُ رِضْوَانُ الدَّنانيرَ الذّهبية لِنَفْسِهِ، وَخَبَّأَها في مَكانٍ أمين، ثُمَّ ذهَبَ إلى السّوق، واشتَرى زَيتونًا جَديدًا، وَمَلأَ بِهِ الجَرَّة، وَسَدَّها بِغِطائِها، وَوَضَعَها في مَكَانِها كَمَا كَانَتْ.

مَرَّ شَهرٌ علَى ذَلِك، وعادَ عَبدُ السَّلام مِن سَفرِهِ الطَّويلِ إلَى دِمشق. وفي اليومِ التّالي لِوُصولِهِ ذَهَبَ عَبدُ السَّلامِ إلى صاحِبِه التاجرِ رضوان لمقابَلَتِه، ولما رآهُ التاجِرُ أظهَرَ الفَرَحَ بِعَودَتِه،وَهَنَّأَهُ بِرُجوعِهِ سالِمًا مِن هَذَا السَّفَرِ الّطويل.

خَلَبَ عَبدُ السَّلام جَرَّتَهُ، فَأَعطاهُ رِضوانُ المِفتاحَ. ذَهَبَ عَبدُ السّلامِ إلى المخزنِ وَأَخَذَ جَرَّتَهُ، وذَهَبَ بِها إلى بَيتِه. ولما فَتَحَها وَبَحَثَ فيها، لَم يَجِد دَنانيرَهُ الذَّهَبَيَّة. حَزِنَ عَبدُ السّلام وَعَجِبَ مِن خِيانَةِ صاحِبِه التاجِرِ رِضْوان.

رَجَعَ عَبدُ السّلامِ إلى رِضْوَان، وأَخْبَرَهُ باختِفاءِ الدَّنَانِير، وَخَلَبها مِنه. رَفَضَ التاجِرُ رِضوان أن يُعيدَ إلَى عَبدِ السَّلام الدَّنانيرَ الذَّهبِيةُ، وقالَ إنَّهُ لَم يَرَها، وَلا يَعرِفُ عَنها شَيئًا.

تعَجَّبَ عَبدُ السَّلامِ من التاجِرِ الخائِن، وَذَهَبَ إلَى قاضي دِمَشقَ لِيَشْكُوَهُ. أَرسَلَ القاضي جُنودَه في خَلَبِ التّاجِرِ رِضوان، فأحضَرَهُ الجُنودُ إلَى القاضي.

دَخَلَ التاجِرُ رِضوانُ فَرَأَى عَبدَ السَّلامِ واقِفًا أَمامَ القاضي في اِنتِظارِه.قالَ عبدُ السَّلام: "هَذا هُوَ التاجِرُ الذي سَرَقَ نُقودي." خَلَبَ رِضوانُ مِنَ القاضي أَن يَسأَلَ عبدُ السَّلام إن كانَ عِندَهُ شُهود. قالَ عبدُ السَّلام: "لا". عِندئذٍ قالَ رِضوان: "هَذا الرجلُ كَذّاب. لَقَد أَعْطَيْتُه المِفتاحَ لِيَضَعَ الجَرَّةَ بِنَفسِهِ في المَخْزَن، ولما عادَ وَجَدَها مَكانَها كما تَرَكَها".

حَكَمَ القاضي بِبَراءَةِ رِضوان، لِأنَّ عبدَ السّلام لَيسَ عِندَهُ دَليلٌ ولا شُهود. خَرَجَ رِضوانُ مَسرورًا بِبَراءَتِه. غَضِبَ عبدُ السّلامِ وكَتَبَ شَكوَى إلَى الخليفةِ ذَكَرَ فيها ما حَصَلَ لَهُ الخَليفةِ أن يخرُجَ في بَعضِ اللَّيالي مَعَ وزيرِهِ ويتَنَكَّران في مَلابِسِ التُّجّار.

خَرَجَ الخليفةُ معَ وَزيرِهِ في تِلكَ الليلة، سَارَا في المدينة، حَتَّى وَصَلا إلَى خَريقٍ بهِ لَخفالٌ يَلعَبون. دُهِشَ الخليفةُ والوَزيرُ عِندَما سَمِعا الأخفالَ يمثّلونَ قضيةً عَبدِ السَّلام وصاحِبِهِ التاجِرِ رِضوان، الّذي خَانَ الأمانَة، وسَرَقَ الدَّنانيرَ الذَّهَبِيّة. وكانَ أَحَدُ الأخفالِ يقومُ بِدَورِ القاضي. سَمِعَ الخليفةُ والوَزيرُ المُحاكَمَةَ كَامِلَةً. وتَعَجَّبَ الخليفةُ كيفَ استطاعَ القاضي الصغيرُ أن يُثْبِتَ التُّهمَةَ علَى التاجِرِ رِضْوان، وَيُرجِعَ إلى عَبدِ السَّلامِ مالَهُ المسروق؟!

خَلَبَ الخَليفَةُ أَن يَحضُرَ عَبدُ السَّلامِ وَرِضوانُ والغُلامُ في الغَدِ إلى القَصْر، لِيُكَرِّرَ ما فَعَلَهُ هَذا القَاضِي الصَّغيرُ في المُحَاكَمَة. وَخَلَبَ الخليفةُ إحْضَارَ القَاضِي الّذي حَكَمَ في القَضِيّة، وَخَلَبَ – أيضًا – أكبرَ تُجّارِ الزَّيْتونِ في دِمَشقَ يَحضُرَ المُحاكَمَة.

وفي اليَوْمِ التَّالِي كانَ الخَليفَةُ جالِسًا في قاعَةِ المَحْكَمَة بالقَصْر، وَبِجِوارِهِ القاضي وتاجِرُ الزيتون والغلامُ الذكَيّ. وبَعدَ قَليلٍ دَخَلَ عبدُ السَّلام وَمَعَهُ التاجِرُ رضوان. قال الخَليفةُ: "كُلٌّ مِنكُما يَذكُرُ شَكواهُ ودِفاعَهُ أمامَ هَذا الغُلام، فَهُوَ الّذي يَحكُمُ بَينكَما اليوم. وإذا لم يَقْدِرْ، حَكَمْتُ أَنا بَينَكُما."

قَصَّ عَبدُ السَّلام شَكواه، وَذَكَرَ التاجِرُ رضْوانُ دِفاعَه. ولَمّا أَرادَ رضْوانُ أَن يُقسِمَ باللهِ عَلَى بَراءَتِهِ مِن تِلكَ التُّهمَةِ سَأَلَهُ الغُلامُ عَن جَرَّةِ الزَّيتون، فَأشارَ رضوان إليها.

خَلَبَ الغُلامُ زَيتونَتيْن مِن الزيتون الذي في الجَرَّة. أَعطَى الغُلامُ الخَليفةَ زَيتونةً لِيذوقَها، وقَدَّمَ الأُخرَى لِتاجِرِ الزَّيْتُون لِيَذُوقَها.

أَكَّدَ تاجِرُ الزَّيتونِ أَنَّ الزَّيتونَةَ الّتي ذاقَها مِنَ الزَّيتون الجَديدِ الّذي أُنتجَ هَذا العامَ، وأَنَّ الزَّيتونَ يَكونُ صالِحًا لِلأَكلِ مُدَّةَ سَنَتَيْن أو ثلاثَ سَنَواتٍ عَلَى الأكثَر، وبعدَ ذَلِكَ يَفسَدُ وَيَكونُ غَيرَ صالِحٍ لِلأَكل.

أَرسَلَ الخليفَةُ رضوانَ وَمَعَهُ الحُرّاسُ لِيَأْتُوا بالصُّندوق الأَسوَدِ الَّذي فيهِ الدَّنانير الذَّهَبِيّة. رَدَّ الخليفَةُ المالَ إلَى صاحِبِهِ.وأَمَرَ للغُلامِ بِمائةِ دينارٍ مُكافَأَةً لَهُ علَى ذَكائِهِ وحُكمِهِ العادِل.

اعتَذَرَ القَاضي، واعترَفَ أمامَ الخليفةِ أَنَّهُ تَعَلَّمَ الكَثيرَ مِن هَذا الغُلامِ الذَّكِيّ. ثُمَّ التَفَتَ الخليفةُ إلَى رضْوانَ وقالَ: "أَمّا أَنتَ أيُّها اللصُّ الخائِن، فَقَد حَكَمْنا بِأَن تَقْضِيَ بَقِيَّةَ حَياتِكَ في السِّجنِ جَزاءَ خِيَانَتِكَ الأَمَانَةَ، لِتَكُونَ دَرْسًا لأمثالِكَ مِنَ اللُّصوصِ والخَوَنَة."

شَاعَتْ في دِمَشقَ حِكايَةُ هَذا التاجِرِ الخائِن، الّذي خانَ جارَهُ وَصَديقَهُ عَبدَ السَّلام، والغُلامِ الذّكيِّ الّذي جَعَلَهُ يَعترِفُ بالسَّرِقَة، وانْتَشَرَت الحِكايَةُ – كَذَلِكَ – في البُلْدَانِ المُجاوِرَة، وَأَصبَحَ النّاسُ يَتَنَاقَلُونَها، وَيَحْكِيها الآباءُ لِلأَبناء.

٣٨- الصَّيّادُ والثُّعبان

كـانَ الـصَّيّادُ يَمـشي في الغابَـةِ باحِثًا عَـن حَيَوان يَصطادُهُ بِـرُمْحِهِ، وَصَـلَ الـصَّيّادُ إلى بِئرٍ عَميق. أنـصَتَ الـصَّيّادُ فَسَمِعَ أَصـواتًا غـريبة تَصدُرُ مِنَ البِئر، فَلَخَـلَّ بِرَأْسِهِ فِي فَتحةِ البِئْر، ونادَى: "مَن فِي البِئْر؟" فَسَمِعَ أصواتًا من قاعِ البِئر تقول:"نرجوك أن تساعِدَنا. أَخرِجنا مِن هَذِهِ البِئر، وسَوفَ نُعطيكَ الكَثير."

كـانَ فِي البِئـر فـأرٌ وثُعبانٌ ونَمِرٌ ورَجُل. سَقطوا فيها ولم يستطيعوا الخُروجَ لأَنَّهـا عَمـيقةٌ وَجَوانِبُها ناعِمَـة قـالَ لَهُـمُ الـصَّيّادُ: "وَلِماذا أُساعِدُكُم؟ إنَّ الفَأرَ يَسرِقُ الطّعـامَ مِـن مَخازِنـي، والثُّعـبانَ يَلْدَغُـنَا فَـنموت، والنَّمِـرَ يَقـتُلُ ماشِيَتَنا وَيُخيفُ أَخفالَنا. إنَّ كانَ عَلَيَّ أَن أنقِذَ واحِدًا مِنكُم فَلَنْ أُنقِذَ إلاّ هَذا الرّجُل."

أَخَـذَت الحَيَوَانَاتُ الثلاثَةُ تَرجو الصَّيّادَ وَتَستَعْطِفه، وَوَعَدَتهُ بِأَنَّها لَن تُؤْذِيَه، وأنهـا سَتُعطيهِ الكـثيرَ مِـنَ الهَدايا إذا هُوَ أنقذَها، فَوافَقَ فِي النّهايةِ. قَطَعَ الصَّيّادُ غُـصنًا خَـويلاً مِـن شَـجَرة، وَرَبَطَـهُ بِحَبلٍ قَـويّ، وَأَنـزَلَهُ فِي البِئـر. تَسَلَّقَ الرجلُ الغُصْنَ وَخَرَجَ مِنَ البِئر. وتَبِعَهُ الفَأرُ والثُّعبانُ والنَّمِر.

استأذَنَت الحَيَوَانَاتُ الثلاثَةُ الصَّيّادَ أَن تَذهَبَ وَتُحضِرَ لَهُ الهدايا التي وَعَدَتهُ إياها، أَما الرّجُلُ فقالَ لِلصّيّاد: "أَنا رَجُلٌ فَقيرٌ لَيسَ عِندي ما أَرُدُّ به جميلك."

كـان الـصَّيّادُ خَـيِّبَ القَلـب، فَأَخَذَ الرّجُلُ مَعَهُ إلَى بَيتهِ، وَأَطعَمَه، وَسَمَحَ لَهُ بِالنَّوم في منـزِله. وفي صَباحِ اليومِ التّالي جاءَ النمرُ إِلَى بَيتِ الصَّيّادِ، وقالَ لَهُ: "تَفَـضَّلْ هذا الغَزال. لقد اِصطدتُه لَك. وَسَوفَ أَصطادُ لَكَ كُلَّ يَومٍ مِنَ الغابَة وآتِيكَ بالّلحم كُلَّ لَيلة."

فَـرِحَ الـصَّيّاد، لأنَّـه كـانَ لا يَـستطيعُ أن يَـصطادَ حَـيوانًا كُـلَّ يَـومٍ بِقَوْسِـه وَرُمْحِه. وَفَّي النَّمِرُ بما وَعَد، وأَخذَ يُحضِرُ لَهُ سَمينًا، وَكانَ الطَّعامُ يَزيدُ دائِمًا عَن حاجَةِ الصَّيّادِ والرَّجُلِ الّذي مَعَه.

بَعدَ أُسبوعٍ وَصَلَ الثُّعبانُ أَمـامَ بَيتِ الـصَّيّاد، وقالَ: "لَقَد أَنقذتَ حَياتي، وأَحضرتُ لَـكَ شَيئًا سَوف تحتاجُهُ في يَومٍ مِنَ الأيّام وَسَوفَ يُنقِذُك. إنَّهُ دَواءٌ

قَـويّ، إذا خَلَطْتَهُ بِدَمِ إنسان غـادِرٍ فإنَّـهُ يَـشْفِي كُـلَّ مَـن يَلدَغُـهُ ثُعبان." أَخَذَ الصيّادُ الدّواءَ مِن الثُّعبانِ وشَكَرَه، وَوَضَعَهُ في مكانٍ أَمين.

وبعدَ أيّامٍ أُخَر، جاءَ الفَأرُ يَجُرُّ حَقيبةً صغيرةً قدْ رَبَطَها بِحبل، وَوَقَفَ أمامَ الـصّيادِ وَقـالَ لَـه: "لَقـد وَعـدتُكَ بِهَدِيَّـةٍ لأنَّـكَ أنقَـذتَ حياتـي. هَـذِهِ بعـضُ المُجَوهَراتِ جَمَعتُها لَكَ في أثناءِ مُروري خِلالَ دِيارِ القُرَى البَعيدة، خُذها فَهيَ لَك."

شَكَرَ الـصَّيّادُ الفَـأْرَ، وَعِـندَما فَتَحَها وَجَـدَها مَمْلـوءَةً" بِالـذَّهَبِ والفِـضّةِ واللآلِئ والجَواهِر، صـاحَ الـصَّيّادُ بِأعلَى صَوته، وَقـالَ لِلـرَّجُلِ الّـذي أنقَـذَه: "الآنَ. صِرْتُ غنِيًّا." بـاعَ الـصيادُ المجوهـراتِ الّـتي وَجَـدَها في الحَقيبة، وَبَنَـى لِنَفسِهِ بَيتًا جَميلاً فرشَهُ بِأغلى الأثاثِ والمفروشات.

أَصبَحَ الـصَّيّادُ والـرَّجُلَ الّـذي أنقـذَهُ صَـديقَيْن، وعاشـا معًـا عيشةَ الأغنياء. وَبَـدَلاً مـن أَن يَـشكُرَ الـرَّجُلُ الـصَّيّادَ عَلَى حُسنِ المُعامَلَة شَعَرَ نَحوَهُ بالحِقْـدِ والحَسَد، وقَرّرَ أن يؤذِيَهُ.

وَذاتَ يَـومٍ، أَرسـلَ حـاكِمُ القُـرَى المجـاوِرَةِ جُـنودَهُ لِيبحَـثوا في المديـنةِ عَـنِ اللُّصوصِ الّذين سَرَقوا المالَ والمُجَوهراتِ مِن قَصره، وَأَعلَنَ عَن مُكافَأَةٍ كَبيرَةٍ لِمَن يُرشِدُ عَن السّارق أو يَقبِضُ عَلَيه. أَسرَعَ الرَّجُلُ إِلَى الحاكِمِ وَقالَ لَهُ: "أَنا أَعرِفُ مَن سَرَقَ أَموالَكَ وَمُجَوهَراتِك إنَّهُ الصَّيّادُ الّذي أَعيشُ في بَيتِهِ. لَقَد بنَى قَصرًا فَخمًا.. تعـالَ مَعي لِتَرَى كَيفَ استطاعَ صَيّادٌ فَقيرٌ أَن يَبنِيَ مِثلَ هَذا البَيتِ العَظيم. لابُدَّ أَنَّهُ هُوَ اللِّصُّ الّذي سَرَقَ مالَكَ وَمُجَوْهَراتِك."

ذَهَبَ الحاكِمُ إِلَى بَيتِ الصَّيّاد، وَعِندَما رَأَى ما هُوَ فيه مِن غِنى، طَلَبَ مِن جُنودِهِ أَن يُحضِروا لَهُ الصَّيّادَ، وَسَأَلَهُ: "مِن أَينَ لَكَ كُلُّ هَذِهِ الثَّروَة؟" حَكَى الـصَّيّادُ كَـيفَ أَنقَـذَ الـرَّجُلَ وَالنَّمِـرَ وَالثُّعـبانَ والفَـأر. وَشَـرَحَ لَـهُ كَـيفَ أَنَّ الحَـيواناتِ كَافَأَتْـهُ عَلَـى عَطفِـهِ عَلَـيها وَإنقاذِهـا، أَمّـا الـرَّجُلُ فَقَـد أَتَـى لَـهُ

بالْمُشْكِلات. ضَحِكَ الحاكِمُ وَمَن مَعَهُ وَقالَ: "يا لَها مِن قِصَّةٍ عَجيبة لَكِنْ سَوفَ نَضَعُكَ في السِّجن. اِسجِنوه."

في هَذِهِ اللَّحظَةِ جاءَ أَحَدُ حُرّاسِ قَصرِ الحاكِمِ مُسرعًا، وَقالَ: "لَقَد لَدَغَ ثُعبانٌ اِبنَكَ الكَبير، وَهُوَ هُناكَ بَين الحياةِ والمَوْت." طَلَبَ الصَّيّادُ مِنَ الحاكِمِ أَن يَدخُلَ المَنْزِل، لِيُحضِرَ هَدِيَّةَ الثُّعبان وقالَ: "أنا مُتأَكِّدٌ أنَّ الدَّواءَ سَيشفِي ابنَكَ بِإِذن الله." سَمَحَ لَهُ الحاكِمَ، فَدَخَلَ الصَّيّادُ بَيتَهُ وَأَتى بِالدَّواءِ في الحال. وَقالَ: "لابُدَّ أَن يَختَلِطَ الدَّواءُ بِدَمِ إنسان غادِر."

أَمَرَ الحاكِمُ بِأَن يُجْرَحَ الرَّجُلُ الَّذي أَنقَذَهُ الصَّيّاد، فهُوَ إِنسانٌ غادِرٌ بِحَقّ، وَخُلِطَت نِقاطٌ مِن دَمِهِ بِالدَّواء.

وَضَعَ الصَّيّادُ الدَّواءَ المخلوطَ بالدَّمِ عَلَى مَكانِ لَدْغَةِ الثُّعبان. وَبَعدَ وَقتٍ قَصير بَدَأَ ابنُ الحاكِمِ يُفيقُ مِن مَرَضِه، وتُستَرَدُّ صِحَّتُهُ وَيُنقَذُ مِنَ المَوت. وَعَرَفَ الجَميعُ أَنَّ الصَّيّادَ صادِقٌ في كَلامِه.

طَرَد الحاكِمُ ذَلِكَ الرَّجُلَ الخائِنَ خارِجَ المَدينة، وَأَعطَى الصَّيّادَ الهَدايا الغالِيَة. عادَ الصَّيّادُ إِلَى بَيتِهِ الجَميلِ، وعاشَ فيهِ في سَلامٍ وَسَعادَةٍ سَنَواتٍ طَويلَة.

٣٩- المَلِكُ وَبِنتُ صاحِبِ الحَمّام

كـانَ لأَحَـدِ الـرِّجالِ حَمَّامٌ، وَكانَ يَجلِسُ وَراءَ الصُّندوق يأخُذُ الأُجْرَةَ مِنَ المُسْتَحَمّين، وَذاتَ يَوم دَخَلَ الحَمّامَ رَجُلان في زيٍّ التُّجّار، وَبَعدَ أَن اِستَحَمّا، قَـدَّمَ لَـهُ أَحَـدُهُما قَبْـضَةً مِـن ذَهَـبٍ، وَقَـدَّمَ الآخَـرُ قَبـضَةً مِـن فِـضَّةٍ أُجـرَةً لِلاستِحمام، ثُمَّ خَلَبَا مِنهُ تَفسيرَ ذَلِكَ. قَرأَ وَأَمْهَلاَهُ ثَلاثَة أَيّام.

اِضـطَرَبَ صـاحِبُ الحَمّام وَحـارَ في الأَمـر. مـا مَعنَـى هَذا كُلِّهِ؟ وَكانَت لَهُ بِنتٌ وَحيدَةٌ اسمُهـا شَـمسُ رَأَت حَيْـرَتَهُ واضطِرابَهُ، فَسَأَلَتهُ عَمّا بِهِ، فأخبَرَهَا. فكَّـرَتْ شَـمسٌ قَليلاً، وقَالَـت لَهُ: "الأَمرُ بَسيطٌ جِدًا يا أَبي. فأَمّا الّذي أَعطاكَ الذَّهَبَ فَهُوَ المَلِكُ، وَأَمّا الّذي أعطاكَ الفِضَّةَ فَهُوَ الوَزيرُ"

حَـضَرَ الـرَّجُلان بَعـدَ ثَلاثَـةِ أيـام مُتَنكِّـرِيْن، وكـانَ صـاحِبُ الحَمّـامِ في انتِظارهما، وَأَخبَـرَهُما بالجَواب فَسُرّاً مِن إجابَتِهِ ثم قالَ لَهُ المَلِك: "لَدَيّ بَعضُ الأَسئِلَةِ أُريـدُكَ أَن تُجيبَ عَنها. مـا الـواحِدُ لا يَـصيرُ اثنَـيْن؟ ومـا الاثـنان لا يصيران ثَلاثَـةً؟ ومـا الثَّلاثَةُ لا تَـصيرُ أربَعَةً؟ وما الأَربعَةُ لا تَصيرُ خَمسَةً؟ وما الخَمـسَةُ لا تَـصيرُ سِتَّةً؟ ومـا الـسِّتَّةُ لا تَـصيرُ سَبعَةً وما السَّبعَةُ لا تَصيرُ ثَمانِيَةً؟ ومَـا الثَّمانيَةُ لا تَـصيرَ تِـسْعَةً؟ وما التِّسعَةُ لا تَصيرُ عَشرةً؟ ومَا العَشرَةُ لا تَصيرُ أَحَدَ عَـشَرَ؟ ومـا الأَحَـدَ عَـشَرَ لا تَـصيرُ اثنَـي عَـشَرَ؟ ومـا الإثـنا عَشَرَ لا تصيرُ ثَـلاثَـةَ عَشَرَ؟ " وَأَمهلاهُ ثَـلاثَـةَ أَيّامٍ لِلإجابَةِ عَن هَذِهِ الأَسئِلَة.

أَسـرَعَ صاحِبُ الحَمّامِ إِلَى ابنَتِه، وَهُوَ يَخْشَ أَلاّ تَعرِفَ الجَواب. وَذَكَرَ لَها الأَسئِلَةَ. اِبتَسَمَت شَـمْسٌ وَقالَـت: "هَـذِهِ أَسئِلَةٌ... الجَوابُ عَنها سَهْلٌ يَسير.. الـواحِدُ لا تَـصيرُ اثنَـيْن هُـوَ اللهُ. والاثـنان لا تـصيران ثَلاثَـةً هما اللَّيلُ والنهارُ، والـثلاثَةُ لا تـصيرُ أربَعَـةً القَـسَمُ بـالطَّلاق، والأَربَعَـةُ لا تَـصيرُ خَمـسَةً الخُلفـاءُ الرّاشِـدونَ، وَالخَمـسَةَ لا تَـصيرُ سِتَّةً أَوقاتُ الصَّلاة، وَالسِّتَّةُ لا تَصيرُ سَبعَةً أَيّامُ شَـوّالَ الـسِّتَّةُ، وَالـسَّبعَةُ لا تَـصيرُ ثَمانيةً أَيـامُ الأُسبوع، والثَّمانِيَةُ لا تَصيرُ تِسعَةً كَلـبُ أَهـلِ الكَهـفِ فَهُـوَ ثامِـنُهُم، والتِّـسعَةُ لا تَـصيرُ عَـشرةً أَشـهُرُ الحامِـلِ،

والعَشَرَةُ لا تصيرُ أَحَدَ عَشَرَ الرّجالُ المُبَشَّرونَ بالجَنَّةِ، وَالأَحَدَ عَشَرَ لا تَصيرُ اثنَيْ عَشَرَ هُم إخوَةُ يوسُف، والاثنا عَشَرَ لا تَصيرُ ثَلاثَةَ عَشَرَ شُهورُ السَّنَة."

خَلَبَ الأَبُ مِن ابنَتِهِ أَن تُعيدَ عَلَيهِ الجَوابَ مَرّاتٍ لَكِنَّهُ لَم يَتَمَكَّن مِن حِفظِه. عِندَئِذٍ خَلَبَ مِنها أَن تَكتُبَ لَهُ الجَوابَ عَلَى وَرَقَة.

حَضَرَ المَلِكُ وَوَزيرُهُ إِلَى الحَمّامِ في الموعِدِ، فَأعطاهُ صاحِبُ الحَمّامِ الجَوابَ مَكتوبًا عَلَى وَرَقَة. قَرَأَ المَلِكُ الجَوابَ وَسُرَّ بِه، ثُمَّ سَأَلَهُ: "مَنْ صاحِبُ هَذِهِ الأَجوِبَة؟" فَقالَ لَهُ صاحِبُ الحَمّامِ إنَّها ابنَتُهُ شمْسٌ. عَرَضَ المِلِكُ على صَاحِبِ الحَمَّام أن يَخطُبَ ابنَتَه شَمسَ لابنِهِ الأَميرِ ظافِر.

فَرِحَ صاحِبُ الحمّام، واستَأذَنَ المَلِكَ في أَن يَذهَبَ إِلَى ابنتِهِ لِيُشاوِرَها في الأَمر قالَت شَمسُ: "سَأُوافِقُ - يا أبي - بِشَرط أَنْ يُحضِرَ لي المَلِكُ الأَرضَ الّتي لَم تُدَسْ، والقَمَرَ الّذي لم يُخسَفْ، والنُّجومَ الَّتي لم تُعَدّ."

رجَع صاحِبُ الحَمّامِ إِلَى المَلِكِ، وَذَكَرَ لَهُ ما خَلَبَتْهُ ابنَتُه، فَوَعَدَهُ المَلِكُ بِذَلِك. وَفي اليَومِ التّالي. أَرسَلَ المَلِكُ لِلعَروسِ بِسلخًا جَديدًا مَطويًّا، هُوَ الأَرضُ الّتي لَم تُدَسْ، وَصينيةً مِن فِضَّةٍ، هِيِ القَمَرُ الّذي لم يُخسَفْ، وَقَد مُلِئَتْ بالقِطَعِ الذَّهَبِيَّةِ، وَهِيَ النُّجومُ الَّتي لَم تُعَدّ.

حَمَلَ البِساطَ وَالصّينيَّةَ خادِمان مِنَ القَصر هُما سَعدٌ وَمَسعود. وَصَلَ الاثنان إِلَى بَيتِ صاحِبِ الحَمّام، وَدَقّا البابَ. أَجابَتِ شَمسٌ بِأَنَّها مشغولَةٌ، وَخَلَبَتِ مِنهُما أَن يَنتَظِرا حَتَّى تَنزِلَ إِلَيْهِمَا. تَأَخَّرَتِ الفَتاةُ بَعضَ الوَقت، وَراحَتِ تُراقِبُهُما مِن نافِذَةٍ فَوقَ بابِ الدّار لِتَرَى ماذا سَيَصْنَعَان. بَعدَ قَليلٍ مَدَّا البِساطَ عَلَى الأَرضِ وَقَعَدا عَلَيْهِ. وَوَضَعَا الصّينيَّةَ أمامَهما عَلَى الأَرضِ وَبَدَأَا في عَدِّ القِطَعِ الذَّهَبِيَّةِ، ثُمَّ أَخَذَ كُلٌّ مِنهُما بَعضَ القِطَعِ وَوَضَعَها في جَيبِهِ.

نَزَلَت شَمسٌ، وَفَتَحَتَ لَهُما البابُ، وَدَعتهُما إلى إدخال ما يَحمِلان إلَى الدّار. ثُمَّ خَلَبَت مِن سَعدٍ ومَسعودٍ أَنْ يَشكُرا المَلِكَ، وَيُخبِراهُ أَنَّ الأَرضَ قَد دِيسَتْ، وَأَنْ القَمَرَ قَد خُسِفَ، وَأَنَّ النُّجومَ قَد عُدَّتْ وَنَقَصَتْ.

رَجَعَ الخادِمان إلَى المَلِكِ، وَأخبَراهُ بِما قالَتِ الفَتاةُ، فَأَمَرَ جُنودَهُ بِوَضْعِهِمَا فِي السِّجن. سَأَلَ الخادِمانِ المَلِكَ عَنِ السَّبَبِ فَقالَ: "هَل فَرَشتُما البِساطَ؟ وَعَدَدتُما القِطعَ الذَّهَبِيَّة وَسَرَقتُما مِنها؟ خَجِلَ الخادِمان واعتَرَفا بِما فَعَلا.

أُعجِبَ المَلِكُ بِذَكاءِ الفَتاة. وَلَيلَةَ الزِّفافِ أَقامَ المَآدِبَ، وَدَعا كِبارَ القَومِ وَعُظَماءَهُم، وقالَ لابنِهِ الأمير ظافِر: "الآنَ أَنا مُطمَئِنٌ عَلَى مُستَقْبَلِ البِلادِ، فَعَمَّا قَرِيبٍ سَتَصِير الملكَ، وستَكُون إلى جَانِبِكَ مَليكَةٌ ذَكِيَّةٌ عاقِلَة."

٤٠- الأَخَوان

شامِخٌ وصابِرٌ أَخَوان. شامِخٌ غَنِيٌّ وَلَيسَ عِندَهُ أبناء وصابرٌ فَقيرٌ وَلَدَيهِ سِتَّةٌ مِنَ الأبناء. اقتَرَبَ العيدُ، وَلَم يَكُن فِي بَيتِ صابِرٍ خَعامٌ ولا مال. قالَت زَوجَةُ صابِر: "جاءَ العيدُ، والأَبناءُ مُحْتاجُونَ لِمَلابِسَ جَديدَةٍ وخَعام. وَلَيس لَدَينا قِرْشٌ واحِد - كما تَعرِف. اِذهَبْ - يا صابر - إلى أخيك شامِخٍ ولخلُب مِنهُ بَعضَ المال."

ذَهَبَ صابِر إِلَى أخيهِ شامِخ - وَهُوَ يَعرِفُ بُخْلَهُ الشَّديدَ - وَفَعَلَ كما قالَت زَوْجتُهُ. لَكِنَّ شامِخًا رَفَضَ أن يُعطِيَهُ شَيئًا، وادّعَى أَنَّهُ صارَ فَقيرًا وليس عِندَهُ مالٌ يَكفيه.

أَخَذَ صابِرٌ زَوجَتَهُ وَأبناءَهُ، وَخَرَجَ يَبحَثُ عَن عَمَل. سارَتِ الأُسرَةُ خَويلاً دونَ فائِدَة. تَرَكَ صابِرٌ أَولادَه ينامون تَحتَ شَجَرَة، واصطَحَبَ زَوجَتَه، لِيُواصِلَ البَحثَ عَن عَمَل. سارَ الاثنان خَويلاً حَتَّى تَعِبا. ولَمّا يَئِسا مِنَ العُثورِ عَلَى العَمَل عادا إِلَى المكانِ الّذي تَرَكا فيه أَبناءَهُما،وَلَكِنَّهُما فوجِئا بِأَنَّ عَدَدَ الأَبناءِ قد زادَ واحِدًا.

أَيقَظَتِ الأُمُّ أَبناءَها لِتَعرِفَ مَن هَذا الشَّخص الزائِد. فَجأَةً وَقَف لَهُما شَخصٌ غَريبٌ ضَخمُ الجُثَّة، فَسَأَلَهُ صابِر: "مَن أَنتَ؟" فأجابَ: "أنا الفَقْرُ." اِنزَعَجَ صابِرٌ وَقال: "الفَقر كَيفَ أَتيتَ وَراءَنا وَقَد هَرَبنا مِنك؟" قالَ الفَقر: "أَنا أعرِفُ أَنَّكَ قَد خَرَجْتَ تَبحَثُ عَن عَمَل. في تِلكَ الضَّاحِيةِ مُزَارِعٌ كَبير. اِذهَب بِجِوارِ مَزرَعَتِهِ، وَاحفِر تُرعَةً تَأخُذُ الماءَ مِنَ النَّهرِ القَريبِ، وَتَنقُلُهُ إِلَى مَزرَعَتِهِ. وَسَوف يُكافِئُكَ صاحِبُ الأَرضِ مُكافَأَةً عَظيمَة."

سَمعَ صابِرٌ كَلامَ الفَقر، وَأَسرَعَ إِلَى المزرَعَة، وَراحَ يَحفِرُ التُّرعَةَ بِكُلِّ نَشاطٍ وَهِمَّة، بَينَما وَقَفَ الفَقرُ قَريبًا مِنهُ يُلاحِظُهُ وَيُراقِبهُ. تكوّنت بِجِوارِ التُّرعَةِ أَكوامٌ كَثيرةٌ مِنَ التُّراب. فَكَّرَ صابِرٌ أَن يَدفِنَ الفَقرَ بِالتُّراب. وَبَعدَ أَن

فَعَلَ ذَلِك، جاءَ بِحَجَر كَبير، وَوَضَعَهُ فَوقَ الكَوْمَةِ حَتَّى لا يَصعَدَ الفَقرُ مِن بَينِ التُّرابِ وَيَعودَ إلَيهِ مَرَّةً أُخرَى.

وَبينَما كانَ صابرٌ يرفَعُ الحَجرَ، عَثَرَ عَلَى كَنزٍ ثَمينٍ. وَبَعدَ أَن دَفَنَ الفقر، أَخَذَ الكَنزَ، وعادَ يَحمِلُهُ مَعَ زَوْجَتِه إلى أَولادِه. وَبَنَى بَيتًا جَميلاً لَهُ حَدِيقَةٌ واسِعةٌ، وعاشَ فيه هُوَ وأُسرَتُه.

عَلِمَ شامِخٌ بما حَدَثَ لأخيه، وَعَرَفَ أَخبارَ غِناهُ وَثَروَتِهِ الكَبيرة. فَذَهَبَ لِزيارَتِه – ذاتَ يَوم – لِيعرِفَ السِّرّ. فقالَ لَه صابِر: "إنْ شِئتَ أَنْ تَعرِفَ السَّبَب، فاذهَب إلَى كَومَةِ التُّرابِ الَّتي هُناك، وارفَع الحَجَرَ والتُّرابَ، وعِندَ ذَلِكَ تَعرِفُ السِّرّ."

أَسرَعَ شامِخٌ إلَى كَوْمَةِ التُّراب، وَرَفَع الحَجَرَ مِن فَوقِها، ثُمَّ بَدَأَ يُزيلُ التُّراب. فَجأَةً قَفَزَ الفَقرُ وَوَقَفَ أَمامَه، وَأَمسكَ بِمَلابِسِهِ وَخَنَقَه. خافَ شامِخٌ، وحاوَلَ أَن يُخَلِّصَ نَفسَه وَسَأل: "مَن أَنتَ؟ فأجابَهُ: "أَنا الفَقر." فَصاحَ بِهِ شامِخ: "اُتْرُكْنِي – أَكادُ أَختَنِق." فَرَدَّ الفَقرُ قائِلاً: "لَقَد دُفِنتُ هُنا مُنذُ زَمَن، وَأَتَيْتَ وَأَيْقَظْتَني، وَلا مَفرَّ مِن أَنْ أظَلَّ مُمسِكًا بِخِناقِكَ بَقِيَّةَ عُمْرِك"

٤١- قُرصُ العَسَل

بَينَما كانَ الأَسَدُ يَمُرُّ بَينَ الأَشجار، شاهَدَ خَلِيَّةَ نَحلٍ فَوقَ فَرعِ شَجَرَة. وكانَ النَّحلُ يَطيرُ لِيَجمَعَ العَسَل. وَقَفَت نَحلَةٌ فَوقَ أَنفِ الأَسَد، وَأَرادَ أَن يَضربَها لِيَطرُدَها فَلَسَعَتْهُ وَفَرَّتْ هاربةً. تَأَلَّمُ الأَسَدُ وَزَأَرَ في غَضَبٍ شَديدٍ، وقالَ بِصَوتٍ قَويّ: "أَيُّها النَّحلُ الجَبان. سآتي بِشُعلَةِ نَارٍ، وَأحرِقُ الشَّجَرَةَ وَخَلِيَّتَكُم، وَخَعامَكُم، وَعَسَلَكُم، وَكُلَّ شَيء."

قالَ النَّحلُ: "لا. لا تَفعل ذَلِكَ يا مَلكَ الغَابة. نَحنُ آسفون، وَهَذا خَطَأٌ لَن يَتَكَرَّر. سَنكونُ سُعَداءَ جِدًّا لو أَخَذتَ هَذا القُرْصَ مِنَ العَسَل هَدِيَّةً مِنّا."

فَرِحَ الأَسَدُ بِقُرصِ العَسَل، وَوَضَعَهُ تَحتَ شَجرَةٍ قَريبةٍ من النَّحلِ وَقال: "سَأَترُكُهُ هُنا، وآخُذُهُ وَأَنا راجِعٌ إلَى البَيتِ." سارَ الأَسَدُ في خَريقهِ داخِلَ الغابَة. بَعدَ قَليلَ وَصَلَ الأَرنَبُ وَزَوجَتهُ إلَى المَكان. نَظَرَت أُنثَى الأَرنَبِ إلَى قُرصِ العَسَل، وَقالَت: "اُنظُر. ماذا هُناك... قُرصٌ كامِلٌ مِنَ العَسَل.. ما أَلَذَّ خَعْمَهُ"

قَفَزَ الأَرنَبُ والأَرنَبَةُ نَحوَ قُرصِ العَسَل، وَأَخَذا يأكُلان في سَعادَة. أَكَلا.. وَأَكَلا حَتَّى آخِرِ قِطعَةٍ فيه. وَانصَرَفا وَهُما يَمْسَحَان شِفَاهَهُمَا وَيَضحَكان. بَعدَ وَقتٍ قَصيرٍ عادَ الأَسَدُ إلَى المكانِ وَلَم يَجِد قُرْصَ العَسَل. سَأَلَ في غَضب: "أَينَ قُرصُ العَسَل؟"

قالَ لَه النَّحلُ مِن فَوقِ الشَّجَرَة: "جاءَ الأَرنَبُ وَزَوجَتُهُ وَأَكلاهُ كُلَّه." ثارَ الأَسَدُ وَقال: "ماذا؟ أَحقًّا فَعلا ذَلِك؟ سيكونُ هَذا آخِرَ خَعامٍ يَأكُلانِه: أَينَ بَيتُهما؟ تَكَلَّموا. لابُدَّ أَن أَنتَقِم مِنهما." قال النحلَ: نَحن لا نَعرفُ بَيتَهما."

غادَرَ الأَسَدُ المكان، وَأَخَذَ يَسأَلُ كُلَّ مَن يُقابِلُهُ في خَريقِهِ عَن بَيتِ الأَرْنَبِ. لَكِنْ لَم يَجِد أَحدًا يَدُلُّهُ عَلَيه. غَضِبَ الأَسَدُ وَزَأَرَ زئيرًا عاليًا سَمِعَهُ كُلُّ مَن في الغابة. حَضَرَ فَأرٌ كَبير، وَقالَ لِلأَسَدِ: "أَنا أعرِفُ مَكانَ الأَرْنَبِ، هُوَ يَعيشُ في جُحْرٍ فَوقَ ذَلِكَ التَّلّ."

جَرَى الفَأرُ بِسرُعَةٍ لِيُنَبِّهَ الأرنَب وَزَوجَتَهُ مِن خطَرِ الأسَدِ الغاضِب، وَأَخبَرَهُما أَنَّهُ قادِمٌ لِيَنتَقِمَ مِنهما. أَسرَعَ الأرنَبُ وَزَوجَتُهُ بالفِرار إلى مكانٍ بَعيد، واختَفيا تَحتَ أَوراق الأشجارِ الجافَّة.

بَعدَ قَليلٍ مَرَّ الأسَدُ بجانِبها. انتظَرَ الأرنبُ حَتَّى واصَلَ الأسَدُ سَيْرَه، وقالَ لِزَوجَته: "اِنتَظِريني هُنا. سَوفَ أَتَتَبَّعُ خُطواتِ الأسَد حَتَّى أَعرفَ بَيتَه. سارَ الأرنَبُ خَلفَ الأسَد، وَعَرَفَ مَكانَ بيتِه. دَخَلَ الأسَدُ عَرينَه لِيَستَريح. قالَ الأرنَبُ لِنَفسِه: "هاهُوَ ذا الأسَدُ داخِلَ بَيتِه". اقتَرَبَ الأرنَبُ مِن عَرينِ الأسَدَ وَنادَى: "مَن بِالبَيت؟" اِنتَظَرَ الأرنبُ قَليلاً لَكِنَّهُ لَم يَسمَع رَدًّا.

وَقَفَ الأسَدُ وَراءَ الباب، وَنَظَر مِن فَتحَةٍ فيه، فَرَأَى الأرنَبَ، وَقالَ لِنَفسِهِ: "سَيكونُ هَذا الأرنَبُ غَدائِي بَعدَ لَحَظات." نادَى الأرنَبُ مَرَّةً أُخرَى: "مَن بالبيت؟" لَم يَسمَع الأرنَبُ أَيَّ رَدٍّ مِنَ الأسَد وَقالَ: "عَجيب. لا أَحَدَ يَرُدّ. ماذا حَدَث؟ عِندَما كُنتُ آتي كُلَّ يَومٍ إِلَى البَيتِ، وَأَسأَل: "مَن بالبَيت؟" وَلا يَكونُ فيه أحدٌ، كُنتُ أَسمَعُ مَن يَقول: "أَهلاً بِك، تَفَضَّل ادخُل. وَلَكِنَّهُ – اليومَ – لا يَقولُ شَيئًا. أَنا أعتقدُ أَنَّ هُناكَ غَريبًا فِي البَيْت."

سَمِعَ الأسَدُ كَلامَ الأرنَبِ مِن خَلفِ الباب، وقالَ لِنَفسه: "مادامَ الأمرُ كَذَلِك. فَلابُدَّ لي أَن أُجيبَ". قالَ الأرنَب: "يَبدو أَنَّ هَذا المنزلَ صارَ أَصَمَّ لا يَسْمَعُ. يَنبَغي أَن أَرفَعَ صَوتي." ثُمَّ نادَى بِأعلَى صَوتِه: "مَن فِي البَيْتِ؟" وفي هَذِهِ المَرَّةِ، أَجابَ الأسَدُ قائِلا: "أَهلاً بِك. تَفَضَّلْ ادخُل." ضَحِكَ الأرنَبُ وقالَ: أَيُّها الأسَدُ الغَبِيّ. أَأَنتَ فِي انتظِاري لِتُمسِكَ بي. هَل سَمِعتَ بَيْتًا يَتَكَلَّم؟!"

قَفَزَ الأرنَبُ هارِبًا، وَاختَبَأَ تَحتَ الشُّجيراتِ القَصيرَة. اندَفَعَ الأسَدُ خارِجًا مِنَ البَيت، وَجَرَى يَبحَثُ عَن الأرنَبِ فِي كُلِّ مَكان وَلَكِنَّهُ لَم يَجِده. وكانَ يَقولُ لِنَفسِهِ فِي غَضَبٍ وَغَيْظٍ: "كَيفَ يَسخَرُ أَرنَبٌ صَغيرٌ مِنَ الأسَدِ مَلِكَ الغابَة؟!!"استَمَرَّ الأسَدُ فِي البَحثِ طَويلاً حَتَّى تَعِب، وَقَرَّرَ أَن يَعودَ إِلَى العَرين

وَكُلَّما قابَلَ أَحَدًا في طَريقِهِ كانَ يَقولُ لَه: "إذا رَأَيتَ الأَرنَبَ، فَأَخبِرهُ أَنّي سَآكُلُه لَو أَمسَكتُ بِهِ."

اِختَبَأَ الأَرنَبُ وَزَوجَتُه عَن عَيْنَي الأَسَد فَترَةً مِنَ الزَّمَن، وَكانَتِ الأَرنَبَةُ خائِفَةً عَلَى زَوجِها. فَقالَ لَها: "لِطَمئِنّي يا زَوجَتي. سَيَنسَى الأَسَدُ ما حَدَثَ لَهُ سَريعًا، وَسَنَعودُ إِلَى بَيتِنا قَريبًا."

٤٢- العِملاقُ والمِزمارُ

يُحْكَى أَنَّهُ فِي قَديمِ الزّمان.. كانَ يُطِلُّ عَلَى إحْدَى القُرَى جَبَلٌ كبيرٌ.. بِهِ يَنْبوعٌ يَتَدَفَّقُ مِنْهُ الماءُ العَذْبُ بلا تَوَقُّفٍ ولا انْقِطاعٍ، فَيَشْرَبُ المُزارِعُون، وَيَرْوُونَ حقولَهم، وَيَسْقونَ ماشِيَتَهُم.

وكانَتْ فِي القريةِ فتاةٌ جميلةٌ، ذاتُ شَعرٍ طَويلٍ أَسْوَدَ لامِعٍ.. وكانَتْ نَشيطَةً.. تعْمَلُ لَيْلاً وَنَهارًا.. تحمِلُ الماءَ إلى بَيْتَها، وتَجْمَعُ الحَطَبَ، وَتُرَبّي الماشِيَةَ، وتَزْرعُ الخُضْرواتِ. وكانَ أهَالِي القريةِ يُحِبّونَها، ويَذْكُرونَ دائِمًا صفاتِها الحميدةَ، وَيَمْدَحونَ خُلُقَها الطيِّبَ.

لكنْ.. فجأةً.. تَوَقَّفَ الماءُ عَنِ التدفُّقِ من العَيْن.. فَجَفَّتِ الأرضُ وتَشَقّقتْ، وَذَبُلَ الزرْعُ، وكادَ يموتُ... واضْطُرَّ أَهْلُ القريةِ أَنْ يَمْشوُا مَسافةً طَويلةً لِجَلْبِ الماءِ مِنْ نَهْرٍ صَغيرٍ.. بَعيدٍ عَنِ القَرْيَة.

وكانَتِ الفتاةُ تَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ إلى النهرِ البعيدِ لتملأَ إناءَ الماء، ثم تَصْعَدُ أَحدَ الجبالِ، وتجمعُ الأعشابَ لِتُطْعِمَ بِها المواشِيَ.

وذاتَ يومٍ حَمَلَتِ الفتاةُ سَلَّةً كبيرةً، وذهبَتْ إلَى جَبَلٍ بَعيدٍ – يُسَمّيهِ الناسُ الجَبَلَ الأَسودَ – وَراحَتْ تَصْعَدُ نَحْوَ قِمَّةِ الجبلِ، وَهُناكَ وَقَعَتْ عَيْنُها عَلَى جَزَرَةٍ كبيرةٍ، يظهرُ جزءٌ منها فوقَ الأرضِ. فقالَتْ فِي نفسِها:

"ما أكبَرَ هذه الجَزرةَ! وما أَجْمَلَها! لِماذا لا آخُذُها إلَى البيْتِ"

تَسَلَّقَتِ الفَتاةُ الجَبَلَ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى مَكانِ الجَزَرَةِ بَعْدَ تَعَبٍ. وانْتَزَعَتْها مِنَ الأَرْضِ بِقُوَّةٍ .. وَكانتِ المُفاجَأَةُ! وَجَدَتِ الفتاةُ الماءَ يَتَدفَّقُ مِنْ مَكانِها.

فَرِحَتِ الفتاةُ وَهِيَ تَرَى الماءَ يَخْرُجُ بِقُوَّةٍ... لَكِنَّها دُهِشَتْ عِنْدَما طارَتِ الجَزَرَةُ مِنْ يَدِها وَعادَتْ إِلَى مكانِها وَسَدَّتِ الفَتْحَةَ.. فَتَوَقَّفَ الماء.

فجأةً... هَبَّتْ رياحٌ شديدةٌ...وَأَحَسَّتِ الفتاةُ بالأرضِ تَهْتَزُّ تحتها.. ورأتْ عِملاقًا ضَخمًا يخرجُ مِنْ كَهْفٍ كبيرٍ في الجَبَلِ.. اقتربَ العِملاقُ مِن الفتاةِ.. وقال لها مُهَدِّدًا: "إياكِ أَنْ تبُوحِي بِسرِّ هذه العَيْنِ لأَحَدٍ... واعْلَمِي أَنَّكِ إنْ

قُلْتِ شيئًا عَنْ عَيْنِ الماءِ لأَحَدٍ... فَسَأَقْتُلُكِ" انصَرِفي الآنَ فورًا وَلا تَعودي إلَى هَذا المكان مَرّةً أُخْرَى"

نَزَلَتِ الفَتاةُ خائِفَةً مِنَ الجَبَلِ.. وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تنظُرَ خَلْفَها حَتَّى لا تَرَى العِمْلاقَ الضَّخْمَ.. وَعادَتْ إلى بَيْتِها.. لَمْ تَجْرؤْ الفتاةُ أَنْ تُخْبِرَ أحَدًا بِسِرِّ العَيْنِ.. وعاشَتْ حَزينةً متألِّمةً.. وَهِيَ تنظُرَ إلى الزَّرْعِ الذابِلِ، وإلَى أَهْلِ قريتِها وَهُمْ يَسيرون المسافاتِ الطويلةَ – كُلَّ يومٍ – لِيَجْلِبوا الماءَ مِنَ النَّهر.. اشْتَدَّ حُزْنُ الفتاةِ ... وَأَخَذَتْ تَضْعُفُ وَتَضْعُفُ وَبَدَأَ شَعْرُها يَبْيَضُّ.. حَتَّى صارَ كالأَعْشابِ الذّابِلَةِ..

مَضَتِ الأيّامُ.. وساءَ الحالُ.. وقالَتِ الفتاةُ في نَفْسِهَا: "الأَرْضُ تَتَشَقَّقُ، والزرعُ يذبُلُ ويموتُ.. والأهالي يكاد يَقْتُلُهُمُ العَطَشُ.. إلى مَتَى أَظَلُّ أَكْتُمُ السِّرَّ؟ إلى مَتَى سأَعيشُ جَبانَةً وخائِفَةً مِنَ العِمْلاقِ الشِّرير؟!!"

عِنْدَئذٍ قَرَّرَتِ الفتاةُ أَمْرًا...

خَرَجَتِ الفَتاةُ إِلَى شَوارِعِ القَريَةِ، وَنادَتْ بأَعْلَى صَوْتِها: "أَيَّها الناسُ.. هُناكَ عَيْنُ ماءٍ في أَعلَى الجَبَلِ الأَسْودِ.. تَعالَوْا سأَدُلُّكُمْ عليه" سارتِ الفتاةُ وَمِنْ خَلْفِهَا أَهْلُ القريةِ يَحْمِلونَ الأَوانِيَ الكبيرةَ، وَوَصَلَتْ إِلَى الجَبَلِ الأَسْوَدِ، ثُمَّ خَلَبَتْ مِنْهُم الانتظارَ وَصَعدتِ الجَبَلَ، وتوجَّهَتْ إِلَى مَكانِ الجَزَرَةِ الكبيرة، واقْتَلَعَتْها بِقُوَّةٍ، وَأَلْقَتْ بِها مِنْ أَعْلَى الجَبَلِ، وَصاحَتْ في أَهْلِ القريةِ: "مَزِّقُوا تِلْكَ الجَزَرَةَ بِسُرْعَةٍ.. أَسْرِعوا بِتَقْطِيعِها."

تَجَمَّعَ المزارعونَ عَلَى الجَزرةِ وقَطَّعوها قِطَعًا صَغيرةً.. وتدفَّقَ الماءُ مِنَ العَيْنِ نازِلاً إِلَى سَفْحِ الجَبَلِ... وَأَخَذَ أهلُ القريةِ يَمْلأُونَ الأَوانِيَ بِالماءِ وَهُمْ سُعَداءُ فَرِحُون.

انْشَغَلَ المزارعونَ بالماءِ الَّذي بَدَأَ يَشُقُّ طَريقَهُ إِلَى القَرْيَةِ. وسارُوا مَعَهُ... فقد كانَ كُلٌّ منهم يريدُ أن يَرْوِيَ حَقْلَهُ بالماء.. فَنَسَوْا الفتاةَ.

خَرَجَ العِملاقُ مِنَ الكَهْفِ، وَسارَ بِخطواته الطويلةِ نَحْوَ الفتاة. وقال لها بِغَضَبٍ: "عَصَيْتِ كلامِي؟! هَذِهِ نِهايَتُكِ." قَالَت الفَتَاةُ بِشَجَاعَةٍ: "أُفَضِّلُ الموتَ في سبيل حياةِ قريتي وأَهْلِها.. هيا اقْتُلْنِي."

اغتاظ العملاقُ وقال: "لَنْ أَدَعَكِ تَموتِينَ ميتةً سَهْلةً.. سَأُقَيِّدُكِ بِالسَّلاسِلِ وَأَضَعُكِ في خريقِ الماءِ.. وَأَتْرُكُكِ هكذا حتى تَمُوتِي.."

اكْتَشَفَ المُزارعونَ أنَّ الفتاةَ لَيْسَتْ بَيْنَهُم.. وَبَحَثُوا عَنْها في كُلِّ مَكان فَلَمْ يَجِدُوها. وكانَ في القَرْيةِ شيخٌ كبيرُ السِّنِّ، فقالَ للناس: "لابُدَّ أَنَّ عِمْلاقَ الجَبَلِ الأَسْوَدِ حَارِسُ العَيْنِ قَدْ أَخَذَها.. يَجِبُ أَنْ نُنْقِذَها مِنْهُ.. لَقَدْ ضَحَّتْ بِنَفْسِها في سَبيلِنا... لكنْ .. احْتَرِسُوا.. فما مِن أَحَدٍ يستطيعُ الاقترابَ مِنْ ذَلِكَ المكان لأَنَّ العِمْلاقَ الشِّرّيرَ سيفتِكُ به.. لكنّ الحَلَّ أنْ يَنْجَحَ أَحَدُكُمْ في الحُصول عَلَى مِزْمارِ راعِي وَادِي الشَّمْسِ.. فَهُوَ الشَّيْءُ الوَحيدُ الذي يَغْلِبُ ذَلِكَ العِمْلاقَ.."

قفَزَ مِنْ بَيْنِ المزارعين شابٌّ قَوِيٌّ وقالَ للشيخ: "يا شيخَنا صِفْ لي مكانَ وادِي الشمسِ وَأَنا أُحْضِرُ المِزمارَ.. وَأُنْقِذُ الفتاةَ مِنْ يَدِ العملاق" قالَ الشَّيخُ: "أيها الفتَى الشجاعُ أخْرُجْ مِنَ القرية.. وسِرْ حَتّى تَقْطَعَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جبلاً.. بَعْدَها سَتَجِدُ واديَ الشمسِ وَهُناكَ قابلِ الراعِيَ وأعطِهِ خاتَمي هَذا.. ولخْلُبْ مِنْهُ المِزْمارَ الذي يَغْلِبُ العِملاقَ وَهُوَ سَيُعْطيكَ إياهُ في الحال"

أَسْرَعَ الشابَّ يُسابِقُ الرِّيحَ، وَقَطَعَ المسافةَ في ثلاثةِ أيّامٍ... أَخيرًا وَصَلَ إِلَى وادِي الشمسِ.. وَهُناكَ قابَلَ الراعِيَ وأعطاهُ الخاتَمَ وَخَلَبَ المِزْمَارَ. قالَ الرّاعِي لِلشّابِّ: "يُمكِنُكَ أَنْ تنتصِرَ عَلَى العِملاق بِهذا المِزمار.. غَيْرَ أَنّ حياةَ الأَمْنِ والسَّلامِ تَتَوَقَّفُ عَلَى جُهودِ أَهْلِ القَرْيَةِ جَميعًا وَتَعاوُنِهم." ثم ناوَلَهُ المِزمار.

بَدَأَ الشّابُّ رحلةَ العَوْدةِ.. وَعِنْدَما وَصَلَ إلى الجَبَلِ الأسودِ وَجَدَ أَهْلَ القَريَةِ يَنْتَظِرونَ. خَلَبَ مِنْهُم الشابُّ أَنْ يَبْقَوْا مكانَهُمْ حَتّي يَطْلُعَ الجبلَ.. وَيُقابِلَ العِمْلاقَ.. وَلاَ يَصْعَدوا إِلاّ بَعْدَ أَنْ يَسْمَعوا صَوْتَ المِزْمارِ.

أَخَذَ الشابُّ مَعَهُ فَأْسًا، وَصَعِدَ الجبلَ.. حَتّى وَصَلَ قُرْبَ المغارةِ شَعَرَ العِملاقُ بالشابِّ فَخَرَجَ مِنَ المغارَةِ ثائرًا.. بَدَأَ الشابُّ يَعْزِفُ عَلَى المِزْمار، فَلَمْ يَتَحَمَّلِ العملاقُ أَنْ يَسْمَعَ صَوْتَ المِزْمارِ.. وسَدّ أُذُنَيْهِ بِأصابِعِهِ.. وَفَرَّ هارِبًا.

أَيْقَظَتْ أَنغَامُ المِزمارِ الفَتاةَ.. ففَتَحَتْ عَيْنَيْهَا.. وَقَطَعَ الشابُّ السَّلاسِلَ بالفَأْسِ.. وَفَكَّ قُيودَها.. سَمِعَ أَهْلُ القريةِ المِزْمَارَ فَصَعِدُوا الجبلَ وَوَصلُوا إلى مَكانِ العَيْنِ.. وَفَرِحُوا عِنْدَما وَجَدُوا الفتاةَ حَيَّةً.. وَقَدْ بَدَأَ شَعْرُها يَعودُ إليْهِ لَونُهُ الأَسْوَدُ الجَميلُ.. شَكَرَ أَهلُ القريةِ الشابَّ البطلَ لأَنَّهُ أَنْقَذَ فَتاتَهُمُ المَحْبوبَةَ.. ثُمّ قالَوا لَها: "أَنْتِ فتاةٌ طَيِّبةٌ وَشُجاعةٌ.. لَنْ نَنْساكِ أَبَدًا..وَسَنَظَلُّ نَحْكِي قِصتَكِ لأولادِنا.. ما دُمْنا نشرَبُ مِنْ هَذا الماءِ السَّلْسَبيلِ!!"

ثم نَزَلَ الجميعُ إلى القَريةِ.. وعاشُوا في أَمْنٍ وَسَلامٍ.

٤٣- اللُّصوصُ الثَّلاثَة

اِشتَرَكَ ثلاثَةُ لُصوصٍ فِي سَرِقَةِ النّاسِ مُدَّةً مِن الزَّمَن. وكانوا يَجتَمِعون فِي نِهايةِ كُلِّ يَومٍ فِي كَهفٍ فِي الجَبَلِ بعيدٍ عنِ النّاس، لِيُحْصُوا ما سَرَقوه، وَيُخبِّئوه فِي مكانٍ أمين. حَتَّى تجمَّعَ لَديهم مالٌ كَثير.

وفِي إحدَى اللَّيالي اِتَّفَقَ الثَّلاثَةُ عَلَى أن يَتَوَقَّفوا عَنِ السَّرِقَةِ بَعضَ الوَقت، وَيَستَريحوا حَتَّى يَبتَعِدوا عَن عُيونِ الشُّرطَة. كانَ الثَّلاثَةُ يَشعُرون بِالجوع. فَأرسَلوا أَحَدَهُم إلَى المدينةِ القَريبة، لِيَشتَرِيَ لَهُم طَعامًا يَأكُلونَه.

وَبَعدَ أَن سارَ اللِّصُّ – الّذي ذَهَبَ لإحضارِ الطَّعام – قَليلاً، قالَ لِنَفسِه: "هَذِهِ فُرصَةٌ مناسِبةٌ لأَتَخَلَّصَ مِن زَميلَيّ الاثنَيْن، فَتُصبِحَ الأَموالُ كُلُّها لي أَنا وَحدي" وَبَعدَ أَن اشتَرَى الطَّعامَ، تَوَجَّهَ إِلَى أَحَدِ العَطّارين، واشتَرَى مِنه سُمًّا، وَوَضَعَهُ فِي الطَّعام.

وبينما كانَ اللِّصان الآخَران فِي انتِظارِ زَميلَيْهِمَا الثّالث. قالَ أَحَدُهُما للآخَر: "ما رأيُك؟ عِندَما يَحضُرُ زَميلُنا نَهجُمُ عَلَيهِ وَنَقتُلُه، وَبَدَلاً مِن أَن نُقَسِّمَ المالَ عَلَى ثلاثةٍ نُقَسِّمُهُ عَلَى اثنَين." وَوَافَقَ الزَّميلُ عَلَى الفِكرَة.

وَصَلَ اللِّصُّ مِنَ السّوق حامِلاً الطَّعام. اِنتَظَرَ اللِّصان الآخَران حَتَّى وَضَعَ زَميلُهُما الطَّعامَ عَلَى الأَرض، وَهَجَما عَلَيهِ، وَطَعَناهُ بِالسِّكِّين وَقَتَلاه. ثُمَّ جَلَسَ الاثنان يَأكُلان الطَّعامَ المَسموم. بَعدَ قَليلٍ أَخَذَ اللِّصان يَصيحان مِنَ الأَلَم، وَماتا.ماتَ اللُّصوصُ الثَّلاثَةُ وَبَقِيَ المالُ وَحدَهُ فِي الكَهف.

٤٤- حَبُّ الرُّمّان

عَاشَ أَخَوان في كُوخٍ صَغيرٍ مِنَ القَشِّ في إحْدَى القُرَى الهِنْديَّةِ، ولَمْ يَكُنْ لَدَيْهِما غَيْرُ بَقَرَةٍ كَبيرةِ السِّنِّ.. وكانَ الأخُ الصَّغيرُ يُحِبُّها حُبًّا شَديدًا، ويَصْعَدُ الجَبَلَ كُلَّ يوْمٍ لِيَقْطَعَ لَها بَعْضَ الأَعْشابِ لِتَأْكُلَ وتَشْبَعَ.

وَذاتَ يَوْمٍ عادَ الأَخُ الصَّغيرُ مِنَ الجَبَلِ حامِلاً كُومَةً مِنَ الأَعْشابِ، فقالَ لَهُ أَخوهُ الكَبيرُ: "لَقَدْ كَبِرْتَ يا أخي.. وَيَجِبُ أَنْ نُقَسِّمَ مُمْتَلَكاتِ العَائِلَةِ بَيْنَنا."

شَعَرَ الأَخُ الصَّغيرُ بالحُزْنِ الشَّديدِ عِنْدَما سَمِعَ هَذا الكَلامَ.. وَلَكِنَّ أَخاهُ الكَبيرَ صَمَّمَ عَلَى أَنْ يُقَسِّمَ ما يَمْلِكانِ بَيْنَهُما.. وَأَجْبَرَ أَخاهُ الصغيرَ عَلَى المُوافَقَةِ.

عِنْدَئِذٍ قالَ الأَخُ الكَبيرُ: "اسْمَعْ يا أَخِي.. لَيْسَ لَدَيْنا غَيْرُ هَذِهِ البَقَرَةِ... وإذا قَسَّمْناهَا بَيْنَنا سَتَمُوتُ.. لِذَلِكَ سَتَكونُ البَقَرَةُ مِنْ نَصيبي وَحْدِي"

لَمْ يَكُنِ الأَخُ الصغيرُ يَرْغَبُ في أَنْ يُفارِقَ البَقَرَةَ الّتي يُحِبُّها.. لَكِنَّهَ اضْطُرَّ إلى الموافَقَةِ عَلَى طَلَبِ أَخيهِ.

سَحَبَ الأَخُ الكبيرُ البقرةَ وَسارَ بِها سَعيدًا، وَأَخَذَ مَعَهُ كَذَلِكَ خَلِيَّةَ النَّحْلِ... وَتَرَكَ لأَخيهِ الصَّغيرِ نَحْلَةً واحِدَةً.

في أَحَدِ الأَيامِ أَخَذَ الأخُ الصَّغيرُ نَحْلَتَهُ، وَذَهَبَ لِزيارَةِ خالِهِ. وَضَعَ الأَخُ الصَّغيرُ النَّحْلَةَ عَلَى الأَرْضِ ووَقَفَ يُسَلِّمُ عَلَى خالِهِ وَزَوْجَتِهِ، فَجاءَ الدِّيكُ وَأَكَلَ النَّحْلَةَ.. راحَ الأَخُ الصّغيرُ يَبْكِي بِشِدةٍ.. فَسَأَلَتْهُ زَوْجَةُ خالِهِ عَنْ سَبَبِ بُكائِهِ، فَأَخْبَرها بِما حَدَثَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ الكَبيرِ. وَكَيْفَ أَنَّ الديكَ أَكَلَ النَّحْلَةَ التي هِيَ كُلُّ نَصيبِهِ في تَركَةِ العائِلةِ.

تَأَثَّرَتْ زَوْجَةُ خالِهِ، وَقالَتْ لَهُ: "لاَ تَبْكِ يا بُنَيّ.. خُذْ دِيكي مَعَكَ" فَرِحَ الأَخُ الصَّغيرُ بالدِّيكِ،وَأَحَبَّهُ، وتعلَّقَ بِهِ، وَصارَ مُلازِمًا لَهُ كَظِلِّهِ.

جاءَ الشِّتاءُ، واشْتَدَّتِ الريحُ، وَسَقَطَتِ الثُّلوجُ، وَتَهَدَّمَ كُوخُ الأخِ الصَّغيرِ، فَحَمَلَ دِيكَهُ، وَتَوَجَّهَ إِلَى بَيْتِ جارِهِ العَجوزِ، كَيْ يُقيمَ عِنْدَهُ، وَيَحْتَمِي مِنَ العَواصِفِ والثُّلوجِ.

وَعَلَى حِينِ غَفْلَةٍ.. قَفَزَ كَلْبُ جارِهِ عَلَى الدِّيكِ وَأَكَلَهُ. حَزِنَ الأَخُ الصَّغيرُ، وَظَلَّ يَبْكي طُولَ الوَقتِ. ولَمّا سَأَلَهُ جارُهُ العَجوزُ عَنْ سَبَبِ بُكائِهِ قالَ: "لَقَدْ أَكَلَ كَلْبُكَ دِيكي.. وَهُوَ كُلُّ ما أَمْلِكُ فِي هَذِهِ الدُّنيا!!"

رَبَّتَ العجوزُ عَلَى ظَهْرِ الصّغيرِ وَقالَ: "لا تَبْكِ.. سَأُعَوِّضُكَ عَنْ دِيكِكَ بِهذَا الكَلْبِ.. فَهُوَ الآنَ مِلْكٌ لَكَ"

تَوَقَّفَ الأخُ الصغيرُ عَنِ البكاءِ، وَأَخَذَ الكَلْبَ مَعَهُ وعادَ إِلَى كُوخِهِ، وَقامَ بِإِصْلاحِهِ، ثُمَّ بَنَى لِلْكَلْبِ بَيْتًا صَغيرًا قَريبًا مِنْهُ لِيُقيمَ فيهِ وَيَحْرُسَ الكُوخَ.

انْتَهى الشِّتاءُ، وَبَدَأَ الفَلاّحونَ يَحْرُثونَ الأَرْضَ فِي الحُقولِ لِيَزْرَعوهَا... لَكِنَّ الأَخَ الصَّغيرَ جَلَسَ حَزينًا يُفَكِّرُ.

أَدْرَكَ الكَلْبُ سَبَبَ ما يَشْعُرُ بِهِ صاحِبُهُ مِنْ حُزْن، وَقالَ لَهُ بِحَنان: "أَنْتَ حَزينٌ لأَنَّكَ لا تَمْلِكُ بَقَرَةً تَحْرُثُ أَرْضَكَ... لخمَئِنَّ.. سَأُساعِدُكَ فِي حِراثَةِ الأَرْضِ."

فَرِحَ الأَخُ الصَّغيرُ، ونامَ سَعيدًا.

فِي صباحِ اليومِ التالي، أَخَذَ الأَخُ الصَّغيرُ كَلْبَهُ مَعَهُ إِلَى الحَقْلِ، وَرَبَطَهُ فِي المِحْراثِ. وَدُهِشَ عِنْدَما وَجَدَ أَنَّ الكَلْبَ أَسْرَعُ كَثيرًا مِنَ البَقَرَةِ فِي الحِراثَةِ.

انْتَشَرَ فِي القُرى المُجاورَةِ خَبَرُ الكَلْبِ الَّذي يَحْرُثُ الأَرْضَ أَسْرَعَ مِنَ البَقَرِ.. وَعَلِمَ الأَخُ الكبيرُ بالأَمْرِ.. فَسَحَبَ بَقَرَتَهُ العَجوزَ، وَسارَ فِي طَريقِهِ إِلَى أَرْضِ أَخيهِ الصَّغيرِ.

وَصَلَ الأَخُ الكَبيرُ إِلَى حَقْلِ أَخيهِ الصَّغيرِ، فَوَجَدَ الكَلْبَ يَجُرُّ المِحْراثَ، وَيَحْرُثُ الأَرْضَ بِنَشاطٍ. قالَ الأَخُ الكَبيرُ لأَخيهِ الصَّغيرِ: "ما رَأْيُكَ؟.. تأخُذُ بَقَرَتي.. وَتُعْطيني كَلْبَكَ.." كانَ الأخُ الصَّغيرُ يُحِبُّ كَلْبَهُ كَثيرًا، فَرَفَضَ

خَلَبَ أَخِيه. لَكِنَّ الأَخَ الكَبيرَ أَعادَ خَلَبَهُ مَرّاتٍ كَثيرةً.. أَخيرًا وافَقَ الأَخُ الصَّغيرُ وَأَعْطَى أَخاهُ الكَلْبَ، وَأَخَذَ البَقَرَةَ العَجوزَ.

في فَجْرِ اليَوْمِ التّالِي بَدَأَ الأَخُ الكَبيرُ يَحْرُثُ حَقْلَهُ بالكَلْبِ. لَكِنَّ الكَلْبَ رَفَضَ أَنْ يَتَحَرَّكَ. ثارَ الأَخُ الأَكْبَرُ وَضَرَبَ الكَلْبَ بِقَسْوَةٍ لِيُجْبِرَهُ عَلَى الحِراثَةِ. ظَلَّ الكَلْبُ يَعْمَلُ في الحَقْلِ يَوْمًا كامِلاً بِلا راحَةٍ.. حَتَّى تَعِبَ وَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ مَيِّتًا..

اشْتَدَّ حُزْنُ الأَخِ الصَّغيرِ، وَدَفَنَ الكَلْبَ في حَقْلِهِ بِجِوارِ شجرةِ رمان صَغيرةٍ. اهْتَمَّ الأَخُ الصَّغيرُ بِشَجَرَةِ الرُّمّان، وَأَخَذَ يَعْتَنِي بِها كُلَّ يَوْمٍ وَيَسْقيها حَتَّى نَمَتْ بِسُرْعَةٍ. وَلَمْ تَمْضِ عِدَّةُ أَسابيعَ حَتّى أَثْمَرَتْ كَثيرًا مِنْ ثِمارِ الرُّمّان.

وذاتَ يَوْمٍ سَقَطَتْ ثَمَرَةُ رُمّان حَمْراءُ مِنَ الشَّجَرَةِ، فَأَسْرَعَ إِلَيْها الأَخُ الصَّغيرُ وَحَمَلَها، فَبَدَأَتْ تَتَشَقَّقُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَليلاً قَليلاً... وَتَكْبَرُ شَيْئًا فَشَيْئًا... وَنَظَرَ فِيها فَوَجَدَها مَليئَةً بِحُبوبٍ مِنَ اللّآلِئِ والجَواهِرِ الثمينةِ.. اشْتَدَّتْ دَهْشَةُ الأَخِ الصَّغيرِ، وَأَسْرَعَ إِلَى أَخِيهِ الكَبيرِ وَهُوَ سَعيدٌ، وقالَ لَهُ: "يا أَخي.. أُريدُ أَنْ أُوَزِّعَ ثِمارَ شَجَرَةِ الرُّمّان عَلَى الفُقَراءِ.. فَما رَأْيُكَ؟"

ثارَ الأَخُ الكَبيرُ، وَغَضِبَ مِنْ أَخيهِ وَقالَ: "لِماذَا تُهْدِي هَذَا الرُّمانَ الغالِيَ الثَّمينَ إِلَى الفُقَراءِ؟ مِنَ الأَحْسَنِ أَنْ نَنْتَفِعَ بِهِ نَحْنُ الاثْنَيْن.. لا تَنْسَ أَنَّنا أَخَوان!!"

قالَ الأَخُ الصَّغيرُ: "لا يا أَخِي.. يَكْفي كُلاً مِنّا ثَمَرَةُ رُمان واحِدَةٍ.. يَشْتَري بِها بَيْتًا كَبيرًا وَيَسْكُنُ فِيهِ... والباقي نَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى الفُقَراءِ والمَساكين" حاوَلَ الأَخُ الكَبيرُ أَنْ يُضيعَ أَخاهُ الصَّغيرَ.. لَكِنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ..

باعَ الأَخُ الصَّغيرُ اللّآلِئَ والجَواهِرَ، واشْتَرَى بِثَمَنِها بَيْتًا وَأَقامَ فيهِ.

لَكِنَّ الأَخَ الكَبيرَ فَكَّرَ في حِيلَةٍ يَحْصُلُ بِها عَلَى كُنوزِ شَجَرَةِ الرُّمّان كُلِّها. فَتَسَلَّلَ في ظَلامِ اللَّيْلِ، وَأَخَذَ مَعَهُ كَيْسًا كَبيرًا.. وَقَطَفَ ثِمارَ شَجَرَةِ الرُّمّان،

وَوَضَعَها في الكيس، ثُمَّ حَمَلَها إِلَى مَنْزِلِهِ، وَهُناكَ أَفْرِغ ثِمارَ الرُّمّانِ كُلَّها عَلَى الأَرْضِ، وقالَ في نَفْسِهِ: "سَأُصْبِحُ أَغنَى رَجُلٍ في هَذِهِ البِلاد!"

شَقَّ الأَخُ الكَبيرُ أَوَّلَ رُمَّانَة.. فَخرَجَتْ مِنْها نَحْلَةٌ.. بَعْدَ قَليلٍ ازْدَادَ النَّحْلُ، وَراحَ يُهاجِمُ الأَخَ الكَبيرَ وَيَلْسَعُهُ لَسْعًا مُؤْلِمًا... تَحَسَّسَ الأَخُ الكَبيرُ جِسْمَهُ المَلْسوعَ، وَقالَ: "هَذِهِ رُمّانَةٌ سَيِّئَةٌ.. لابُدَّ أَنْ يَكونَ في الرُّمّانَةِ الثانِيَةِ كَنْزٌ مِنَ اللآلِئِ وَالجَواهِرِ مِثْلَ الَّذي وَجَدَهُ أَخي!"

شَقَّ الأَخُ الكَبيرُ الرُّمّانَةَ الثانِيَةَ فَقَفَزَ مِنْها ديكٌ صَغيرٌ أَخَذَ يَصيحُ، وَيَنْقُرُ الأَخَ الكَبيرَ بِمِنْقارِهِ حَتّى جَعَلَهُ يَصْرُخُ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ.. وَلَمّا انْصَرَفَ الدِّيكُ.. عادَ الأَخُ الكَبيرُ يَقولُ: "هَذِهِ رُمّانَةٌ سَيِّئَةٌ أَيْضًا.. لابُدَّ أَنْ تَكونَ في الرُّمّانَةِ الثّالِثَةِ لآلِئُ وَجَواهِرُ غالِيَةٌ"

عِنْدَما أَمْسَكَ الأَخُ الكَبيرُ بِالرُّمَّانَةِ الثَّالِثَةِ انْشَقَّتْ وَخَرَجَ مِنْها كَلْبٌ يَنْبَحُ.. نَظَرَ إِلَيْهِ الأَخُ الكَبيرُ فإِذا بِالكَلْبِ الَّذي ضَرَبَهُ وَعَذَّبَهُ يَهْجِمُ عَلَيْهِ وَيَعَضُّهُ..

أُغْمِيَ عَلَى الأَخِ الكَبيرِ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ وَالخَوْفِ... وَلَمّا أَفاقَ لَمْ يَجِدْ بِجانِبِهِ رُمَّانَةً واحِدَةً.. وَلَمْ يَحْصُلْ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ.!

٤٥- عَنْدليبُ الإمْبَراطور

مُنْذَ زَمَنٍ بَعيدٍ.. كانَ لإمْبِرلخور الصِّينِ قَصْرٌ جَميلٌ تُحيطُ بِهِ حديقةٌ واسِعَةٌ.. بِها جَميعُ أَنْواعِ الأَشْجارِ والأَزْهار..

وكانَ الإمبرلخورُ يَسمحُ لِبَعْضِ الرَّحّالَةِ مِنَ البِلادِ الأُخْرَى بِزِيارَةِ حَديقَتِه العَجيبةِ، لِيَكْتُبوا عَنْها في كُتُبِهِم.

وذاتَ يَوْمٍ.. أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَحَدُ أَصْدِقائِهِ المُلوك كِتابًا هديةً.. أَلَّفَهُ عالِمٌ رَحّالَةٌ.. وَجَدَ الإمبرلخورُ فيه وَصْفًا لِحديقَتِهِ، أَجْمَلَ ما في الحديقةِ.. طائِرُ العَنْدليبِ.."

دُهِشَ الإمبرلخورُ وَقالَ: "ما هَذا العَندليب؟! أَنا لا أَعْلَمُ عَنْهُ شيئًا.. أَيُمْكِنُ أَنْ يَكونَ في حَديقَتِي طائِرٌ كَهَذا.. دُونَ أَنْ أَسْمَعَ بِهِ؟!!"

اِسْتَدْعَى الإمبرلخورُ وَزيرَهُ وقالَ لَهُ: "لَقَدْ قَرَأْتُ في هَذا الكِتابِ أَنَّ في حَديقَتي طائِرًا عَجيبًا هُوَ العَندليبُ... تُساوي أُغْنياتُهُ الجَميلَةُ كُلَّ ما في إمْبِرلخُوريَّتي.. أُريدُ أَنْ يَحْضُرَ العَندليبُ إلَّى هُنا هَذا المَساء.. فَجميعُ عُظَماءِ البلادِ سَيَأْتونَ اليَوْمَ... كَلِّفَ جَميعَ الحُرّاسِ بِالبَحْث عَنْهُ.."

ظَلَّ الوَزيرُ وَحُرّاسُ القَصرِ يَبْحَثونَ في الحَديقَةِ طُولَ النَّهار بِلا فائِدَةٍ.. وَقَبْلَ الغُروبِ.. سَمِعَتْهُمْ فَتاةٌ صَغيرَةٌ تَعْمَلُ طَبّاخَةً في القَصْرِ، فقالَتْ: "أَنا أَعْرِفُ العَنْدليبَ جَيِّدًا.. ما أَعذَبَ صَوْتَه! أَسْمَعُهُ كُلَّ يَوْمٍ وَأَنا في طَريقي إِلَى أُمِّي الفَقيرَةِ المَريضَة...... أَحمِلُ إِلَيْها بَقايا طَعام القَصْر.."

هَتَفَ الوَزيرُ: "أيتها الطَّبّاخةُ الصَّغيرةُ.. سَأَجْعَلُكِ الطَّبّاخَةَ الأُولَى في القَصْرِ إذَا أَرْشَدْتِنا إِلَى مَكان العَنْدَليبِ..."

سارَ الوزيرُ والحُرَّاسُ.. وأمامَهُم الطبّاخَةُ الصّغيرةُ.. مسافةً طَويلَةً.. اقْتَرَبَ المَوْكِبُ مِنْ شاطِئِ البَحْرِ... تَوَقَّفَتِ الفَتاةُ فَجْأَةً .. وَصاحَتْ: "أَنْصِتُوا"... أَنْصَتَ الجَميعُ إِلَى صَوْتِ تَغريدٍ لَمْ يَسْمَعوا مِثْلَهُ مِنْ قَبْلُ. نَظَرَ الوَزيرُ إِلَى الطائِرِ في اسْتِغْرابٍ وقالَ: "كُلُّ هَذِهِ النَّغْماتِ والأَلْحان الحُلْوَةِ.. تَخْرُجُ مِنْ هَذا الطّائِرِ الأَغْبَرِ الصَّغيرِ؟!! إِنَّ شَكْلَهُ عادِيٌّ .. لَكِنَّ صَوْتَهُ ساحِرٌ."

اقْتَـرَبَ الوَزيـرُ مِـنَ العَنْدلـيبِ وقـالَ لَـهُ: "أَيُّهـا العَندلـيبُ الـصَّغيرُ.. يَـوَدُّ الإمبرلخورُ أَنْ يَسْمَعَ تَغْريدَكَ هَذا المسَاءَ" أَجابَ العَنْدلِيبُ: "بِكُلِّ سُرور" فقالَ الوَزيرُ: "أَسْرِعْ.. فإنَّ الحَفْلَ سَيَبْدَأُ حالاً.. وَقَدْ دَعا الإمبرلخورُ إليْهِ عُظَماءَ البِلاد" قالَ العَندليبُ: "تَغْريدِي أَفْضَلُ هُنا .. بَيْنَ الأشجار والأزْهار.. لكنّي سَأَذْهَبُ إِلَى الإِمْبرلخور.. مادامَتْ هَذِهِ رَغْبَتَهُ.. فأنا لا أَرُدُّ لَهُ طَلَبًا!"

كـانَ الإمـبرلخورُ جالِـسًا وَسْـطَ القاعَـةِ، وَحَـوْلَهُ ضُـيوفُهُ عِـنْدَما حَـضَرَ العَندلـيبُ.. وَقَـفَ الطائِـرُ الـصَّغيرُ فَـوْقَ عَمُـودٍ ذَهَبِـيٍّ، وَرَاحَ يُغَنِّـي بِأَعْـذَبِ الألْحان والأَنْغَام، والإمبرلخورُ وَضُيوفُهُ يَسْتَمِعونَ إِلَيْهِ بِإعْجابٍ شَديد..

انْتَهَى الحَفْـلُ.. فأَمَـرَ الإمـبرلخورُ أَنْ يَبْقَـى الطائِـرُ فِي القَـصْرِ داخِـلَ قَفَـصٍ ذَهَبِيٍّ، وَتُرْبَطُ رِجْلُهُ بِشَريطٍ حَريري.

وَأَذِنَ لَهُ بالطَّيران خارجَ القَفَصِ مَرَّتَيْنِ بِالنّهار، وَمَرَّةً باللَّيلِ. وَعَيَّنَ لَهُ اثْنَتَيْ عَـشْرَةَ خادِمَـةً يَحْرُسْـنَهُ وَيُمْـسِكْنَ الـشَّريطَ إذا حَـاوَلَ الهَـرَبَ. فَقَـدْ كـانَ الإِمْبرلخورُ يَخافُ أَنْ يَهْرُبَ العَندليبُ إذا تَرَكَهُ حُرًّا بِلا قُيود.

لَـمْ يَكُـنِ العَندلـيبُ سَعيدًا بِحياةِ الأَسْرِ.. لَكِنَّهُ ظَـلَّ صـابِرًا.. يَعُـدُّ الأيـامَ للخلاصِ مِنْ هَذا القَيْدِ الذَّهَبِيِّ..

وَمَـرَّتِ الأَيّـامُ.. وَوَصَـلَتْ إِلَـى الإمـبرلخور هَدِيَّـةٌ فِي لِفافَـةٍ كَـبيرَةٍ مُغْلَقَـةٍ.. كُتِبَتْ عَلَيْها كَلِمَـةٌ واحِـدَةٌ.. "العَنْدلِيب" نَظَرَ الإِمْبرلخورُ إِلَى اللِّفافَةِ.. وَقَرَأَ الكَلِمَةَ الَّتي عَلَيْها.. وَتَعَجَّبَ.!

فَتَحَ الإمـبرلخورُ اللِّفافـةَ فَـوَجَدَ بـداخِلِها آلَـةً صَغيرةً تُشْبِهُ العَندلَيبَ تَمامًا.. لكنَّها مُرَصَّعَةٌ بالماسِ والياقوتِ والمَرْجَان.. ولَـها جَـناحان ذَهَبِـيّان.. وَذَيْـلُ فِـضِّيٌّ.. أَمْسَكَ الإمبرلخورُ العَندليبَ الآلِـيَّ. وأَدارَ مِفْـتاحَهُ، فَبَدَأَ يُغَنِّـي أَحَـدَ الأَلْحـان الَّتي كانَ يُغَرِّدُها العَندليبُ الأَصْلِيُّ حَتّى يُخَيَّلَ لِمَنْ يَسْمَعُهُ أَنَّهُ تَغْريدٌ حَقيقيٌّ... صاحَ الوزيرُ: "يا لَها مِنْ مُعْجِزَةٍ هَنْدَسِيَّةٍ!!"

نَسِيَ الإمبراطورُ العَندليبَ الأَصْلِيَّ، وخَلَبَ أَنْ يَسْتَمِعَ إِلَى العَندليبِ الآلِيِّ الّذي غَنَّى اللَّحْنَ نَفْسَهُ ثَلاثًا وثلاثينَ مَرَّةً، والإمبراطورُ يَسْتَمِعُ لَهُ في سَعَادَةٍ.

فَجْأَةً.. خَلَبَ الإمبراطورُ أَنْ يَسْتَمِعَ إِلَى تَغريدِ العَنْدَليبِ الأَصْلِيِّ. لَكِنْ ... أَيْنَ هُوَ؟! ... بَحَثوا عَنْهُ في القَفَصِ فَلَمْ يَجِدوهُ!! لَقَدْ غافَلَ العَنْدليبُ حُرّاسَهُ.. والإِمْبِراطُورَ .. وَهُمْ مَشغولونَ بِسَماعِ العَندليبِ الآلِيِّ. وَطارَ بَعيدًا إِلَى حَديقَتِهِ.. دونَ أَنْ يَلْحَظَهُ أَحَدٌ.

حَزِنَ الإمبراطورُ.. وَأَخَذَ العَندليبَ الآلِيَّ وَوَضَعَهُ عَلَى وِسادَةٍ حَريرِيَّةٍ بالقُرْبِ مِنْ فِراشِهِ.. لِيَسْمَعَهُ في أَيِّ وَقْتٍ يَشاءُ.

مَرَّتِ الأَيّامُ.. وَبَيْنَما كانَ الإمبراطورُ يَسْتَمِعُ إِلَى العَنْدليبِ.. انْطَلَقَ زُنْبُرُكٌ وَأَحْدَثَ صَوْتًا حادًّا.... وَتَوَقَّفَ اللَّحْنُ.. اعْتَدَلَ الإمبراطورُ في جِلْسَتِهِ.. والْتَفَتَ فَرَأَى الزُّنْبُرُكَ قَدِ انْفَصَلَ عَنْ جِسْمِ الطائِرِ،وَوَقَعَ عَلَى الوِسادَةِ بِجِوارِهِ.

انْزَعَجَ الإِمْبراطورُ، واسْتَدْعَى الأَطِبَّاءَ لِيُعالِجُوا العَندليبَ الآلِيَّ. اقْتَرَحَ بَعْضُهُمْ أَنْ يُحْضِرُوا صانِعَ السّاعاتِ لِإِصْلاحِهِ. لَكِنَّهُ لَمْ يَنْجَحْ في عِلاجِهِ كَذلِك.

حَزِنَ الإمبراطورُ عَلَى العَندَلِيبِ حُزْنًا شَديدًا، وَأَصابَهُ المَرَضُ، وَرَقَدَ في الفِراشِ.. جاءَهُ الأَطِبّاءُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ.. وَعَجَزُوا عَنْ شِفائِهِ.. واعْتَقَدَ الجَميعُ أَنَّهُ مَرَضُ المَوْتِ.

وَذَاتَ مَساءٍ... فَتَحَ الإمبراطورُ عَيْنَيْهِ بِصُعوبَةٍ، وَنَظَرَ إِلَى العَنْدليبِ الآلِيِّ.. وَصَاحَ: "مُوسِيقي.. مُوسِيقَى.. غَنِّ لِي يا طائِرِي الذَّهَبِيَّ الصَّغيرَ.. أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَنْ تُغَنِّيَ.."

لكِنَّ الطائِرَ الصَّغيرَ ظَلَّ صامِتًا وَلَمْ يَنْطِقْ.. فَصاحَ الإمبراطورُ مَرَّةً أُخْرَى: "غَرِّدْ.. غرِّدْ يا طائِري.."

كانَ الإمبراطورُ في حاجَةٍ إِلَى أَنْ يَسْمَعَ تَغرِيدًا حَتَّى يُبْعِدَ عَنْهُ شَبَحَ المَوْتِ.. لَكِنَّ العَنْدليبَ الآلِيَّ سَكَتَ ولم يُغَرِّدْ.

فِي هَـذِهِ اللَّحْظَـةِ.. سَمِعَ الإمبراطورُ نَقْرًا خَفيفًا عَلَى نافِذَةِ حُجْرَتِهِ.. وَنَظَرَ نَحْوَ النّافِذَةِ... فـإذا العَنْدليبُ الحقيقيُّ يُرَفرِفُ بِجَناحَيْهِ وَيَنْقُرُ بِمِنقارِهِ عَلَى زُجاجِ النَّافِذَةِ. أَشارَ الإمبراطورُ لِخادِمِه لِيَفْتَحَ النّافِذَةَ .. طارَ العَندليبُ إِلَى داخِلِ الغُرْفَةِ، وَوَقَفَ عَلَى السَّريرِ أَمامَ الإمبراطورِ.. وراحَ يُغَرِّدُ لَحْنًا جَديدًا.. غَنّاهُ مِنْ قَلْبِهِ.. لِيُسْعِدَ الإمبراطورَ المريضَ .

سَمِعَ الإمبراطورُ اللَّحْنَ.. فاعْتَدَلَ فِي جِلْسَتِهِ، وَظَهَرَتِ الابْتِسامَةُ عَلَى وَجْهِهِ... وَقالَ لِلْعَنْدَلِيبِ: "أَشْكُرُكَ يا طائِري الحَبيبَ.. لَقَدْ أَسَأْتُ إِلَيْكَ وَحَبَسْتُكَ فِي قَصْري.. وَرَغْمَ ذَلِكَ جِئْتَني عِنْدَما احْتَجْتُ إِلَيْكَ.. بِماذا أُكافِئُكَ؟!"

قالَ العَنْدليبُ: "اسْتَرِحِ الآنَ.. سأُغَنِّي لَكَ مَرَّةً أُخْرَى لِتَنامَ فِي هُدوءٍ..وَعِنْدَما تَستَيقِظُ فِي الصَّباحِ.. سَيَذْهَبُ عَنْكَ المرضُ بإذْنِ اللهِ"... غَرَّدَ العَنْدليبُ لَحْنًا هادِئًا.. فَنامَ الإمبراطورُ.

وعِنْدَما اسْتَيقَظَ كانَتِ الشَّمْسُ تَسْطَعُ مِنَ النافِذَةِ. وكانَ الإمبراطورُ قويًّا مُعافىً. قالَ العَندليبُ: "شكرًا لله. أَنْ شَفاكَ .. سَأَحْضُرُ إِلَيْكَ كُلَّ مَساءٍ.. وَأَقِفُ عَلَى غُصْنِ الشَّجَرَةِ الّذي بِجِوارِ نافِذَتك.. وَأُغَنّي لَكَ لَحْنًا جديدًا"

ثُمَّ طار العَنْدليبُ بعيدًا.

وَعِنْدَما دَخَلَ رجالُ القَصْرِ لِيَرَوْا إمبراطورَهُم المَيِّتَ.. فاجَأَهُمُ الإمبراطورُ.. وَهُوَ واقِفٌ وَسْطَ حُجْرَتِهِ يَقولُ لَهُمْ فِي نَشاطٍ وَحَيَوِيّةٍ:

"صَباحُ الخَيْرِ..."

٤٦- بَيتٌ مِن ملح

كانَ لِرَجُلٍ اِبنٌ وَحيدٌ،

رَبّاهُ عَلَى الصِّدق وَالأمانَةِ وَحُبِّ الغَيرِ والإخلاصِ الوفاءِ لَهُم. كَبِرَ الابنُ وَصارَ شابًا، فَكانَ أَبوهُ يوصيهِ بِحُسنِ اختيارِ الأَصدِقاء. وَذاتَ يومٍ سَأَلَ الأَبُ ابنَهُ عَن أَصدِقائِهِ وَعَن أَخلاقِهِم وَصِفاتِهِم، فقالَ الابنُ إِنَّهُم جَميعًا مُخْلِصُونَ لَهُ وَأَوْفِيَاء. خَلَبَ الأَبُ مِن ابنِهِ أَن يَختَبِرَهُم لِيَعرِفَ حَقيقَةَ ما يَقولُ الابنُ. وافَقَ الابنُ عَلَى خَلَبِ أبيهِ، وَأَكَّدَ لَهُ أَنَّهُ سَيَرضَى بِحُكمِهِ، وَيُطيعُهُ فِي كُلِّ ما يَراهُ.

أَعَدَّ الأَبُ وَليمَةً كَبيرَةً، وَخَلَبَ مِن اِبنِه أَن يَدعُوَ إليها جَميعَ أَصحابِه. لَبَّى الأَصحابُ الدَّعوَةَ، وَاجتمَعوا فِي بَيتِ الأَبِ، وَتَناولوا أَلَذَّ الطَّعامِ، وَنَعِموا بِأَخيَبِ الحَلوَى وَالفاكِهَة. وَعِندَما جاءَ وَقتُ انصرافِهِم، وَقَفَ الأَبُ يُوَدِّعُهُم. وَكانَ قَد مَلأَ غُرْفَةً بِجِوارِ البابِ بِالمِلح. وَكُلَّما مَرَّ بِهِ أَحَدُ أَصدِقاءِ ابنِهِ، دَعاه لِلدُّخولِ فِي الغُرْفَةِ قائِلاً: "إذا كُنتَ صَديقًا مُخلِصًا لابني حَقيقَةً، فَتَناوَلْ ما فِي هذا البَيتِ مِن مِلح."

كانَ بَعضُهُم يَرفُضُ تَذَوُّقَ أَيِّ قَدرٍ وَلَو بَسيطٍ مِنَ المِلح. وَكانَ البَعضُ الآخَرُ يَتَحَمَّسُ، وَيَدخُلُ، وَيَذوقُ مِنْهُ حِفْنَةً أَو حِفْنَتَينِ ثُمَّ ما يَلبثَ أَن يُعلِنَ عَدَمَ قُدرَتِه عَلَى تناوُلِ المَزيدِ، وَيعتذِرُ وَيَنْصَرِف.

وكانَ الابنُ يَنظُرُ حَزينًا إِلَى أصدِقائِهِ وَهُم يَخْرُجُونَ واحِدًا بَعدَ الآخَر، مِن غَيْرِ أَن يَجِدَ فيهم مَن هُوَ قادِرٌ عَلَى الصِّدق والوَفاء، فَخابَ أَمَلُهُ وَشَعَرَ بِالضّيقِ وَالخَجَلِ مِن أَبيه. خَرَجَ الأَصحابُ وَلَم يَبْقَ إلاّ صاحِبٌ واحِد. تَمَنَّى الابنُ أن يَترُكَ أَبوهُ هَذا الصَّديقَ يغادِرُ البَيتَ، وَلا يَطلُبُ مِنْهُ ما خَلَبَهُ مِن بَقِيَّةِ الأَصحاب. وَلَمّا تَقَدَّمَ هَذا الصَّديقُ مِنَ الأَبِ لِوَداعِهِ، قالَ لَهُ الأَبُ: "إن كُنْتَ صَديقًا مُخلِصًا لابني حَقيقَةً، فَتَناوَلْ ما فِي هَذَا البَيتِ مِن مِلح".

تَبَسَّمَ الصّديقُ، وَدَخَلَ الغُرفَةَ، ثُمَّ بَلَّلَ إصبَعَهُ بِلِسانِه، وَمَسَحَ عَلَى المِلَح، وَلَعِقَ إصبَعَهُ، ثُمَّ التَفَتَ إلَى الأبِ وَقالَ لَهُ: "يا عَمّ. مَن لا يَحفَظُ عَهدَ ذَرَّةٍ مِنَ المِلْحِ، فَلَن يَحفَظَ عَهدَ بَيْتٍ مِنَ المِلح، وَلَوْ أَكَلَهُ كُلَّهُ."

سُرَّ الأَبُ بإجابَةِ الصَّديق، وَرَبَّتَ عَلَى كَتِفِهِ، وقالَ: "بارَكَ اللهُ فيكَ يا بُنَيّ". ثُمَّ التَفَتَ إلَى ابنه، وقالَ لَهُ: "هَذا هُوَ الصَّديقُ المخلِصُ الوَفِيّ. فَلْتَكونا صَديقَيْن خَوالَ العُمْر."

٤٧- الصَّيّادُ والسَّمَكَةُ الذَّهبِيَّة

كانَ صَيَّادٌ كبيرُ السِّنِّ يَسكُنُ مَعَ زَوْجَتِهِ العَجوزِ في كوخٍ قديمٍ بِجوارِ الشّاطِئ، وَلَم يكُن لَدَيهِما سِوَى قطعَةٍ قَديمَةٍ مِنَ الخَشَب، وَمِغْزَلٍ تَغزلُ عَلَيهِ العَجوز، وَشَبَكةٍ يَستَعمِلُها الشيخُ في صَيدِ السَّمك.

ذاتَ يَومٍ أَلقَى الصَّيّادُ شَبَكَتَهُ في البَحر. ثُمَّ جَذَبَها، وَخَرَجَت خالِيَةً لَيْسَ بِها سَمَكَةٌ واحِدَة. رَمَى الصَّيّادُ الشيخُ الشَّبَكَةَ مَرَّةً أُخرَى، وَلَم تَخرجُ بِشَيءٍ وَفي المَرَّةِ الثانِيَةِ خَرَجَتِ الشَّبَكَةُ وَفيها سَمَكَةٌ ذَهَبِيَّةٌ صَغيرةَ.

فَرِحَ الصَّيّادُ وَهَمَّ بالإمساكِ بِالسَّمَكَةِ فَقالَت لَهُ: "يا شَيخُ يا خَيِّبُ. إنْ وَهَبتَني حُرِّيتي وَتَركْتَني أَرجِعُ إِلَى البَحرِ فَسَوفَ أُعطيكَ ما تُريدُ." اِندَهَشَ الشَّيخُ وَخافَ، فَقَد مَرّ عَلَيه وَقتٌ طَويلٌ يَصطادُ في هَذا المَكان لَكنّهُ لَم يَسبِقْ لَهُ أَن اصطادَ سَمَكَةً تَتَكَلَّم. رَقَّ قَلبُ الشَّيخِ لِلسَّمَكةِ الصَّغيرة. وَأَمسَكَ بِها في يَدِهِ بِرفق، وَأَلقَى بِها في ماءِ البَحر وَهُوَ يقولُ لَها في حَنَان: "أَيَّتها السَّمَكَةُ الذَّهَبيَّة.اِذهَبي في رِعايةِ الله.. لَيسَ لَدَيَّ طَلَبٌ أَطلُبُهُ مِنك.. اِسبَحي كما تشائين في البَحر الكبير."

عادَ الصَّيّادُ الشيخُ إِلَى كوخِهِ، وَقَصَّ عَلَى زَوجَتِهِ العَجوزِ ما حَدَثَ بَينَهُ وَبَينَ السَّمَكَةِ الذَّهَبيَّة. قالَ: "صِدْتُ – اليَومَ – سَمَكَةً مِنَ الذَّهَب، وَتَوسَّلَتْ إِلَيَّ أَن أَترُكَها تَعودُ إِلَى البَحر.. وقالَت: إن تَركتَني أَرجِعُ إِلَى البَحر وَمَنَحْتَني حُرِّيّتي فَسَوف أُعطِيكَ ما تُريدُ." لَكِنَّني خَجِلتُ، وَلَم أَطلُبْ مِنها شَيْئًا.. وَأَعَدتُها إِلَى البَحر لِتَسبَحَ في رِعايَةِ الله.

اِغتاظَتِ العَجوزُ، وَغَضِبَت مِن زَوجِها غَضَبًا شَديدًا وَأَخَذت تَشتُمُهُ وَتقول: "أَيُّها الغَبِيُّ الأَحمقُ أَطْلَقْتَ السمكةَ وَلَمْ تَطلُبْ مِنها شَيْئًا هَلْ هذا تَصرُّفُ رَجُلٍ عاقِل؟ لَيتَكَ طَلَبْتَ قَصْعَةً جديدةً مِنَ الخَشَبِ بَدلَ قَصْعَتِنا القَديمَةِ الَّتي تَشَقَّقَت."

سارَ الصَّيّادُ الشَّيخُ نَحوَ البَحْرِ،وَنادَى السَّمَكَةَ الذَّهَبيَّةَ. بأَعلَى صَوتِه. بَعدَ قَليلٍ ظَهَرَتِ السَّمَكَةُ، وَسَأَلَتُه: "ماذا تُريدُ أيها الشيخُ الطَّيِّب؟" فأَجابَها الصَّيَّادُ: "لَقَد وَبَّخَتْني زَوجَتي العَجوز، وَخَلَبَت قَصعَةً جَديدَةً مِنَ الخَشَب فالقَصعَةُ الّتي لَدَينا قَدُمَت وَتَشَقَّقَتْ وَلَم تَعُد صالِحةً لِلاستِعمال." قالَت السمكةُ الذهبيّة: "لا تحزَن - يا سيِّدي - واذهَب إلَى بيتِك، سَتَجِد القَصْعَةَ الجَديدَةَ في انتظارك."

لَمّا عادَ الشَّيخُ إلَى كوخِه، وَجَدَ مَعَ زَوجَتِهِ العَجوز قَصعَةً جَديدَة. لكِنَّها صَرَختِ في وَجهِ زَوجِها الصَّيّادِ وقالت لَه: "لَم تَجِد غَيرَ القَصعةِ تَطلبُها مِنَ السَّمكة؟!

اِذهَب إليها حالاً ولخلَب مِنها مَنزِلاً نَعيشُ فيه. قَصَدَ العَجوزُ البَحرَ، وَصاحَ يَدعو السمكةَ الذهبية فأَقبلَت نَحوَهُ سائِلة: "أَيُّها الشيخُ الطيبُ. ماذا تُريد؟ اِنْحنَى الشيخُ، وَقالَ لِلسَّمَكَةِ بِأَدَب: "زادَت العَجوزُ في شَتْمِي، وَصِرتُ لا أَعِرفُ طَعمَ الهُدوءِ والرّاحة، فَهِيَ تَطلُبُ مَنزِلاً" قالت السمكة الذهبية: "لا تَحزَن.. وامضِ في أمان الله.. سَتَجِدُ ما طَلَبتُما."

رَجَعَ الشيخُ إلَى كوخِهِ فَلَم يَجِدْه، وَوَجَدَ مَكانَهُ بَيْتًا جَميلاً، وَكانَت زَوجَتُهُ تُطِلُّ مِن إحدَى نوافِذِه، تَصيحُ بِزَوجِها وَتَسُبُّهُ وَتَشتُمهُ "أَيُّها الغَبِيّ.. طَلَبتَ منزلاً؟! اِذهَب إلى السمكةِ ولخلُب لَنا قَصرًا كَبيرًا فَخمًا" ذَهَبَ الصيادُ إلى السمكةِ وَطَلَبَ مِنها القَصر، وَعِندَما رَجَعَ إلَى بيتِه لَم يَجِدْه،وَوَجَدَ مَكانَهُ قَصرًا كَبيرًا لَهُ حَديقةٌ واسِعةٌ.

مَرَّ أُسبوعٌ وَأُسبوع، وَزادَ طَمَعُ الزَّوجَةِ العَجوز، فأرسلَت زوجَها مِن جَديدٍ إلى البَحر: "اِرجع وَسَلِّم عَلَى السمكةِ، وقُل لَها إنني أُريدُ أَن أكونَ أَميرةً كَريمةَ الأَصل." خافَ الشيخُ مِن هذا الطَّلَبِ وَوَقَفَ حائِرًا لا يريدُ أَن يَتَحَرَّكَ، ثُمّ قالَ لِزَوجَتِه: "هَل جُنِنْتِ أَيَّتُها العَجوزُ؟. ما أنت إلاّ امرأةٌ جاهِلَة.. فَلا قَولَ تُحْسِنينَ.. وَلا عَمَلَ تُجِيدِينَ. بَل سَوفَ تُضْحِكِينَ عَلَينا أَهلَ البِلاد."

وَقَبل أَن يُتِمَّ الصَّيّادُ كلامَهُ صَفَعَتْهُ زَوجَتُه صَفعَةً قَوِيَّة وَأَمَرتْهُ أَنْ يَذهَبَ فورًا إلى السَّمكة. ذَهَبَ الصَّيّادُ إلى البَحر، ونادَى السَّمَكَة، وأخبرَها بِما تريدُ زَوجتُهُ العَجوز. فَقالَت لَهُ السمكةُ: "لا تَحزَن أَيُّها الشيخُ الطَّيِّبُ، وَتَوجَّه إلَى قَصرِكَ.. سَتُصبِحُ العَجوزُ أَميرَة.

ولما عادَ الشيخُ إلَى القَصر، وَجَدَ زَوجَتُه العَجوزَ أَميرةً، وَحَولَها الوَصيفاتُ يَخدُمْنَها، وَتُقَدِّمْنَ لَها أَحلَى الشَّرابِ وأَلَذَّ الطَّعام. تَقَدَّمَ الشَّيخُ مِن زَوجَتِهِ، وقالَ لَها بأَدَبٍ واحتِرام: "لَعَلَّ نفسَكِ لخمَأَنَّت الآنَ بعدَ هَذا النّعيم." لَم تَنظُرِ العجوزُ إلى زَوجها، وَخَلَبَت مِنَ الحُرّاسِ أَن يَطردُوهُ خارجَ القَصر.

مَرَّ شَهرٌ.. وازدادَ خَمَعُ الزَّوجةِ العَجوزِ فَأَرسلَت حُرّاسَها لِلصَّيّادِ الشَّيخِ تَطلُبُه. أَمسَكَ بِهِ الحُرّاسُ وَأَحْضَروهُ. فقالَت لَهُ العجوزُ تأمُرُه: "اِذهَب إلَى السمكةِ الذَّهَبيَّةِ.. وَقُل لَها إنَّني لا أَرضَى أَن أَكونَ أَميرة. بَل أُريدُ أَن أَكونَ مَلِكةَ البِحار.أُريدُ أَن أعيشَ في المحيطِ، وَتكونَ السمكةُ الذَّهبيَّةُ وَصيفَةً في خِدْمَتي."

لم يُعارضِ الشَّيْخُ المسكنُ زَوجَتَهُ، وَذَهَبَ نَحوَ البَحْرِ. وَهُناكَ سَمِعَ الرِّياحَ تَعْوي كالذِّئابِ.

وَرَأَى العَواصِفَ الشَّديدَةَ تَهبّ عَلَى البَحرِ، وَالأَمواجَ هائِجَةً حَتَّى صارَت كالجِبال.

صاحَ الصَّيّادُ يَدعو السَّمَكَةَ الذَّهَبِيَّةَ، فَأَقبَلَتْ مُسرعَةً وَسَأَلَتهُ: "يا أَيُّها الشيخُ الطَّيِّب. ماذا تُريدُ؟" فَأَجابَها الشَّيخُ. "أَنا في غايةِ الخَجَلِ مِنكِ يا سَمَكَتي.. لقد حَيَّرتْني زَوجَتي الحَمقاءُ .. إنّها تُريدُ الآنَ أَن تَكونَ مَلِكَةَ البِحارِ كَي تَعيشَ في المُحيط.. وَأَن تَكُوني عِندَها وَصيفَةً.

وَلَم تُجِبْهُ السَّمَكَةُ الذَّهَبِيّةُ، بَل لَوَّحت بِذَيلِها في الماء، واختَفَت في أَمواجِهِ العالِيةَ. وَقَفَ الصَّيّادُ العَجوزُ يَنتَظِرُها. وَخالَ انتظارُهُ لِيَسمَعَ جَوابَها. أخيرًا رَجَعَ إِلَى زَوجَتهِ العَجوز. فإذا بِهِ يُشاهِدُ الكوخَ القَديمَ، وَزَوجَتَه العَجوزَ واقفةً بِبابِهِ.. وأَمامَها عَلَى الأرضِ قَصعَةٌ قَديمةٌ مُشَقَّقَةٌ مِنَ الخَشَب.

٤٨- اللَّيموناتُ الثَّلاث

كانَ لأَبَوين ابنٌ واحدُ اسمُهُ عِصام. وكانا يُريدَان أَن يُزَوِّجاهُ، لكنَّ عصامًا لَم يَكُن يَرغَبُ في الزّواج. وَكانَ عصامٌ يَخرُجُ كُلَّ يومٍ لِيَتَنَزَّهَ غَيرَ مُهتَمٍّ برغبةِ أمِّه وَأَبيه في أَنْ يَبحَثَ لِنَفسِهِ عَن زَوجَة. وَذاتَ يومٍ خرجَ عصامٌ ليتنزَّهَ كعادَتهِ، فَقابَلَ عجوزًا في الطَّريق، فأَخَذَ يُضايِقُها وَيَسخَرُ مِنها، فَدَعَت عَلَيه العَجوزُ بِأَن يَتَعَلَّقَ قَلبُهُ بِاللَّيمونَاتِ الثَّلاث.

سَأَلَ عِصامٌ العَجوزَ عَن هذهِ اللَّيْمُونَاتِ الثَّلاث وَعَن مَكَانِهَا فَلَم تُخبِرْهُ بِشَيء، ولكنَّها أَمَرَتْهُ أَنْ يَسِيرَ في خَريقٍ مُعَيَّنٍ إلَى أن يقابِلَ شَيخًا كَبيرَ السِّنّ. ثُمَّ قالَت لَهُ: "هَذا الشيخُ هُوَ الشخصُ الوَحيدُ الَّذي يَعرِفُ مَكانَ اللَّيْمُونَاتِ الثَّلاث، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذي يُمكِنُ أَن يَدُلَّكَ عَلَيها."

منذُ أَن دَعَتِ العجوزُ عَلَى عِصامٍ بِحُبِّ اللَّيْمُونَاتِ الثلاثِ لَم يَهدَأْ لَهُ بالٌ أو يَستَقِرّ لَهُ حال، بَل ظَلَّ دائِمَ التفكيرِ فيها. وَذاتَ يَومٍ ودَّعَ عِصامٌ أَمَّهُ وَأَباه، وَخَرَجَ قاصِدًا الشَّيخَ الَّذي يَعرِفُ سِرَّ اللَّيْمُونَاتِ الثَّلاث.

سارَ عِصامٌ في خَريقٍ موحِشٍ ثم قابَلَ الشَّيخ. سَأَلَهُ الشَّيخُ: "لماذا جِئْتَ إلَى هَذا المكان الخطِرِ المُخيفِ - يا وَلَدي؟" فأجاب عِصامْ: "جِئتُ إلَيك لأحصُلَ عَلَى اللَّيمونَاتِ الثّلآث." تَعَجَّبَ الشيخُ مِن مَطلَبِهِ، وَنَصَحَهُ بأن يَعودَ إلَى بَيتِه، حَيثُ إن خَريقَ اللَّيموناتِ الثلاثِ مَليءٌ بالأخطار. لَكِنَّ عِصامًا أَصَرَّ عَلَى أَن يُواجِهَ تِلكَ الأهوالَ، وَرَجا الشَّيخَ أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى مكانِها.

قالَ الشيخُ: "سَتَظَلُّ سائِرًا في هذا الطَّريق لَيلَ نهارٍ حَتَّى تُقابِلَ غابةً مُظلِمةً. وَفي تِلكَ الغابَةِ تَكثُرُ الوُحوشُ المفتَرِسَةُ مِثلُ الذِّئاب والأُسُود. وَهَذِهِ الوُحوشُ تَستَلقِي حَولَ شَجَرَةٍ كبيرةٍ ضَخمة، هِيَ الَّتي تَتَدَلَّى مِنها اللَّيموناتُ الثَّلاث. وَعَلَيكَ أَن تَشغَلَ هَذِهِ الحيواناتِ بالطَّعام حَتَّى تَبتَعِدَ عَنِ الشَّجَرَةِ فَتَتَمَكَّنَ مِن قَطفِ اللَّيْمُونَاتِ الثَّلاث." ثُمّ قَدَّمَ الشيخُ لِعِصامٍ حِصانًا عَجيبًا لا يُمكِنُ لِلوُحوشِ أَن تُدرِكَه. ثُمَّ قالَ لَهُ: "اِنتَبِه - يا بُنَيّ - عِندَما تَشُقُّ كُلَّ لَيمونةٍ

سَتَخرُجُ لَكَ مِنها فَتاةٌ رائِعةُ الجَمال، وَسَتَطلُبُ مِنكَ – فِي الحال – أَن تَسقِيَها. فإن أَنتَ لَم تَفعَل ذَلِكَ فَسَوف تَختَفي."

سارَ عِصامٌ فِي طَرِيقِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الغابَة. كانَ راكِبًا حِصانَهُ العَجيب. واستَمَرَّ سائِرًا داخِلَ الغابَةِ حَتَّى وَصَلَ إلى الشجرةِ الكَبيرَة، وَوَقَفَ يَرقُبُها مِن بَعيد. وَجَدَ حَيوانات كثيرةً تَستَلْقِي حَولَ الشَّجَرة. اصطادَ عِصامٌ بَعضَ الغَزالِ والبَقَرِ الوَحشِيّ، وأَلقاها فِي الطَّريق. ثُمَّ رَمَى غَزالاً عَلَى مَقرُبَةٍ مِنَ الأُسُودِ. هَجَمَتِ الأُسودُ عَلَى الغَزال، ثم أَسرَعَت إِلَى بقيةِ الغِزْلانِ والبَقَر، وابتَعَدَت عنِ الشجرةِ، وانشَغَلَت بِالأكل.

صَعِدَ عِصامٌ فَوقَ الشَّجَرة، وَقَطَفَ اللَّيْمُونَاتِ الثَّلاثَ وانصَرَفَ عَلَى حِصانِه. وَفِي أَثناءِ الطَّريقِ جَلَسَ يَستريحُ. شَقَّ عِصامٌ اللَّيمونَةَ الأولَى ناسِيًا نَصيحَةَ الشَّيخ، فَلَمّا ظَهَرَت لَهُ الفتاةُ الجَميلة، وطَلَبَتِ الماءَ لِتَرْوِيَ عَطَشَها، اكتَشَفَ عِصامٌ أَنَّهُ لَيسَ لَدَيهِ ماء، فاختَفَتِ الفَتاةُ فِي الحال.

عِندَئذٍ تَذَكَّرَ عِصامٌ نَصيحَةَ الشَّيْخِ، وَأَحضَرَ بَعضَ الماء، ثُمّ شَقَّ اللَّيمونَةَ الثانِية. فَلَمّا ظَهَرَت الفَتاةُ الثانِيَةُ وَطَلَبَتِ الماءَ، قَدَّمَهُ إِلَيها. فَأَخَذَت تَشرَبُ حَتَّى فَرَغَ الماءُ. طَلَبَتِ الفَتاةُ المَزِيدَ مِنَ الماءِ لأَنَّها ما تَزالُ عَطْشَى، وَلَكِنْ لَم يَكُن مَعَ عِصامٍ مِنَ الماءِ أكثرُ مِن ذَلِك. وَلِهَذا اختَفَتِ الفَتاةُ الثانِيَةُ كَذَلِك.

هُنا قَرَّرَ عِصامٌ أَلاّ يَشُقَّ اللَّيمونَةَ الثّالِثَة إلاّ بِجِوارِ نَبْعٍ أو نَهْر. سارَ عِصامٌ بِحِصانِه حَتَّى قابَلَ نَبْعًا. شَقَّ عِصامٌ اللَّيمونَةَ الأَخيرَةَ فَظَهَرَت لَهُ فَتاةٌ لا تَقِلُّ جَمالاً عَن سابِقَتَيْها. فَلَمّا طَلَبَتِ الماءَ أَخَذَ يَرْوِيها حَتَّى اكتَفَت. بَعدَ ذَلِكَ حَمَلَها عِصامٌ عَلَى فَرَسِهِ وسارَ نَحوَ بَيتِهِ. ولَمّا اقتَرَبَ مِنَ البَيت، طَلَب مِنَ الفتاةِ أن تَستَقِرَّ فَوقَ نَخلَةٍ قَرِيبَةٍ مِن مَجرَى ماء، حَتَّى يَذهَبَ إلى بَيتِه وَيُحضِرَ لَها بَعضَ المَلابِس.

صَعِدَتِ الفتاةُ النَّخلَة، وَأَخَذَت تَتَرَقَّبُ حُضورَ عِصام. بَعدَ قَليلٍ مَرَّت عَجوزٌ بِجانِبِ النَّخْلَة، وَلَم تَكُن قَد رَأَتِ الفَتاة. فَلَمّا نَظَرَتِ العجوزُ إِلَى

صَفحَةِ المَاءِ رَأَت صورَةً رائِعةَ الجَمال تَنعَكِسُ عَلَيها. ظَنَّتِ العَجوزُ أَنَّها صورَتَها، فَفَرِحَت وَعادَت سَعيدَةً إِلَى بَيتِها. ولكِنَّها نَظَرَت في المِرآة فَرأت صورَتَها القَبيحَة.

عادَتِ العجوزُ إِلَى مَجرَى الماءِ لِتَتَأَكَّدَ مِنَ الصّورَةِ الَّتي رَأَتْهَا عَلَى صَفْحَةِ الماء، فَلَمّا رَأَتها عادَت ثانِيَةً إِلَى بيتِها، وَلَمّا نَظَرَت في المِرآةِ رَأَت صورتَها القبيحَة هذه المرَّةَ أيضًا. وفي المرَّةِ الثالِثَة، وَصَلَتِ العَجوزُ إِلَى مَجْرَى الماءِ، وَلَكِنَّها رَفَعَت رأسَها إِلَى أعلَى النَّخْلَةِ، فَرَأَت الفَتاةَ الجميلَةَ تَجلِسُ فَوْقَها. أخَذَتِ العَجوزُ تَتَحَدَثُ إِلَيها، وَعلِمَت مِنها أَنَّها تَجلِسُ في انتظارِ حَبيبها. خَلَبَتِ العَجوزُ مِنَ الفَتاةِ النُّزولَ فَنَزَلَت، وفي الحال غَرَزَتِ العَجوزُ في رَأْسِها دَبّوسًا، فَتَحَوَّلَتِ الفَتاةُ إلى خائِر. ثم جَلَسَتِ العَجوزُ فَوقَ النَّخلَةِ تَنتَظِرُ الفتَى.

لَمّا وَصَلَ عِصامٌ دُعِرَ لِمَنظَرِ العَجوز، وَسَأَلَها عَن حَبيبَتِهِ، وَلَكِنَّها أخبَرَتْهُ بأنَّها هِي حَبيبتُه نَفسُها، وَقَد كانَت مَسحورةً، والآنَ عادَت إلى شكْلِها الطّبيعيّ. وَلَم يُرد عِصامٌ أَن يَرجِعَ إِلَى أَهلِهِ خالِيَ اليَدَين، لِذا اصطَحَبَ مَعَهُ العَجوزَ، آمِلاً أَن تَعودَ ذَاتَ يَومٍ إِلَى صورتها الجَميلة.

ظَلَّت الفَتاةُ المَسحورَةُ في شَكلِ خائِرٍ تَطيرُ حَتَّى وَصَلَت إِلَى بَيتِ عِصام. وَهُناكَ دَخلَتِ المَطبَخَ فَوَجَدَتِ الطّباخَ يُعِدُّ الطَّعامَ لِسَيِّدِه. حَمَلَ الطَّبّاخُ الطَّعامَ واستَعدَّ لِيَنقُلَهُ إِلَى غُرفَةِ الطَّعام، فَطارَ الطّائِرُ نَحوَهُ وَقَلَبَ الطَّعام. وَكَرَّرَ الطائِرُ هَذا الفِعْلَ مَعَ الطَّبّاخِ ثَلاثَ مَرّات. ذَهَبَ الطَّبّاخُ إلى سَيِّدِهِ وَأَخبَرَهُ بِما حَدَث. جاءَ عِصامٌ وَظَلَّ مُتَرَبِّصًا بالطائِرِ، حَتَّى استَطاعَ أَخيرًا أَن يُمسِكَ بِه. ثُم رَأَى الدَّبّوسَ في رَأسِه فانتَزَعَهُ، وَفي الحالِ عادَتِ الفَتاةُ إِلَى شَكلِها الطَّبيعي.

حَكَتِ الفتاةُ لِعِصام ما حَدَثَ لَها عِندَما تَرَكَها فَوقَ النَّخلَةِ، وَذَهَبَ الاثنان إِلَى غُرفَةِ الطَّعام، وَكانَت العَجوزُ تَنتَظِر. أَمسَكَ عِصامٌ بِالعجوز، وَطَرَدَها خارِجَ البَيت. ثُمّ تزوَّجَ فَتاتَهُ الجَميلَةَ، وَعاشًا مَعًا في أسعَدِ حال.

٤٩- سَنِيَّةُ الذَّكِيَّة

كانَت خَبّاخَةٌ اسمُها سَنِيَّة – تَعمَلُ عِندَ أَحَدِ الأَثرياء. وكانَت تُحِبُّ الأَكلَ جِدًّا. فكانَت كُلَّ يَوم تَتذَوَّقُ أَحسَنَ ما تَقومُ بِطَبخِه، وتُجَرِّبُ خَيرَ الطَّعامِ حَتَّى تَشبعَ، وتَقولُ: "عَلَى الطّاهي أَن يتَذَوَّقَ ما يَطهو".

وذاتَ يَوم قالَ لَها مَخدومُها: "سَيَأتي اليَومَ – يا سَنِيَّة – ضَيفٌ، فَأَعِدّي دَجاجَتين وَأَحْسِني خَبْخَهُمَا." فَأَجابَتهُ سَنِيَّة: "سَأقومُ بِذلِكَ يا سَيِّدي!" ذَهَبَت سَنِيَّةُ إِلى حَظيرةِ الدَّجاج، واختارَت دَجاجَتَيْن سَمِينَتَين، وَذَبَحَتهُما وَأَعَدَّتهُما لِلطَّبخ. وَقُبَيلَ المَساءِ أَدخلَتِ السّيخَ في الدّجاجتَين، وَأَتَت بِهِما إِلَى النّار، حَتَّى تَقومَ بِشَيِّهما.

وَبَدَأتِ الدَّجاجَتان تَنْضُجان، لَكِنَّ الضيفَ لَم يَصِلْ بَعد. ذَهَبَت سَنِيَّةُ إِلَى سَيِّدِها وقالَت: "إِذا لَم يَحضُرُ الضَّيفُ فَسَوفَ أُبعِدُ الدَّجاجَتَين عَنِ النّار. فَلَو لَم تُؤكَلا فَورَ نُزولِهما مِنْ عَلَى النّار، وَتَكونا خازَجَتَين، فَإِنَّ خَعْمَهُما لَن يَكونَ لَذيذًا. هَبَّ السَّيِّدُ واقِفًا وقالَ: "سَأَذهَبُ بِنَفْسِي لِإِحضار الضَّيف."

وَعِندَما انصَرَفَ الرَّجُلُ، أَنزلَت سَنِيَّةُ الدَّجاجتَيْن مِن عَلَى النّار، وَوَضَعَتْهُما جانِبًا. شَرِبَت سَنِيَّةُ كوبًا مِنَ العِرقِسوس البارد، وانتظَرَت قَليلاً، وَقالَت: "مَن يَدْري مَتَى يَحضُران؟ كانَت سَنِيَّةُ تَشعُرُ بِالجوع، فَعادَت وَوَضَعَت الدَّجاجَتَيْن عَلَى النّار، وَدَهَنتهُما بالزُّبد، وَأَخَذَت تُديرُ السّيخَ وَهِيَ سَعيدَة. كانَ الشِّواءُ ذا رائِحَةٍ خَيِّبَة، وَفكَّرت سنية في أَنَّه رُبَّما يَنقُصُهُ شَيءٌ، وَلِكَي تَعرفَ ذَلِكَ فَلابُدَّ أَن تَذوقَهُما.

لَمَسَت سَنِيَّةُ إِحدَى الدَّجاجَتَين بِإِصبَعِها ثم قالت: "ما أَلَذَّ هَذا الدَّجاجَ! إِنها لَجَريمَةٌ أَلاّ يُؤكَلَ فَورَ خُروجِهِ مِنَ النّار." وَجَرَت إِلَى النّافِذَةِ لِتَرَى إِذا كانَ السَّيِّدُ قد حَضَرَ مَعَ الضَّيف، لَكِنَّها لم تَجِد أَحَدًا. عادَت سَنِيَّةُ لِتَقِفَ أَمامَ الدَّجاج، وَفَكَّرت: "إِنَّ هَذا الجَناحَ يَحْتَرِق. مِنَ الأَفضَلِ أَن آكُلَه." ثم قَطَعَتْهُ بالسِّكّين وأَكَلَتهُ فَوَجَدَتهُ لَذيذَ الطَّعم. قالَت سَنِيَّةُ لنفسِها: "ينبغي أن أَنزِعَ

الجناحَ الآخَر، وإلاّ سَيُلاحِظُ سَيِّدي أنَّ الدَّجاجَةَ ناقِصَة. وَفَعَلَت الشَّيْءَ نَفسَهُ في الدَّجاجَةِ الثانِيَةِ. وَبعدَ أن أَكَلَتِ الأَجنِحَةَ الأربَعة، ذَهَبَت مَرَّةً أُخرَى إلَى النّافِذَة، ولم تَرَ أَحَدًا قادِمًا. قالَت سَنِيَّةٌ لِنَفسِها: "مَن يَدري؟! فَرُبَّما لا يَحضُران. أو أنّهما قاما بِزيارَةِ أَحَدِ المَقاهي. وَرُبَّما يَمكُثان خَويلاً هُناكَ." ثُمَّ فَكَّرت وَهِيَ سَعيدَةٌ: "هَنيئًا لَكِ – يا سَنِيَّةِ. إنَّ إحدَى الدَّجاجَتَيْن قَد اكتَمَلَ نُضجُها وَحانَ أَكلُها. فَلتَستَمتِعي بِمذاقِها الطَّيِّب.. إنَّ نِعَمَ اللهِ لا يَجِب أَن نَترُكَها هَباءً."

شَرِبَت سَنِيَّةُ كوبًا مِن العِرقِسوس، ثُمَّ أَكَلَت إحدَى الدَّجاجَتَين. وَعِندَما فَرغَتِ مِن تناوُلِها لَم يَكُنِ السَّيِّدُ وَضَيفُهُ قَد وَصَلا بَعدُ. فَنَظَرَت سَنِيَّةُ إلَى الدّجاجَةِ الأخرَى وقالَت: "لابُدَّ أَن تَلحَقَ تِلكَ الدَّجاجَةُ بِأُختِها، فَهُمَا كَانَتَا مُتلازِمَتَين لا تَفْتَرِقان." جَلَسَت سَنِيَّةُ إلَى المائِدَةِ وَبَدأَت تأكُلُ الدَّجاجَةَ الثّانِيةِ.

وبَينَما كانَت مُستَمْتِعَةً بأكلِها، وَصَلَ السَّيِّدُ وَصاحَ: "أَسرِعي – يا سَنِيَّة – إنَّ الضَّيفَ سَيَلحَقُ بي حالاً." فأجابَتِ سَنِيَّة: "نَعَم، يا سَيِّدي، سَأُعِدُّ كُلَّ شَيء." ذَهَبَ السَّيِّدُ إلَى المائِدَةِ لِيَتَفَقَّدَها، وَيَطمَئِنَّ إلَى أَنَّ كُلَّ الأَدَواتِ مَوجودَة. ثُم تناوَلَ السِّكّينَ الكَبيرَ الّذي سَيَقطَعُ بِهِ الدَّجاجَ وَأَخَذَ يَسِنُّهُ عَلَى المِسَنّ

في تلكَ الأَثناءِ حَضَرَ الضَّيفُ، وَخَرَقَ بابَ البَيتِ بِأَدَبٍ، فَأَسرعَت سَنِيَّةُ إِلَى البابِ وَفَتَحَتهُ، وَعِندَما رَأَتِ الضَّيفَ، وَضَعَت إصبَعَها عَلَى فَمِها، وَقالَت: "لا تُصدِر أَيَّ صَوت. وَأسرِع بالإبتِعاد عَن هُنا. استَمِع. إنَّ سَيِّدي يَسِنُّ السِّكّينَ الكَبير، إنَّهُ يَنوي أَن يَقطَعَ بِها أُذُنَيك. لَقَد دَعاكَ إلَى العَشاء لِهذا الغَرَض. انْجُ بِنَفسِكَ، وَغادَرِ المكانَ فورًا." خافَ الرَّجُلُ، وَنَزَلَ الدَّرَجَ، وَأَسرَعَ بِالخرُوجِ مِنَ البَيت.

جَرَت سَنِيَّةُ إلَى سَيِّدِها، وَقالَت وَهِيَ تَصيحُ: "لقد دَعَوْتَ – يا سيِّدي – ضَيَفًا عَجيبًا!" فَسأَلَها: "ماذا في الأَمر – يا سَنِيَّة، وماذا تَقصِدينَ بِذَلك؟" قالَت

سَنِيَّة: "ضَيفُكَ هذا خَطَفَ الدَّجاجَتَين وفَرَّ بِهما." قالَ السَّيِّد: "هَذا – فعلاً – رَجُلٌ عَجيب، وتَصَرُّفُهُ غَيرُ لائِق."

غَضِبَ السَّيِّدُ لِما حَدَثَ للدَّجَاجَتَين، وقالَ في حَسرة: "ماذا لَوْ كانَ قَد تَرَكَ لي إحدَى الدَّجَاجَتَين، حَتَّى أَجِدَ ما آكُلُه." جَرَى السَّيِّدُ خَلفَ الضَّيفِ وَفي يَدِهِ السِّكّين، يَدعوهُ لِلبَقاءِ، لَكِنَّ الضَّيفَ تَصَرَّفَ كأنّه لَم يَسمَع شَيئًا، وَواصَلَ جَرْيَه. فَجَرى السَّيِّدُ خَلفَه، والسَّكّينُ في يَدِه وَهُوَ يَصيح: "واحِدةً فَقَط! واحِدةً فَقَط! واحِدَةً فَقَط." وكانَ يَقصِدُ بِذَلِكَ أَن يَترُكَ لَهُ إحدَى الدَّجاجَتَين، وَأَلاّ يَأخُذَ الاثنَتَين مَعَه. لَكِنَّ الضيفَ فَهِمَ مِن هَذا أمرًا آخَر. ظَنَّ أَنَّهُ يُريدُ أَن يَقطَعَ إحدَى أُذُنَيه. وَكُلَّما نَظَرَ خَلْفَهُ كانَ يَرَى السَّيِّدَ يَجري حامِلاً السِّكّينَ في يَدِهِ. جَرَى الضّيفُ بِسُرعَة لَم يَجْرِها مِن قَبل، آمِلاً أَن يَعودَ بِأُذُنَيه سالِمَتَين.

٥٠- حيلَةُ السُّلطان

جاءَ رَجُلٌ إلى السُّلطان، وَشَكا لَهُ أَحَدَ العَطّارين.. أرادَ الرجلُ أن يسافِرَ لِلحَجّ، وَكانَ عِندَهُ جَوهَرَةٌ ثَمينَة، خافَ أَن يَترُكَها في المنزلِ فَتَضيعَ، أو يَسرِقَها أحدُ الُّلصوص. فَذَهَبَ الرجلُ إلى هذا العطارِ – فهو مَعروفٌ بَينَ النّاسِ بالأمانَةِ – وأودعَ الجَوهَرَةَ عندَهُ، ثم ذَهَبَ إلى الحَجّ، فلمّا عادَ توجَّهَ إلى العَطارِ يَطلُبُ الجَوهَرَة... لَكِنَّ العَطّارَ أَنكَرَ أَنَّهُ رآهُ مِن قَبْلُ أو أخذَ مِنْهُ جَواهِر..

قالَ السُّلطانُ للحَاجِّ: "اِذهبْ غداً إلَى العَطَّار، وَاجلِسْ أمامَ دُكّانِه، فإن طَرَدَكَ، فاجلِس غَيرَ بَعيدٍ مِنهُ بِحَيثُ يَراك... اِفعَل هَذا كُلَّ يومٍ منَ الصَّباحِ إلَى المَساءِ... ثلاثَةَ أيّام، وفي اليومِ الرابعِ سأمُرُّ بكَ في مَوْكِبِي، وَسَوفَ أَقِفُ أمامَك فَلا تَقِفْ لي، وَسَوفَ أُسَلِّمُ عَلَيكَ فَرُدَّ السلامَ كأنكَ لا تَهْتَمُّ بي. وَقَبلَ أن أَسيرَ لخِلُب الجَوْهَرَةَ مِنَ العَطّار، فإذا رَفَضَ وأنكرَ فتعَالَ إلَّي، وإذا أَعطاكَ الجوهرةَ فأحْضِرْها إليَّ.

ذَهَبَ الحاجُّ وحاوَلَ أن يجلِسَ أمامَ دُكان العطّار، ولكنَّ العطّارَ مَنَعَهُ وأبعَدَه، فجلسَ قُرْبَ دُكَّانِه مِنْ أولِ النّهار إلَى آخره... ثلاثَةَ أيامٍ كما قالَ لَهُ السُّلطانُ... وفي اليومِ الرابِعِ، ظَهَرَ السُّلطانُ في مَوكِبِهِ العَظيمِ يُحيطُ بِهِ الوُزَراءُ والقُوّادُ وَظَلّ يَسِيرُ حَتَّى وَقَفَ أَمامَ الحاجِّ وقال: "السَّلامُ عَلَيْكُم" رَدّ الحاجُّ دونَ أن يتحرَّكَ مِنْ مَكانِه: "وعليكمُ السلامُ ورحمةُ الله.." قالَ السُّلطانُ: "يا أخي ... كَيفَ تأتي إلَى مَدينَتِنا، ثُمَّ لا تَمُرُّ عَلَيْنا حَتَّى نَقْضِيَ لَكَ حَوائِجَك، وَنَقومَ بِواجِبِ إكرامِك؟!

رَدَّ الرَّجُلُ دونَ اهتمامٍ: "لَيس مُهِمًّا عَلَى كُلِّ حال".

وكانَ العَطّارُ يرقُبُ هَذا المشهَدَ، وَيَسمَعُ الكلامَ الذي دارَ بَيْنَ السُّلطان والحاجّ، فَشَعَرَ بالخوفِ الشّديدِ حَتَّى أُغمِيَ عليْه... واجتمعَ الناسُ حَولَهُ لإفاقَتِهِ بعدَ انصرافِ مَوكِبِ السُّلطان.. فلمّا أَفَاقَ العَطّارُ مِنْ إغمائِه، أسرعَ

إلى الحاجِ يقولُ له: "لقد نَسيتُ أَمْرَ هذهِ الجَوهَرَة، فذكِّرْني مَتَى أَوْدَعْتَها عِنْدِي... وما وَصْفُها؟

فَوَصَفَ لَهُ الحاجُّ شَكْلَ الجَوهَرَةِ، وَذكَر متى أودَعَها عندَه، فَضَرَبَ العطَّارُ رَأْسَهُ بِيَدِهِ قائِلاً: "لقد تَذَكَّرْتُ الآن."

دَخَلَ العطارُ دُكّانَه، وأخرجَ الجَوْهَرَةَ حيثُ أَخْفاها، وأعطاها للحاجّ، فَأَسْرَعَ بها إلَى السُّلطان، فأمرَ السلطانُ رجالَهُ أَنْ يذهبوا إلى دُكانِ العَطّار، وأَنْ يُعَلِّقوا الجوهرةَ في رَقَبَتِهِ، وَيدوروا بِهِ في الأسواق، وَيَذْكُروا للنَّاسِ خِيَانَتَه للأمانَة.. وفي آخرِ النَّهار، أَدخلوهُ السِّجْنَ، وأخذَ الحاجُّ جَوهَرَتَه، وَمَضَى في سَبيلِه...

٥١- الفَأسُ الذَّهَبِيَّة

قَصَدَ أَحَدُ الحطّابينَ الغابَةَ - كعادَتِهِ كُلَّ يومٍ - لِيَجمَعَ مِنَ الحَطَبِ ما يَبيعُهُ وَيَشتري بِهِ طعامًا لِأُسرَتِه. وبَينَما هُوَ يَضرِبُ جِذْعَ شَجَرَةٍ لِيَقطَعَ مِنها بَعضَ الخَشَبِ طارَتِ الفَأسُ مِن يَدِهِ، وَسَقَطَت في النَّهر.

خَلَعَ الحَطّابُ ثِيابَهُ، وَنَزَلَ في النَّهرِ يَبحَثُ عَنِ الفَأسِ في الموضِعِ الّذي سَقَطَت فيه. بَحَثَ الحَطّابُ عَنها وَغاصَ في قاعِ النَّهرِ لَكِنَّهُ لَم يَجِدْها. خَرَجَ الحَطّابُ حَزينًا، وَجَلَسَ تَحتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ يَدعو رَبَّهُ أَن يُساعِدَهُ علَى استِعادَةِ فَأسِه.

بَعدَ قَليلٍ خَرَجَ مِنَ النَّهرِ مَلَكٌ يَحمِلُ فَأسًا ذَهَبِيَّةً، وَقالَ لِلحَطّاب: "أَهَذِهِ فَأسُكَ؟" فأَجابَ الحَطّابُ: "لا". غاصَ المَلَكُ في النَّهر، ثُمّ خَرَجَ وَفي يَدِهِ فأسٌ فِضِّيَّة، ثُمَّ سَأَلَ الحطّاب: "أهذه فأسُك". فأجابَ الحَطّابُ: "لا" وَغاصَ المَلَكُ مَرَّةً ثانِيَةً، ثُمَّ خَرَجَ وَهُوَ يَحمِلُ فَأسًا حَديدِيَّةً، ثُمَّ قالَ لِلحَطّابِ: "أَهذِهِ فَأسُكَ؟" فأَجابَ الحطّابُ: "نَعَم، هَذِهِ فَأْسِي". اِبتَسَمَ المَلِكَ، وَأَعطَى الحَطّابَ الفُؤوسَ الثلاثَ جَزاءَ صِدقِهِ وَأَمانَتِه.

فَرِحَ الحَطّابُ بِعَودَةِ فَأسِهِ إِلَيه، كَما فَرِحَ بِالفَأسَيْنِ الأُخرَيَيْن: الذَّهَبِيَّةِ والفِضِّيَّةِ. واصَلَ الحَطّابُ عَمَلَهُ، وَتابَعَ جَمعَ الحَطَبِ، ثُمَّ حَمَلَ كَوْمَةَ الحَطَبِ كَعادَتِهِ كُلَّ يَوم، وَسارَ في طَريقِهِ إِلَى السّوقِ وَقَد رَبَطَ الفُؤوسَ الثَّلاثَ بِالحَبل، وَعَلَّقَها في جانِبٍ مِنَ الكَوْمَة.

وَفي الطَّريقِ قابَلَهُ تاجِرٌ غَنِيٌّ، فَلَما رَأَى الفَأسَ الذَّهَبِيَّةَ والفَأسَ الفِضِّيَّةَ، وَشاهَدَ لَمعانَهُما، اِنْبَهَرَ بِمَنظَرِهِما وَأَوقَفَ الحَطّابَ وَسَأَلَه: "كَيفَ حَصُلْتَ عَلَى هاتَيْنِ الفَأسَيْنِ الجَميلَتَيْن؟" فَقَصَّ عَلَيْهِ الحَطّابُ الحِكايَةَ كَما حَدَثَت.

في صباحِ اليَومِ التّالي أَسرَعَ التّاجِرُ الغَنِيُّ وَهُوَ يَحمِلُ فَأسًا حَديدِيَّةً، وَسارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى النَّهر. أَمسَكَ التّاجِرُ الفَأسَ وَرَماها بِكُلِّ قُوَّتِهِ في النَّهر. وَأَخَذَ يَدعو رَبَّهُ أَن يَمنَحَهُ فَأسًا بَدَلاً مِنها.

وَبَعدَ وَقتٍ قَصيرٍ خَرَجَ لَهُ المَلَكُ مِنَ النَّهرِ، وَهُوَ يَحمِلُ فَأسًا حَديدِيَّةً، ثُمَّ سَأَلَهُ: "أَهَذِهِ فَأسُكَ؟ فَأجابَهُ التاجِرُ الغِنِيُّ: "لا، لَيسَت هِيَ. فأسي من ذَهَبٍ وَلا أُريدُ عَنها بَديلاً." غَضِبَ المَلَكُ، وَقالَ لَهُ بِحِدَّة: "لا داعِيَ لِلكَذِبِ أَيُّها الرَّجُل. فَأَنتَ تَعرفُ جَيِّدًا أَنَّها فَأسُك.وَعَلَى كُلِّ حال، فَأَنتَ لَستَ بِحاجةٍ إِليها. لِذَلِكَ فَالأَفضَلُ أَن تَرجِعَ الفَأسُ إلى قاعِ النَّهرِ، وَأَن تَعودَ أَنتَ خائِبًا جَزاءَ خَمَعِكَ وَكَذِبِكَ وَرَمَى المَلَكُ الفَأسَ في النَّهرِ، وَاختَفَى.

وَرَجَعَ التّاجِرُ الغَنِيُّ إِلى بَيتِهِ خائِبًا، نادِمًا عَلَى كَذِبِهِ وَخَمَعِه.

٥٢- الطَّبيبُ وَبَغلَتُه

دُعِيَ خَبيبُ القَريةِ لِمعالَجَةِ أَحَدِ المَرضَى، رَكِبَ الطَّبيبُ بَغلَتَهُ، وَقَصَدَ بَيتَ المريض. فَحَصَ الطَّبيبُ المريضَ، وَوَصَفَ لَهُ العِلاج. وَعِندَما هَمَّ بالانصِراف، دَعاهُ أَهلُ المريضِ إِلَى الطَّعامِ فاعتَذَرَ. وَكرَّروا لَهُ الدَّعوَةَ، وأَلحّوا عَلَيه، فَقَبِلَ.

جَلَسَ الطَّبيبُ إلى المائِدَة، وَكانَ الطَّعامُ لَذيذًا. أَكَلَ الطَّبيبُ حَتَّى شَبِع. لَكِنَّ أَهلَ المريض الكرام ألحّوا عليه كَيْ يَأكُلَ المَزيد. وَكانَ كُلٌّ مِنهُم يَدعوهُ ويبالِغُ في دَعوتِه. اضطُر الطَّبيبُ إِلَى أَن يَأكُلُ مِن جَديدٍ فَقَد كانَ الطَّعامُ شَهِيًّا.

بَعدَ ذَلِكَ قَدَّموا لَهُ الشَّرابَ، وكان كُلَّمَا انتَهَى مِنَ الشُّربِ قَدَّموا لَهُ عَصيرًا مُخْتَلِفًا. شَرِبَ الطَّبيبُ حَتَّى امتَلأَ بَطنُه، وبَدَأَ يَشعُرُ بِأَلَمٍ فِي مَعِدَتِه، لَكِنَّهُ كانَ يُحاوِلُ أَن يُخفِيَ ما يُحِسُّ بِهِ خَجَلاً مِن القَوْم. ثُمَّ استَأذَنَ الطَّبيبُ أَهلَ المريضِ فِي العَودَةِ إِلَى بيتِه، وَشَكَرَهُم عَلَى كَرَمِهِم وَحَفاوَتِهِم بِهِ.

وَفِي الطَّريقِ اشتَدَّ أَلَمُ بَطنِه، مِن كَثرَةِ ما تَناوَلَ مِن طَعام وَشَراب، وَنَزَل مِن عَلَى ظَهرِ بَغلَتِه، وَأَخَذَ يَمشي إِلَى جِوارِها، لَعَلَّهُ يَجِدُ فِي المَشْيِ ما يُخَفِّفُ من ثِقَلِ الطَّعام، وَيُذْهِبُ عَنهُ الأَلَم.

مَرّ الطَّبيبُ بِبِركَةِ ماءٍ، فاتَّجَهَتِ البَغلَةُ نَحوَها، فَفَهِمَ الطَّبيبُ أَنها عَطشانَةٌ، فَقَرَّبَها مِنَ الماءِ لِتَشرَبَ. شَربتِ البَغلةُ حَتّى ارتَوَت، وَهَمَّت بِالسَّيْرِ فِي طَريقِها، شَدَّ الطَّبيبُ اللِّجامَ، وساقَها إلى ماءِ البِركَة، وَأَخَذَ يُشَجِّعُها عَلَى أَن تَشرَبَ مَزيدًا مِنَ الماءِ لَكِنَّها رَفَضَتِ أَن تَشرَبَ نقطَةً واحِدَة. حاوَلَ الطَّبيبُ أَن يُجْبِرَها عَلَى الشُّرْبِ عدَّةَ مَرّاتٍ لكنها كانَت تَبتَعِدُ عَنِ الماءِ فِي كُلِّ مرة.

رَكِبَ الطَّبيبُ بَغلَتَهُ، وَسارَت بِهِ عائِدَةً إِلَى البَيت. غَمغَمَ الطَّبيبُ وَقالَ لِنَفسهِ: "سُبحانَ الله! إِنَّ هَذا الحَيَوانَ أَكثَرُ مِنّي فَهْمًا لِمَا ينفَعُهُ وَما يَضُرُّهُ!!"

٥٣- الفَرَسُ العَجيبَةُ

كـانَ في قـديم الـزمان مَلِكٌ عظيمٌ لَـهُ ولـدٌ وبِنْتَان.. وفي يَوْمٍ من الأيام... دخل عَلَى المِلِكِ ثلاثةُ رجال.. يحملُ واحِدٌ منهم خاووسًا من الذّهَبِ، ويحملُ الثاني بُـوقًا مـن النُّحَاسِ، وأَمّا الثالِثُ فَمَعَهُ فَـرَسٌ عَجِيبَةٌ مِـنْ عَـاجٍ أَبْيَضَ.. وَأَبَنوسٍ أسودَ.. تَعَجَّبَ المِلِكُ مِمّا رَأَى... وسألَهُم عَنْ سِرِّ هذِهِ الأشياء....

فقـالَ صـاحِبُ الطّـاوُوس: "إنَّـكَ تـستطيعُ أن تَعْـرِفَ الـوَقْتَ مِـنْ هـذا الطـاووسِ يـا مَـوْلاَيَ... فَكُلَّمـا مَـرَّتْ ساعَةٌ مـن الـزمانِ، يُـصَفِّقُ الطـاووسُ ويصيحُ.."

وقـالَ صـاحِبُ البـوق: "إنَّ فائـدةَ هَـذا البـوق عظيمةٌ، فإذا وُضِعَ عِنْدَ باب المدينةِ، يكونُ مُراقِبًا عَلَيْها، فإذا دَخَلَها عَدُوٌّ شِرِّيرٌ، انْطَلَقَ صَوْتُ البوقِ مُنَبِّهًا إلى وجودِ هَذا العَدُوِّ.."

وقـالَ صاحِبُ الفَرَسِ: "إنَّ هذهِ الفَرَسَ عجيبةٌ، وهِيَ أَعْجَبُ مِنْ أَيِّ فَرَسٍ في الدُّنيا.. فهِيَ تَتَحَرَّكُ براكِبِها حَيْثُما أرادَ"

فَدُهِشَ المِلِكُ مِنْ كـلامِ الـرجالِ الثلاثةِ... وقـالَ لهـم: "كلامُكُـمْ عَجيبٌ حَقًّا... وَلا أَسْتطيعُ أَنْ أُصَدِّقَهُ إلاّ بالبُرْهان... والتَّجْرِبةُ خَيْرُ بُرهانٍ"

فَجَرَّبَ الطّاووسَ.. فَوَجَدَهُ يُصَفِّقُ وَيَصيحُ كُلَّ ساعةٍ.

وَجَـرَّبَ البُوقَ عَلَى أبوابِ المدينةِ، فَوَجَدَهُ كمـا قالَ صاحِبُهُ. فَقالَ الملكُ للرَّجُلَيْن: "ماذا تَتَمَنَّيان الآن؟"

فقـال الـرَّجُلان: "نَتَمَنَّى أَنْ تُزَوِّجَ كُـلاً مِنَّا بِنْتًا مِنْ بَناتِكَ" ثُـمَّ قالَ المِلِكُ للـرَّجُلِ الثالِثِ صاحِبِ الفَرَسِ: "نـريدُ أَنْ نُجَـرِّبَ فَرَسَكَ العجيبة"... وكانَ ابْـنُ الملـكِ حاضِرًا... فقـالَ لأبيه: "اسْـمَحْ لـي يـا أَبي أَنْ أُجَرِّبَ هَذِهِ الفَرَسَ بِنَفْسي..." فـوافقَهُ أَبـوهُ المِلِكُ عَلَى رغبتِه.. وَخَـرَجَ الجميعُ إلى فِناءِ القصرِ.. وَرَكِـبَ ابـنُ المَلِكِ الفَرَسَ.. وَحَـرَّكَ رِجْلَيْهِ.. فلـمْ تتحـركِ الفَـرَسُ.... فقـالَ لِصاحِبِها: "أينَ صِدْقُ ما تقولُ أَيُّها الرَّجُلُ؟"

فقالَ الرجلُ لابنِ الملكِ: "اضْغَطْ - يا سَيِّدِي - عَلَى الزِّرِّ الموجودِ يَمينَ رَقَبَةِ الفَرَسِ، وهِيَ تتحرَّكُ بِكَ حَيْثُ تريدُ."

وضَغَطَ ابْنُ المِلِكِ عَلَى الزِّرِّ وَحَرَّكَهُ إِلَى أَعْلَى.... فَتَحَرَّكَتِ الفَرَسُ بابنِ المِلِكِ إِلَى أَعْلَى .... وَلَمْ تَزَلْ خائِرةً بِهِ حَتَّى غابَتْ عَنْ أَعْيُنِ المشاهِدين.

وظَلَّ ابنُ الملكِ خائِرًا بِالفَرَسِ، لا يَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ يذهَبُ... وَتَصَوَّرَ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ خَدَعَهُ واحتالَ عليْه...

وأَخَذَ يَفكِّرُ في وَسيلةٍ يَهْبِطُ بِها، فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُجَرِّبَ الضَّغْطَ عَلَى الزِّرِّ مَرَّةً أخرىَ. ولما ضَغَطَ عَلَيْهِ إِلَى أسفَلَ، فُوجِئَ بأنَّ الفَرَسَ تَهْبِطُ في اتجاهِ الأرضِ، ففرِحَ بِذَلِكَ فَرَحًا شديدًا.. وَأخذَ يجرِّبُ الصُّعودَ والهُبوطَ، والاتجاهَ إلى اليمينِ وإلى الشِّمالِ.. حَتى تَدَرَّبَ جيِّدًا عَلَى أنْ يُوَجِّهَ الفرسَ إلى الجهةِ التي يُريدُها..

وفي أَثناءِ اقْتِرابِهِ من الأَرْضِ رَأَى مَدينةً جميلةَ البناء، رائعةِ التنظيم.. فقالَ في نَفْسِهِ: "سأَهْبِطُ في هَذِهِ المدينَةِ لأَسْتَمْتِعَ بِجَمالِها..."

وظَلَّ يحلِّقُ حَوْلَ المدينة.. حَتَّى رَأَى قَصْرًا كبيرًا لَهْ حَديقةٌ واسِعَةٌ .. كثيفةُ الأَشْجار.. فَهَبَطَ بفرسِهِ في الحديقةِ.. واختَبَأَ هُوَ وَفَرَسُهُ بَيْنَ الأشجار.

وفجأَةً رَأَى مَوْكِبًا مِنَ النساءِ وبَيْنَهُنَّ فتاةٌ جميلةٌ تَبكِي بِشِدَّةٍ... وَأَمامَها حارِسٌ أَسْوَدُ... يَحْمِلُ سَيْفًا.. وكانتِ النِّسْوَةُ يَلْتَفِفْن حَوْلَ الفتاةِ .. يُحاوِلْنَ أَنْ يُخَفِّفْنَ عَنْها...

سَمِعَ ابْنُ الملكِ الفتاةَ تبكِي وَتقولُ للنِّسوةِ: "أنا لَنْ أَتزَوَّجَ مِن ابْنِ مَلِكِ الجبال السبعةِ.. فَهُوَ رجلٌ شِريرٌ.. قاسي القلبِ.. لا يَعْرِفُ إلاَّ الحَرْبَ والقَتْلَ ... وأَبِي يطلُبُ مِنّي أَنْ أَقْبَلَ هَذا الزواجَ .. حَتَّى يَحْمِيَ المدينةَ وأهلَها مِنَ القَتْلِ والدَّمار!"

وبعدَ قليلٍ انصرفَتِ الفتاةُ وَمَن مَعَها، فَتَركَ ابْنُ المِلكِ فَرَسَهُ خَلْفَ الأَشْجارِ، وَراحَ يَتَجَوَّلُ في الحديقة.

فجأةً. ظَهَرَ لَهُ الحارسُ الأَسْودُ مِنْ بَيْنِ الأَشْجار، وَسَأَلَ الأميرَ: "مَنْ أَنتَ أَيُّها الغَريبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَتيتَ؟ أجابَ الأَميرُ: "أَنا ابْنُ مَلِكِ المملكةِ المجاورَةِ" فقالَ الحارسُ: "أنتَ مُعَرَّضٌ للقَتْلِ.. اِهْرَبْ مِنْ هُنا حالاً قَبْلَ أَنْ يراكَ الحراسُ" فقالَ الأَميرُ: "أخبرْني أَوَّلاً بِحِكايةِ هذِهِ الفتاةِ.. وَبَسبَب حُزْنِها" فقالَ الحارسُ: "إنَّ أَباهَا حاكِمُ هَذِهِ المدينةِ.. وقد خَطَبَها مَلِكُ الجبالِ السبعةِ لابنه واضْطُرَّ والدُها إِلَى الموافَقَةِ خَوْفًا مِنْ بَطْشِهِ.. غَيْرَ أنَّ الفتاةَ لا تُريدُ الزواجَ مِنْهُ لِما سمِعَتْهُ عَنْ شَرِّهِ" قال الأمير: "بإذنِ الله.. سأَحْمِي مَدينتَكُم مِنْ مَلِكِ البِلادِ السَّبْعَةِ وابْنِهِ"

خَلَبَ الأميرُ مِنَ الحارسِ الأسودِ أَنْ يأذَنَ له بمقابلةِ الحاكمِ والِدِ الفتاةِ.. دَخَلَ الأميرُ وعَرَّفَ الحاكِمَ بنفسهِ فَرَحَّبَ به.. لكنَّهُ وَجَدَ الحاكِمَ حَزينًا عَلَى ابْنَتِهِ.. خائِفًا مِنْ هُجومِ مَلِكِ الجبالِ السبعةِ.. الذي حَشَدَ جَيْشَهُ عَلَى حُدودِ المدينةِ.. يُهَدِّدُهُ بِالحَرْبِ إنْ هُوَ رَفَضَ تزويجَ ابنتِهِ الوحيدةِ بابنِهِ.

قالَ الأميرُ للحاكمِ: "لا تَخْشَ شَيْئًا... سَأَذْهَبُ حالاً إلى والدِي.. وأُخْبِرُهُ بالأَمْرِ.. ولَخْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَمْنَعَ عنكم الخطرَ.. فَلَدَيْنا جَيْشٌ كبيرٌ وقَويٌّ.. وَيَنْبَغِي أَنْ نَصُدَّ عَنْكُمُ العُدْوانَ.. فأنتُمْ جيرانُنا.... لَقَدْ كُنْتُ أَنْوي خَلَبَ الزَّواج بابْنَتِكَ.. لكنْ..يجبُ أن أُسرِعَ الآنَ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ ما لا نُحِبُّ.!."

خَرَجَ الأميرُ مِنْ باب القَصْرِ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الحديقةِ حيثُ الفَرَسُ العجيبةُ... ركِبَ الأميرُ الفَرَسَ، وَضَغَطَ عَلَى الزِّرِّ فارْتَفَعَتْ إِلَى أعلَى، وخارَتْ بِهِ بسرعةٍ حَتَّى وَصَلَتْ إلى قَصْرِ والدِهِ الملِكِ.

حَكَى الأميرُ ما فَعَلَتْهُ الفَرَسُ العجيبةُ، وَذَكَرَ كَيْفَ حَمَلَتْهُ وخارَتْ بِهِ إِلَى قَصْرِ جارِهِم حاكِمِ المدينة التي على حُدودِ البِلادِ، ثم قَصَّ الأميرُ على أبيهِ الملِكِ ما جَرَى مَعَ الحاكِمِ وابنتِهِ، وخَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُنْقِذَ المدينةَ مِنْ ظُلْمِ مَلِكِ الجبالِ السبعةِ وعدوانِه.

سَأَلَ الملِكُ صاحِبَ الفَرَسِ عما يريدُ.. فقالَ الرجلُ: "أُريدُ أَنْ أكونَ قائِدًا في جَيْشِ مَوْلايَ الملِكِ"

عَيَّنَ الملكُ صاحِبَ الفَرَسِ العجيبةِ قائِدًا في الجَيْشِ، ثُمَّ أَمَرَ قوادَهُ بأنْ يَسْتَعِدّوا لِصَدِّ هُجوم مَلِكِ الجبالِ السبعة.. وخرجَ الجيشُ بِضُبّاطِهِ وفُرْسانِهِ وجنودِهِ... وكانَ الأميرُ يَرْكَبُ فَرَسَهُ العجيبةَ ويطيرُ بِها فَوْقَ الأَعْداءِ، ويعودُ إلى جيشِهِ وَيُخْبِرَ قُوّادَهُ بِتَحَرُّكاتِ جُنودِ العَدُوِّ، ويدُلُّهُم عَلَى المكان الذي سيهجُمون مِنْه.. ولِذَلِكِ لم يستطعْ جَيْشُ مَلِكِ الجبالِ السبعةِ أن يَكْسِبَ أيَّ معركةٍ.!

ثم وقعتِ المعركةُ الكُبْرَى، وهُزِمَ مَلِكُ الجبالِ السبعةِ، وَقُتِلَ هو وابنُهُ، واستراحَتِ البلادُ مِنْ شَرِّهِما....

ذَهَبَ الحاكِمُ وَمَعَهُ وَفْدٌ مِنْ أَهْلِ المدينةِ إلى قَصْرِ الملكِ، وَشَكَرُوهُ.

وبَعْدَ أسبوعٍ، سافَرَ الملِكُ وابنُه في مَوْكِبٍ عظيمٍ إلى المدينةِ، وَخَرجَ الحاكِمُ لاسْتِقْبَالِهِمَا... وأُقيمَتِ الأفراحُ.. وعاشَ الجميعُ في سَعادةٍ وهَناءٍ.. وأَمْنٍ ولخمِئْنانٍ..

٥٤- الأَخَواتُ الثَّلاث

كـانَ لأَحَـدِ البِلادِ مَلِكٌ شابٌ قَويٌّ شُجاع، ولَكِنَّهُ حادُّ المِزاجِ سَريعُ الغَضَب. وفي أَحَدِ الأَيّام أَرادَ أَن يَتَعَرَّفَ عَلَى أَحوالِ النّاسِ في مَمْلَكَتِهِ، فَأَمَرَ أَهلَ البِلادِ أَن يُطْفِئوا الأَنوارَ لَيلاً، وَأَلاّ يُضيئوا أَيَّ مِصباح.

خَـرَجَ المَلِـكُ مَـعَ وَزيـرِهِ مُتَنَكِّـرًا في اللَّـيل، وَأَخَـذَ يَـتَجَوَّلُ في الأَحـياءِ والشَّوارِع. وَفي أَثناءِ سَيرِهِما لاحَظَ المَلِكُ الشّابُّ ضَوءًا يَبدو مِن شُبّاكِ أَحَدِ البُيوتِ في طَرَفِ البَلدَة. سارَ المَلِكُ غاضِبًا، وَوَقَفَ – هُوَ وَوَزيرُهُ – تَحتَ الشُّبّاكِ الَّذي يَصدُرُ مِنهُ الضَّوءُ، وَتَساءَلَ: "مَن هَؤلاءِ النّاسُ الَّذين خالَفوا أَوامِري؟"

كـانَ في البَيْتِ ثَلاثُ أَخَواتٍ فَقيرات، يَعمَلْنَ في غَزْلِ القُطْن. فَقَد ماتَ أَبوهُنَّ، وَلَـم يَتْرُكْ لَهُنَّ شَيْئًا مِنَ المال يُساعِدُهُنَّ في الحَياة. لِذَلِكَ خالَفَتِ الفَتَياتُ أَمرَ المَلِكِ، وَأَضأْنَ الغُرفَةَ لِيَعمَلْنَ حَتَّى يُوَفِّرْنَ لُقْمَةَ العَيْش.

وَلَما اقتَرَبَ المَلِكُ مِنَ البَيتِ سَمِعَ الأَخَوات الثَّلاثَ يَتَحَدَّثْن. قالَتِ الكُبرَى: "آه لَوْ يَتَزَوَّجُني الفَرّانُ الَّذي يَعمَلُ عِندَ المَلِك.. إذن لَشَبِعتُ مِنَ الخُبز." وَقالَتِ الأُختُ الوُسطَى: "آه لَو يَتَزَوَّجُني الجَزّارُ الَّذي يَعمَلُ في قَصرِ المَلِك.. إذَن لَشَبِعتُ مِن أَكلِ اللَّحم." فَضَحِكَتِ الصُّغرَى ساخِرَةً مِنهُما، وَقالَت بِثِقَةٍ واعتِداء: "أَنا لا أَتَزَوَّجُ إلاّ المَلِكَ الشّابَّ نَفسَه. أَضرِبُهُ عَلَى خَدِّهِ، فَيَنْحَني وَيَضَعُ القبقابَ أَمَامَ قَدَمِي."

سَمِعَ المَلِك كَلامَ الأُختِ الصُّغرَى، فَغَضِبَ غَضَبًا شَديدًا، وَهَمَّ بالدُّخولِ إِلَيْهِنَّ، لَكِنَّ الوَزيرَ هَدَّأَه، وَطَلَبَ مِنهُ أَن يَنتَظِرَ حَتَّى الصَّباح. طَلَبَ المَلِكُ مِنَ الوَزيـرِ أَن يَـضَعَ عَلامَـةً عَلَـى بـابِ البَـيْتِ حَتَّـى يَعـرِفَ جُـنودُهُ مَكانَـه، وَيُحْضِروهُنّ.

في صَباحِ اليَومِ التّالي، أَحضَرَ الجُنودُ الأَخَواتِ الثَّلاثَ، فأَمَرَ المَلِكُ أَنْ يَدخُلنَ عَلَيْهِ واحِدَةً بَعدَ الأُخرَى، وَأَن تَبْدَأَ الأُخْتُ الكُبرَى بالدُّخول.

وَكانَت أمُّ المِلِكِ حاضِرَةً إلى جِوارِه. فَلَمّا رَأَتها أَعجَبَها جَمالُها، وتَمَنَّت أَن تَكونَ زَوْجَةً لابنِها، رَغمَ ما تَرتَديهِ مِن مَلابِسَ فَقيرةٍ قَديمَة. لَكِنْ عِندَما سَأَلَ المِلِكُ الفَتاةَ عَن أُمنِيَتِها أجابَت بِأنَّها تَتَمَنَّى الزَّواجَ مِنَ الفرّانِ الَّذي يَعمَلُ في قَصرِه. فَأَمَرَ المِلِكُ لِلأُختِ الكُبرَى بِما تُريدُ، وَخَرَجَت مِنَ القَصرِ وَهِيَ تَحمِلُ الهَدايا مِن كُلِّ نَوْع.

ثُمَّ دَخَلَتِ الأُختُ الوُسطَى، فَلَمّا رَأَتها أُمُّ المِلِكِ أُعجِبَت بِجَمالِها – عَلَى الرَّغمِ مِن مَظهَرِها الفَقيرِ – وَتَمَنَّتْ أن تَكونَ زَوجَةً لابنِها المَلِك. لَكِنْ خابَ أَمَلُها عِندَما سَمِعَتِ الفتاةَ تَطلُبُ الزَّواجَ مِن الجزّارِ الّذي يَعمَلُ في قَصرِ المَلِك. وافَقَ المَلِكُ عَلَى طَلَبِ الأُختِ الوُسْطَى، وَأَمَرَ لَها بِما طَلَبَتْ، وَخرَجَت مُحَمَّلَةً بِالهَدايا.

أَخيرًا.. جاءَ دَورُ الأُختِ الصُّغرَى، وَلَمّا دَخَلَت أَدهَشَ جَمالُها أُمَّ المَلِكِ، وَقالَت في نَفسِها: "هَذِهِ سَتكونُ زَوجَةَ ابني مَهما كانَت أُمنِيَتُها." ثُمَّ سَعِدَتِ الأُمُّ عِندَما سَمِعَتِ الفَتاةَ تُجيبُ عَن سُؤالِ ابنِها المَلِكِ قائِلَةً: "أَنا لا أَتَزَوّجُ إلاّ المَلِكَ الشّابّ. أَضرِبُهُ عَلَى خَدِّهِ، فَيَنحَني وَيَضَعُ القُبقَابَ أَمامَ قَدَمي."

لَم يَكَدِ المِلِكُ يَسمَعُ كَلامَ الأُختِ الصُّغرىَ حَتَّى جُنَّ جُنونُهُ وَغَضِبَ غَضَبًا شَديدًا، ونادَى السَّيّافَ، وَأَمَرَهُ بِقَطعِ عُنُقِها. تَدَخَّلَتِ الأُمُّ وطَلَبَت مِن ابنِها أَن يُمْهِلَ الفَتاةَ فَهِيَ صَغيرَةٌ لا تَعقِلُ، وَلَعَلَّها تُراجِعُ نَفسَها وَتُغَيِّرُ كَلامَها، وإنْ لَمْ تَفعَل فَلْيَقطَع – عِندَئِذٍ – رَأسَها.

اِستَجابَ المِلِكُ لِطَلَبِ أُمِّهِ، وَأَمهَلَ الفَتاةَ ثَلاثَةَ أَيّام. ثم تَوَسَّلَتِ الأُم لابنِها المِلِكِ أَن يَسمَحَ لِلفَتاةِ أَن تُقيمَ عِندَها الأَيامَ الثَّلاثَةَ، فَوافَقَها عَلَى طَلَبِها.

أُعجِبَت الأُمُّ بالفَتاةِ الصُّغرَى إعجابًا أَكثَرَ مِن إعجابِها بأُختَيْهَا، فَدَعَتها إلَى غُرفَتِها، وَأَمَرَتِ الخادِماتِ أَن يأخُذْنَها إلى الحَمّامِ لِتغتَسِل، ويُلْبِسْنَها أَفخَرَ الثِّيابِ، وَيُعطِّرْنَهَا بِأَجمَلِ العُطُورِ.

سارَتِ الفَتاةُ بِرَشاقَةٍ، تُحَلّي رَقَبَتها أَغلى الجَواهِرِ. وَلَما رَأَتها الأُمُّ قالَت لَها إنَّها تَتَمَنَّى أَن تَكونَ زَوجَةً لابنِها المِلك، وإنَّها قَد فَعَلَت كُلَّ ما تَستَطيعُ حَتّى يُوافِقَ المَلِكَ عَلَى الزَّواجِ مِنها، لَكِنَّ ابنَها الشّابّ حادّ المِزاجِ سَريعُ الغَضَب، وَلَيسَ أَمامَها غَيرُ ذَكائِها لِتَجْذِبَ انتِباهَهُ وَتُثيرَ اهتِمامَهُ بِها. ثُمَّ أَخبَرَتها أَنَّ ابنَها يَخلو بِنَفسِهِ مَساءَ كُلِّ يوم، وَيَجلِسُ في شُرفَةِ القَصرِ، وَما عَلَيْها إلاّ أَن تَنزِلَ إِلَى الحَديقَةِ، وَتَتَمشَّى أمَامَهُ حَتَّى يَراها.

وقُبَيلَ المَساءِ نَزَلَتِ الفَتاةُ إِلَى الحَديقَةِ، وَسارَت بَيْنَ أَشجارِها وأزهارِها الجميلةِ تَستَمِعُ إِلَى تَغريدِ الطُّيور. رَأَى الملِكُ الفَتاةَ فَأُعجِبَ بِجَمالِها إعجابًا شَديدًا، وَظَنَّها إحدَى الأَميراتِ في ضِيافَةِ أُمِّه. وَأَرسَلَ المَلِكُ الخَدَمَ بِسُرعَةٍ لِيَدْعُوَهَا لِمُقابَلَتِه. وَعندَما ذَهَبوا إِلَيْها لَم يَجدوها. فَقَد رَجَعت إِلَى غُرْفَتِها وَبَقِيَتْ فيها.

وَفي مَساءِ اليَومِ التّالي خَرَجَتِ الفَتاةُ إِلَى حَديقَةِ القَصرِ تَرتَدي ثِيابًا أَجمَلَ مِمّا ارتَدَتْها بالأَمس، وَراحَت تَتَجَوَّلُ في خُطُواتٍ رَشيقَةٍ في أَنحاءِ الحَديقَةِ، وَكانَ المَلِكُ الشابُّ في شُرفَةِ قَصرِهِ كَعادَتِهِ يَنظُرُ إِلَيْها بإعجابٍ شَديد. أَرسَلَ المَلِكُ الخَدَمَ وراءَها لِدَعْوَتِها لَكِنَّها كانت قَد اخْتَفَتْ.

وَقَبلَ أَن تَنامَ الفَتاةُ في ذَلِكَ اليَومِ دَعَتها المَلِكَةُ إِلَى غُرفَتِها، وَذَكَرَت لَها أَنَّ المِلكُ باحَ لَها بِحُبِّهِ لأَميرةٍ مِنَ الأَميراتِ الجَميلات يَراها في الحَديقَةِ مَساءَ كُلِّ يَوم، لَكِنَّهُ لا يَعرِفُ مَنْ هِيَ، وَأَنَّهُ يُرسِلُ وَراءَها الخَدَمَ فَلا يَجِدونَ لَها أَثَرًا.

في اليومِ الثّالِثِ أَلبَسَتِ الأُمُّ الفَتاةَ مَلابِسَ أَروَعَ مِمّا لَبَسَتُه مِن قَبل، فَخَرَجَتْ إِلَى حَديقَةِ القَصر تَتَمايَلُ في مِشْيَتِها، وَكانَ المَلِكُ الشّابُّ في شُرفَةِ القَصرِ يَنتظِر، فَلَمّا رَآها دَعاها إِلَى الشُّرفَةِ، فَصَعِدَت إِلَيْه، وَجَلَسَت تَتَحَدَّثُ مَعَهُ، وَهُوَ يُقَدِّمُ لَها العَصِيرَ وَالفَواكِهَ اللَّذيذَةَ، وَقَد أُعجِبَ بِحَديثِها الحُلوِ الّذي شَغَلَهُ عَن جَمالِها.

وَبَينَما كانَ يُناوِلُها كَأسَ العَصِيرَ، تَعَمَّدَت أَن تَترُكَهَا تَسقُطُ عَلَى الأَرضِ، فَابتَلَّ-خَرفُ ثَوْبِها بِبَعضِ العَصِيرِ أَمسَكَ المَلِكُ مِنديلَهُ، وَمَسَحَ بِهِ العَصيرَ الّذي أصابَ ثَوْبَها، فَطَلَبَت مِنهُ أَن تَحتَفِظَ بِالمنديلِ، فَقَدَّمَهُ إِلَيها هَدِيَّةً.

وأَقبَلَ المَساءُ فاستَأذَنَتِ الفَتَاةُ بِالانصِراف.فَصَمَّمَ المِلِكُ عَلَى أَن يَنزِلَ مَعَها لِيُوَدِّعَها حَتَّى بابِ الحَدِيقَة. وبينما كانا يهبطان السُّلَّمَ تظاهرت بأنها تَعثَّرتْ، وَأفلَتَت قُبقابَها مِن قَدَمِها، فَسَقَطَ إِلَى أَسفَلِ السُّلَّم. أَسرَعَ المِلِكُ إِلَى القُبْقَابِ والْتَقَطَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ صَعِدَ إِلَيها، وَانحَنَى وَوَضَعَهُ أَمامَ قَدَمِها الصَّغيرَةِ، فَمَسَحَت عَلَى خَدِّهِ بِأَنامِلِها الرَّقيقَةِ. ثُمَّ وَصَلَ الاثنان إِلَى البابِ، فَوَدَّعَها المَلِك.

ولَمّا جاءَ الصَّباحُ، وَبَينَما كانَ المِلِكُ جالسًا يُفكِّرُ فِي أَمرِ الأَميرةِ الجَميلةِ، دَخَلَت عَلَيْهِ أُمُّهُ وَمَعَها الفتاةُ في صورتِها الأولَى وَمَلابِسِها القَديمَة.وَسَأَلَها المِلِكُ عَن أُمنيَتِها فَأعادَتْ عَلَيهِ الجَوابَ الّذي ذَكَرَتْهُ مُنذُ ثَلاثةِ أيام... بِأَنَّ أُمْنِيَتَها أَن تَتزَوَّجَ المِلِكَ الشّابَّ، تَضربُهُ عَلَى خَدِّهِ فَيُقدِّمُ لَها القُبقابَ لِتَلْبِسَهُ في قَدَمِها. غَضِبَ المِلِكُ وَأعادَ عَلَيْها السُّؤالَ فَأعادَتِ عَلَيْهِ الجَوابَ نَفسَه. عِندَئِذٍ ثارَ المِلِكُ، وَنادى السَّيّافَ بِأعلَى صَوْتِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُنَفِّذَ الحُكمَ السابِقَ في الفَتاةِ، وَيَقطَعَ رَقَبَتها بِالسَّيْف.

لَكِنْ! فوجِئَ المِلِكُ بالفَتاةِ وَهِيَ تَرفَعُ مِنديلَهُ بِأنامِلِها الرَّقيقَةِ، وَما تَزالُ آثارُ بُقَعِ العَصيرِ عَلَيه. دُهِشَ المِلِكُ، وَسَأَلَها: "ما هَذا؟ كَيفَ وَصَلَ مِنديلي الخاصّ إِلَيكِ؟! مَن أنتِ؟"

اِبتَسَمَتِ الفَتاةُ، وَقالَت بِأَدَب: "أَنا الَّتي أَحضَرْتَ لَها – مساءَ أَمسِ – القُبقابَ مِن أَسفَلِ السُّلَّم.. وَأَنا الّتي مَسَحتُ عَلَى خَدِّكَ بأنامِلي."

نَهَضَ المِلِكُ مِن مَجلِسِهِ، وَاقتَرَبَ مِنَ الفَتاةِ وَهُوَ يَنظُرُ إِلَيها بِإعجابٍ وَحُبٍّ، وَالتَفَتَ إِلَى أُمِّهِ، وَشَكَرَها عَلَى حُسنِ تَدبيرِها، ثُمَّ أَعلَنَ عَزمَهُ عَلَى الزَّواجِ مِن تِلكَ الفَتاة. فَأُقيمَتِ الأَفراحُ في المَملَكَةِ، وَتَزَوَّجا، ثمَّ دَعا المَلِكُ الفرّانَ والجزّارَ وَزَوجَتَيْهِما لِلإِقامَةِ في جَناحٍ بِقَصْرِهِ، وَعاشَ الجَميعُ في سَعادَةٍ وَهَناء.

٥٥- الفارسُ الملثَّم

(١)

كَانَ فارسٌ مُسلِمٌ اسمُهُ ضِرارٌ بنُ الأَزور يَستَعِدُّ للخُروج لِحَرْبِ الرّومِ مَعَ القائِدِ خَالِدِ بِن الوَليد. وكانَ ضرارٌ يُحَدِّثُ أُختَهُ خَوْلَةَ عَمّا يَفْعَلُهُ المجاهِدونَ المسلمِونَ مِن بُطولاتٍ مَعَ أَعدائِهم.

طَلَبَتْ خَوْلَةُ مِن أَخيهَا أَن تَخرُجَ مَعَ نِساءِ المُسْلِمينَ اللّاتي يَخرُجْنَ مَعَ الجَيشِ يَحمِلْنَ الزّادَ والماء، ويُجَهِّزنَ الطّعام، ويُعالِجنَ الجَرْحَى، ويضمِّدنَ جِراحَهُم.

بَدَأَتِ المعارِكُ بينَ المسلِمين والرّوم. كانَ المسلمونَ يَنتَصرون في كَثيرٍ منها، وكانوا يَتَعَرَّضونَ لِلهَزيمَةِ في بَعضِها. وَفي إحدَى المعارِكِ وَقَعَت خَوْلَةُ بِنتُ الأَزوَرِ في أَسرِ الرّوم مَعَ بَعضِ زَميلاتِها المُجاهِدات.

كانَت المعارِكُ ما تَزالُ دائِرةً قريبًا مِنَ المُعَسكَرِ الّذي فيهِ الأَسِيرَاتُ المُسلِمات. جَمَعَت خَولَةُ صاحِباتِها الأَسِيرَاتِ، واتَّفَقَت مَعَهُنَّ عَلَى خُطَّةٍ لِلهُروبِ مِنَ المُعَسكَر. مَرَّتْ ساعاتٌ، وغادَرَ المعسكَرَ بَعضُ الحُرّاسِ الرّومِ لُمِساعَدَةِ جَيشِهِم في المَعرَكَة. وَوَجَدَت خَولَةُ بِنتُ الأَزْوَرِ الفُرصَةَ مُناسِبَة، وَقالَت للمجاهِداتِ المُسلِمات: "يا بناتِ العَمّ. ذَهَبَ أَكثرُ الحُرّاسِ الرّومِ إلَى مَيدانِ المَعرَكَةِ لُمساعَدَةِ جُنودِهِم، وَجاءَ الوقتُ لِتَنفيذِ الخُطَّة. إنَّ الموتَ أشرَفُ لَنا مِنَ الفَضيحَةِ والعار. هَيّا نَهجِمْ عَلَى الحُرّاسِ الباقين هَجمَةً قَوِيّةً وَنَقْتُلْهُم، وَنَفِرّ مِن هَذا السِّجنِ، واللهُ مَعَنا".

(٢)

اقتَلَعَتِ النِّساءُ أَعمِدَةَ الخيامِ والأَوتادِ الخَشَبِيّة، واندَفَعنَ نَحوَ الحُرّاسِ يَضْرِبْنَهُمْ بِقُوَّةٍ وعُنف. ذُهِلَ الحُرّاسُ مِنَ المفاجَأة وخافوا وَهَرَبوا أمامَ شَجاعَةِ خَوْلَةٍ وَمَن مَعَها مِنَ المجاهِدات.

أَسرَعَتِ المُجاهداتُ إلَى مُعَسكَرِ خالِدِ بن الوليد، ولّما رَأَى جُنودُ المسلِمين النساءَ يَعُدْنَ مِنَ الأسرِ هَتَفوا وَكَبرَّوا: "اللّه أكبر..اللّهُ أكبر".ثُمَّ هَجَموا عَلَى الرَّومِ وَهزَموهُم، وَفَرَّ الرّومُ إلَى قَلعَةٍ أُخرَى يَحْتَمونَ فيها.

تَقابَلَ ضِرارٌ وَأُختُهُ خَوْلَةُ، وَقَصَّتْ عَلَيه حِكاية أَسرِهنّ، وَكَيفَ استَطاعَت المجاهِداتُ التَّغَلُّبَ عَلَى الحُرّاس، فامتَلأَ قَلبُهُ بالحَماس.

جاءَ مَوعدُ مَعرَكَةٍ جَديدَة، وَهَجَمَ ضِرارٌ عَلَى جُنودِ الرّومِ، وَقَتَلَ مِنهُم عَدَدًا كَبيرًا، مِن بَينِهم اِبنُ قائِدِ جَيشِ الرّوم. سَمِعَت خَولَةُ أخبارَ بُطولَةِ أَخيها وَشَجاعَتِهِ فَهتَفَت بأناشيدِ النّصر. لَكنْ! لم تَتِمّ فَرحَتُها. فَقَد جاءَ أَحَدُ جُنودِ المُسلمينَ وَقالَ إنَّ أَخاها ضِرارًا قد وَقَعَ في أَسرِ الرّوم.

(٣)

حَزِنَت خَوْلَةُ عَلَى أَخيها، واِسوَدَّتِ الدُّنيا في عَيْنِها وَفَكَّرَت في أَمرٍ خطير. تَسَلَّلَت خَولَةُ مِن صُفوف النِّساء في حَذَرٍ دون أن يَراها أَحَد.

دُهِشَ جُنودُ المُسلِمين وَهُم يَرَون بينَهم فارِسًا مُلَثَّمًا – قَد غَطَّى رأسَه بِقِطْعَةِ قُماشٍ أَسود – يَهجُمُ عَلَى عَسْكَر الرّوم بِشجاعَةٍ وَقُوَّة، يَضرِبُهُم بِسَيفِه، وَيَقتُلُ مِنهُم عَدَدًا كبيرًا.

لَم يَستَطِع أَحَدٌ أَن يَعرِفَ حَقيقةَ هَذا الفارِس لأَنَّهُ كانَ يُخفِي وَجْهَه، ولا يُظهِرُ غَيرَ عَينَيه. ظَنَّهُ المُسلِمون قائِدَهم خالِد بنَ الوَليد، لَكِنَّهُم رَأَوا خالِدًا بَينَهُم فَزَادَ عَجَبُهُم. وَفَكَّروا.. مَن يَكون؟! قالَ الجنُودُ المسلِمونَ لِخالِد: "اُنظُر أيُّها الأَمير، لَقَد هَجَمَ هذا الفارِسُ المُلَثَّمُ عَلَى عَسْكَرِ الرّوم، يَضرِبُ بِسَيفِهِ يَمينًا وشِمالاً وَلا يُبالي بالموت" نَظَرَ خالِدٌ إلَى ميدانِ المَعرَكَة، وَأَدْرَكَ أَنَّ النَّصرَ قَريب، فَصاحَ في جُنودِ المسلِمين: "أَيُّها الرِّجَالُ. اهجُموا جَميعًا وراءَ هَذا الرَّجُل".

(٤)

اِنطَلَقَ الرِّجالُ وخالدٌ أمامَهم، فإذا الفارِسُ يَهجُمُ في سُرعَةٍ وشَجاعَةٍ والمُسلمِون مِن خَلْفِه يَشقُّون صُفوفَ الرّوم، وَيُفَرِّقون جُموعَهم. وَصَلَ الفارسُ المَجهولُ أخيرًا إلَى حَيثُ كانَ خالِدُ بنُ الوَليد، وَقَد غَطَّى رداءَهُ الدّمُ.

صاحَ خالدٌ في الفارِسِ المُلَثَّم: "ما أَشجَعَكَ أَيُّها الفارِس! لَقَد قاتَلتَ أَحسَنَ قِتالٍ في سَبيلِ الله، اِكشِف عَن وَجهِكَ لِنَعرِفَ مَن تكون."

لَم يكشِفِ الفارِسُ عَن وَجهِه، وانصَرَفَ مِن غَيرِ أَن يَقولَ كَلمَة. وَسَأَلَهُ خالِدٌ في لَهفَة: "وَيْحَك. لَقَد شَغَلتَ قُلوبَ الناسِ فَقُل لَنا مَن أَنت؟!".

وَقَفَ الفارسُ في مَكانه، وَظَلَّ ساكِتًا لا يَتَكَلَّمُ وَلِثامُهُ عَلَى وَجهِهِ لا يُظهِرُ إلاّ عَيْنَيْه. طَلَبَ خالِدٌ مِنَ الفارِسِ أَن يَتَكلَّم. وأخيرًا تَكَلَّمَ الفارِس. سَمِعَ خالِدٌ صَوتَ الفارس. لم يَكُنَ صَوتَ رَجُل، بَل كانَ صَوتَ امرأَة.

قالت: "لَم أُجِبْكَ أَيُّها القائِدُ حَياءً مِنك، فاغفِر لي سُكوتي وَصمْتي. أنا خَولَةُ بِنتُ الأَزوَر. وكُنتُ مَعَ النِّساء فَسمِعتُ بِأسرِ أخي ضِرار، فَرَكِبتُ وحارَبتُ مَعَ جُنودِ المسلِمين لأُحرِّرَهُ مِنَ الأَسر، وأُنقِذَهُ مِن يَدِ الرّوم."

سَمِع خالِدٌ خَولَة، وأَعجَبَته جُرأَتُها وَشجاعَتُها وَحُبُّها لأخيها. ثم صاحَ في الجُنودِ: "سَنَهجُم عَلَى الرّوم مَرَّة ثانِيةً لنخلِّصَ ضِرارًا - أخا هَذِهِ البَطَلَةِ - مِنَ الأَسْرِ بِإذنِ الله."

دارتِ المَعركةُ بَينَ المسلِمينَ والرّوم، وحارَبَت خَولَةُ بِشَجاعة. ضَعُفَ الأَعداءُ وَأَلْقَوْا سِلاحَهُم وَسَلَّموا، وَتَمَّ النَّصرُ للمسلِمين، لكنَّ خَولَةَ لَم تعثُر عَلَى أخيها، وقالَ أَحَدُ الأَسرَى الرّوم إنَّ قائِدَهُم قَد أَخَذَ أخاها ضِرارًا مَعَهُ أسيرًا إلى بَلدَةٍ قَريبة، وَجَعَلَ عَلَى حِراسَتِهِ مائِةَ فارِسٍ لأنَّ ضِرارًا قَتَلَ ابنَه.

أَمَرَ خالِدٌ بِأن يَذهَبَ مِائةٌ من الرِّجال الشُّجعانِ إلَى البلدَةِ لِيُنقِذوا ضرارًا. انطَلَقَ الجُنودُ المائةُ ومَعَهُم خَولَةُ حَتَّى وَصَلوا إلَى مُعَسكَرِ الرّوم في البَلدَةِ وَعَرَفوا أَنَّ ضِرارًا أسيرٌ عِندَهم. هَجَمَ المسلِمون عَلَى الرّوم، وَبَرَزَ الفارِسُ

المَلَثَّمُ مِن جَديدٍ يَضرِبُ بِسَيفِهِ رِقابَ الأَعداء، وَيُلقِي الخَوفَ في قُلوبِهِم، وانتهت المَعرَكة، فَقَد فَرَّ الرّوم، وَوَقَفَ ضِرارٌ يَنظُرُ حَولَهُ في دَهشَةٍ وإِعجابٍ بِالفارِسِ المُلَثَّم الّذي كانَ سَبَبًا في النَّصر.

قَفَزَ الفارِسُ المَجهولُ مِن فَوق ظَهر حِصانِه، وَأَقبَلَ عَلَى ضِرار، وَكَشفَ عَن لِثامِه. عِندَئِذٍ صاحَ ضِرار: "خَولَة! أَهَذِهِ أنتِ؟! لا أصدِّقُ عَيْنَيَّ. عَرَّضتِ حياتَكِ للمَوتِ مِن أَجلي يا أُختَاه؟!" قالَت خَولَةُ وَهِي تَشُدُّ على يَدَيه: "وهل لِلحَياةِ بَعدَكَ قيمَةٌ يا ضِرَارُ؟!"

٥٦- قِطعَةٌ مِن حَديد

بَـشيرٌ وتامِرٌ أَخَوان يَسكُنانِ قَرَيَةً في الرّيف. ذاتَ صَباحٍ أَرادا أَن يَذهَبا إلى السّوقِ لِيَبيعا الخَضراوات.

وَضَـعَ الأَخَـوان عَلَى ظَهرِ الحِمـارِ كُـلَّ مـا لَـدَيهما مِن خَضراوات، واتَّفَقا على أَن يَـركَبَ أَحَـدُهما الحِمارَ في الذّهابِ إلَى السّوق، وأن يَركَبَهُ الآخَرُ في العَودَةِ إلَى القَريَة.

رَكِـبَ بَـشيرٌ الحِمـارَ أَوَّلاً، وسـارَ تامِـرٌ إلَـى جِـواره. وفي الطّريقِ رَأَى بَشيرٌ قِطعَـةً صَـغيرَةً مِـنَ الحَديد مُلقـاةً عَلَى الأَرض، فقـالَ لأَخيه تامِر: "اِلتَقِـط – يا تامِر – تِلكَ القِطعَـةَ، فَقَـد نَبيعُها وَنَستَفيدُ بِثَمنِها." نَظَرَ تامِرٌ إلَى القِطعَةِ وقالَ دونَ اهـتِمام: "أنـا لا أُتعِبُ نَفسي وَأَنحَني لأَلتَقِطَ مِثلَ تِلكَ القِطعَةِ الصَّغيرة.. فَهِي لا تُساوي شَيئًا."

سَـمِعَ بَـشيرٌ كَـلامَ أَخيهِ تامِر، وَنَـزَلَ مِن فَـوقِ ظَهرِ الحِمار، والتَقَطَ قطعَةَ الحَديـد، وَرَكِـبَ الحِمـارَ إلَـى سـوقِ المدينـة. وَهُـناكَ بـاعَ الأَخـوان كُـلَّ الخَـضراواتِ الـتي مَعَهُمـا، وَقَبلَ العَودَةِ إلَى القَريةِ عَـرَضَ بَـشيرٌ قِطعَةَ الحَديدِ لِلبَيع، وباعَهـا بِسعرٍ مَعقـول، واشتَرَى بِثَمَنِها بَعضَ الخـوخ، ثُمَّ بَدَأَ الأخوان رحلَةَ العَودة. تامِرٌ يَركَبُ الحِمارَ، وَبَشيرٌ يَسيرُ بِجِواره حامِلاً كيسَ الخوخ.

كانَـتِ العَـودَةُ وَقتَ الظُّهر، وَحَرارَةُ الشَّمسِ قَويَّةٌ، والحَرُّ شَديد.أَحسَّ تامِرٌ بـالعَطَش، فَطَلَـبَ مِن أَخيهِ أَن يُعطِيَهُ خـوخةً واحِدَةً يَروي بِها ظَمأَهُ. وَضَعَ بَشيرٌ الحَبَّةَ عَلَى الأَرض، وَقالَ لأَخيه: "تَفَضَّل يا تامِر خُذِ الخوخَة." نَزَلَ تامِرٌ مِن عَلَى ظَهرِ الحِمارِ وَأَخَذَ الخوخَةَ، ثُمَّ رَكِبَ الحِمار، وَسارَ في طَريقِه.

شَعَرَ تامِـرٌ بـالعَطَشِ مَـرَّةً ثانِـيَةً، وَطَلَـبَ مِـن أَخيه أَن يُعطِيَهُ خوخَةً أُخرَى، فَرَمَـى لَـهُ بَـشيرٌ الخـوخَةَ الثانِيَةَ عَلَى الأَرض، فاضطُرَّ تامِرٌ إلى النُّزول لأَخذِها. ولَـم يَمُـرَّ وَقـتٌ طَـويلٌ حَتَّـى أَحَسَّ تامِرٌ بـالعَطَشِ، وفي هَـذِهِ المَرَّةِ أيضًا وَضَعَ بشيرٌ الخوخَةَ عَلَى الأَرض، وَنَزَلَ تامِرٌ لالتِقاطِها.

اِلتَقَطَ تامِرٌ الخوخَةَ الثّالِثَة، وَصَعِدَ عَلَى ظَهرِ الحِمار، وَسَأَلَ أَخاهُ: "لماذا تُعَذِّبُني - يا بَشيرُ وَترمي حَبَّةَ الخوخِ عَلَى الأَرض.. وَتُنزِلَني مِن عَلَى ظَهرِ الحِمارِ في كُلِّ مَرَّة؟" فقالَ لَهُ أَخوهُ بَشير: "لَوْ أَنَّكَ كَلَّفتَ نَفسَكَ وانْحَنَيْتَ مَرَّةً واحِدَةً، وَأَخَذتَ قِطعَةَ الحديدِ في الذَّهاب، لما اضطُررتَ إِلَى النّزولِ إِلَى الأَرضِ ثلاثَ مَرّاتٍ في العَودةِ، وَلَكانَ الخوخُ كُلُّهُ مَعَكَ تَأكُلُ مِنه ما تَشاء."

٥٧- الذَّهَبُ والحِكمة

كانَ رَجُلٌ عاقِلٌ يعيشُ في كوخٍ صغيرٍ بجوارِ قَصْرٍ كبيرٍ يَمْلِكُهُ رَجُلٌ غنيٌّ جدًّا، لكنَّهُ جاهِلٌ وأَحْمَقٌ... كانَ الغنيُّ يقولُ للعاقِل: "بماذا يفيدُك علمُكَ وحِكْمَتُك؟!!! أنتَ فقيرٌ لا تَجِدُ طَعَامًا كافيًا ولا ملابسَ مناسبةً تسترُ بِها جِسْمَك!!"

فيرُدُّ الحكيمُ العاقِلُ: "أنتَ مثلُ الدابّةِ التي تَحمِلُ فوقَ ظهرِها أكياسَ الذهب، لكنَّها لا تعرفُ كيفَ تستفيدُ مِنْ هذِهِ الثروة. ولا كيفَ تَنْفَعُ بها الناسَ! أموالُكَ التي تفخرُ بها لا تُسَاوي شَيْئًا أمامَ ذَكَائِي وحِكْمَتي!!"

اغتاظَ الغَنِيُّ الجاهِلُ مِنْ قَوْلِ الحكيمِ العاقِل، وَصَمَّمَ عَلَى أنْ يَأْخُذَهُ إلى الحاكم لِيَعْرِضَ عليه ما بينَهُما مِنْ خِلافٍ.. قالَ الحاكِمُ للغنيّ: "إذا نَجَحَ العاقِلُ في أَنْ يُثْبِتَ أَنَّ حِكْمَتَه أفضَلُ مِنْ مالِكَ فعليكَ أن تُعْطِيَه نصفَ ثروتِك" وافَقَ الغَنِيَّ عَلَى طَلَبِ الحاكم، وأعلَنَ ذلك أمامَ الحاضِرين... كَتَبَ الحاكِمُ رِسَالَةً قَصِيرَةً، وأَغْلَقَها وخَتَمَها بِخاتِمه. قَدَّمَ الحاكمُ الرسالةَ للرجُلَيْنِ وقال: "اذهَبا بهذه الرسالةِ إلى حَاكِمِ البلدِ المجاوِر، وسوف يَحْكُمُ بينَكُما وَيُنْهِي خلافَكُما.

انطلَقَ الغَنِيُّ الجاهِلُ معَ الفقيرِ الحكيمِ إلَى البلدِ المجاوِر، وقَدَّما الرسالةَ إلى حاكِمِها. فتحَ الحاكمُ الرِّسَالَةَ، وقرأ: "أرجو أَنْ تَقْتُلَ - في الحال - مَنْ يَحْمِلانِ إليكَ هذِهِ الرّسالةِ..." شَعَرَ الحكيمُ والغَنِيُ بالخوفِ الشديدِ وأَدْرَكَا أنهما في خطَر... وأصبحَ عَلَى كُلٍّ مِنْهما أَنْ يستخدِمَ حيلتَه وذكاءَهُ لِيَنْجُوَ مِنَ الموْت...

بدأ الغنِيُّ يعرضُ أموالَه عَلَى الحاكِمِ لِيَعفُوَ عنه... فَرَفَض... حاولَ أَنْ يَرْشُوَ مَنْ سَيَقُومُ بقتلِهِ لِيَتْرُكَهُ حَيًّا.... فلَمْ يقبَلْ... حاوَلَ أن يُعْطِيَ الحُرّاسَ بعضَ المال... فَرَفَضوا أَنْ يتركُوهُ يَهْرُب عندئذٍ التفتَ الغَنِيُّ إِلَى الفقيرِ الحكيمِ

وقالَ لَهُ وَهُوَ خائِف: "فشِلْتُ وَفَشِلَ ذَهَبِي ومالِي... هَيّا .. حاوِلْ إنقاذَ حياتِنا بِحِكْمَتِك... فإذا نَجَحْتَ، سأنفِّذُ الاتفاقَ، وأعطيكَ نِصفَ ثَرْوَتِي.

أَمَرَ الحاكِمُ الحُرّاسَ أن يأخُذوا الرجُلَيْن لتنفيذِ الحُكم... انْفَجَرَ الحكيمُ ضاحِكًا في سُخْرية... تَعَجَّبَ الحَاكمُ وسألَه: "هل أصابَكَ الجنونُ يا رجُل؟ كيفَ تَضْحَكُ وأنتَ تَعْرِفُ أنك ستموتُ بعدَ لَحَظات؟!" أجابَ الحكيمُ وَهُوَ يَسْتَخْدِمُ ذَكَاءَه وحِكْمَتَه: "منذُ عِدّةِ أيامٍ – يا مَوْلاَيَ – زارَ بَلَدَنا شيخٌ صَالِحٌ، يَثِقُ فيه الناسُ، وَعِنْدما شاهَدَنا في قَصْرِ حاكِمِ بَلَدِنا قالَ له: "كيف تَتْرُكُ هَذَيْن الرجُلَيْن في بَلَدِك؟ وكيفَ تُحْضِرُهما إلى قَصْرِك؟ إنهما يَجْلِبان الشَّرَّ والسُّوءَ إلى أيِّ مكانٍ يَحِلاّن فيه.... لا تَقْتُلْهُمَا أنتَ، وإلاّ انتقَلَ حَظُّهُما السيِّءُ إليك.. أَرْسِلْهُما إلى حاكِمٍ آخرَ لِيَقْتُلَهُما بَدَلاً مِنك.."

خافَ الحاكمُ عِنْدَما سَمِعَ هَذا الكلامَ... وتَقَدَّمَ الوزيرُ منه وقالَ في صَوْتٍ مُرْتَعِش: "اترُكْهُما يا مَوْلاَيَ... إنَّ كلامَ الرجلِ يبدو صَحيحًا، وإلاَّ فَلِماذا لم يقتُلْهُما حاكِمُ بَلَدِهِمَا؟!! إنه يريدُ بذلك أَنْ يُعَرِّضَكَ للشَّرِّ وينجوَ بنفسِه.."

زَادَ خَوْفُ الحاكِمِ، وأمرَ رجالَه بِطَرْدِ الرجُلَيْن فورًا إلى خارجِ حُدودِ بلدِه.

رَجَعَ الرجلان إلى حاكِمِ بلدِهما، وأخبراه بِكُلِّ ما حَدَث، فَضَحِكَ الحاكِمُ وقال: "كنتُ أعتقِدُ طَوالَ عُمْري أَنَّ الحِكْمَةَ أَغْلَى مِنَ الذَّهَب... لكنَّني أَرَدْتُ أَنْ أتأكَّدَ مِنْ ذَلِكَ عمليًّا... والحمدُ لله انتصرَتِ الحكمةُ وَصَدَقَ اعْتِقَادِي"

التفتَ الرجلُ الغَنِيُّ إلى الحكيمِ الفَقِير وقالَ: "لقد عَرَفْتُ الآنَ أَنَّ الثروةَ لا قيمةَ لها مِنْ غيرِ العَقْلِ والحِكْمَةِ"... نَفَّذَ الغنيُّ الاتفاقَ وأَعْطَى نصفَ ثروتِهِ للحَكِيم... أَمَّا الحَاكِمُ... فقد مَنَحَ العاقِلَ مثل قدْرِها مُكافَأَةً لذكائِهِ وحِكْمَتهِ...

٥٨- مَرزوقٌ في سَعادَة

مَرزوقٌ فَتًى صَغيرٌ، مَكَثَ سَبعَ سَنَواتٍ في خِدمَةِ أَحَدِ التُّجّار. وَذاتَ يَومٍ قالَ مَرزوقٌ لِلتّاجِر: "يا سيِّدي انتهَت مُدَّةُ خِدمَتي، وَأُريدُ العَودَةَ إِلَى قَرْيَتي، فَوالِدَتي تَنتَظِرُني.." قالَ التّاجِرُ: "لَقَد خَدَمتَني بِإخلاصٍ وَأَمانَة... لِذَلِكَ سَأجازيكَ خَيرَ الجَزاء.." وَأَعطاهُ قِطعَةً مِنَ الذَّهَبِ في حَجمِ الكُرَةِ الكَبيرَة. أَخرَجَ مَرزوقٌ مِنديلَهُ مِن جَيبِه، وَلَفَّ فيه قِطعَةَ الذَّهَبِ، وَحَمَلَها عَلَى كَتِفِهِ، وانصَرَفَ عائِدًا إِلَى بَلدَتِهِ.

وَفي الطَّريقِ قابَلَ فارِسًا يَركَبُ حِصانًا مُمتَلِئًا نَشلخًا وَحَيَوِيَّة... نَظَرَ مَرزوقٌ إِلَى الفارِسِ وَهُوَ يَسيرُ بِحِصانِهِ يَتَبَختَرُ في زَهوٍ وَفَخْر، فقال بإعجاب شديد: "ما أجملَ ركوبَ الخيل... يَجلِسُ المَرءُ فَوقَ حِصانِهِ كَأَنَّهُ عَلَى كُرسِيٍّ مُريحٍ... وَيَنتَقِلُ إِلَى المكان الّذي يُريدُهُ في لَمحِ البَصَر.."

سَمِعَ الفارِسُ كَلامَ م مَرزوق فَتَوَقَّفَ عَنِ السَّيرِ وَقالَ: "إذا كانَ الأَمرُ كَذَلِكَ فَلِماذا تَمشِي – أَيُّها الفَتَى – عَلَى قَدَمَيْك؟" أَجابَ مَرزوق: "أَنا مُضطَرٌّ إِلَى ذَلِك... فَأنا عائِدٌ إِلَى قَريَتي بَعدَ غَيبةِ سَبعِ سَنَوات... وَمَعي هَذِهِ القِطعَةِ الثَّقيلَةِ مِنَ الذّهَب.. إنَّ ثِقلَها أَمالَ رَقَبَتي... وَآلَم كَتِفي.." قالَ الفارِسُ: "عِندي اقتِراحٌ ... ما رَأيُك؟.. نَتَبادَلُ ما مَعَنا.. فَأُعطيكَ حِصاني، وَتُعطيني هَذا الحِمْلَ الثَّقيلَ.." قالَ مَرزوقٌ: "بِكُلِّ سُرور.. لَكِنْ... مِنَ الأمانَةِ أن أصارِحَكَ بِأنَّ حِمْلَها سَوفَ يُرهِقُكَ وَيُتعِبُك.."

نَزَلَ الفارِسُ مِن عَلَى ظَهرِ حِصانِهِ، وَأَخَذَ قِطعَةَ الذَّهَبِ الكَبيرَةِ، وَساعَدَ مَرزوقًا في رُكوبِ الحِصان، وسَلَّمَهُ اللِّجامَ، وَعلّمَهُ كَيفَ يُمسِكُهُ بِيَدَيه، وَقالَ لَهُ: "إذا أَردتَ أن تُسْرِعَ فما عَلَيكَ إلاّ أَن تُطَقطِقَ بِلسانِكَ وَتقولَ .. تِكْ .. تِكْ.." مَلأَتِ السَّعادَةُ قَلبَ مَرزوقٍ وَهُوَ يَجلِسُ فَوقَ حِصانِه، وَيَجري بِهِ مِن مَكانٍ إِلَى مَكان..

بَعْدَ وَقتٍ قَصيرٍ، أَرادَ مَرزوقٌ أَن يَزيدَ مِن سُرعَةِ الحِصانِ.. فَطَقطَقَ بِلِسانِهِ وَقالَ: "تِك.. تِك.." أَسرَعَ الحِصانُ خُطاهُ، وراحَ يَجري بِسُرعَةٍ، ثُمَّ قَفَزَ قَفزَةً عالِيَةً، فاختَلَّ تَوازُنُ مَرزوق، وَسَقَطَ في التُّرعَةِ التي عَلَى جانِبِ الطَّريق.
انطَلَقَ الحِصانُ في جَريِهِ وَلَمْ يَتَوَقَّفْ إلاّ عِندَما أَمسَكَ بِهِ فَلاّحٌ كانَ يَسْحَبُ بَقَرَتَهُ نَحوَ الحَقلِ. استَجمَعَ مَرزوقٌ قُواهُ، وَنَهَضَ مِنَ التُّرعَةِ، وقالَ لِلفَلاّحِ وَهُوَ يَنفُضُ الماءَ والطينَ عَن مَلابِسِهِ: "ما أَقبَحَ رُكوبَ الخَيلِ!! خُصوصًا إذا كانَ حِصانًا عَجوزًا مِثلَ هَذا.. فَهُوَ يَرفُسُ وَيُسقِطُ راكِبَه... وَقَد تَنكَسِرُ رَقَبَتُهُ.. لَن أَركَبَ هَذا الحِصانَ بَعدَ الآن. أَما بَقَرَتُكَ هَذِهِ... فَما أَجمَلَها مِن حَيوان.! يَمشي وراءَها الإنسانُ في راحَةٍ واطمِئنان.. وَهِيَ تَمُدُّهُ بالَّلبَنِ والزُّبدِ والجُبنِ كُلَّ يَوم.. لَيتَ عِندي بَقَرَةً مِثلَها... إذنْ لَكُنتُ أَسعَدَ النّاس.."
قالَ الفَلاّحُ: "جَميل... إذا كانَ هَذا يَسُرُّكَ وَيُفرِحُكَ ... وَيَجعَلُكَ أَسعَدَ النّاس... فَأنا مُستَعِدٌّ أَن أَستَبدِلَ حصانك بِبَقَرتي.." وافَقَ مَرزوقٌ والسُّرورُ يَغمُرُهُ وَهُوَ يَجذِبُ البَقَرَةَ مِنَ الحَبلِ الّذي في رَقَبَتِها، بَينَما قَفَزَ الفَلاّحُ فَوقَ الحِصان، وانطَلَقَ بِهِ كالرّيح.
ساقَ مَرزوقٌ بَقَرَتَهُ، وسارَ خَلفَها مُتَعَلِّقًا بالحَبلِ الَّذي في رَقَبَتِها، وَكانَ سَعيدًا جِدًا بِصَفقَتِهِ الرّابِحَةِ، وأخذ يُفَكِّر: "مِنَ الآنَ فَصاعِدًا سَآكُلُ الجُبنَ والزُّبدَ اللَّذَيْنِ أُحِبُّهُما... وعندمَا أَشعُرُ بالعَطَشِ سَأَحْلُبُ بَقَرَتي، وَأَشرَبُ حَليبَها الطازَجَ... فماذا أُريدُ مِنَ الدُّنيا أكثرَ مِن ذَلِكَ؟!" رَبَطَ مَرزوقٌ بَقَرَتَهُ في شَجَرَةٍ، وَجَلَس تَحتَها، وَأَكَلَ كُلَّ ما مَعَهُ مِن طَعام.
واصل مَرزوقٌ سَيْرَهُ خَلفَ بَقَرَتِهِ قاصِدًا قَريَتَهُ حَيثُ تُقيمُ أُمُّهُ... كانَ الوقتُ ظُهرًا والجَوُّ حارًّا فَشَعَرَ مَرزوقٌ بالعَطَشِ الشَّديد. وَفَجأَةً جاءَتهُ فِكرَة.. "لِماذا لا أَحلُبُ بَقَرَتي وَأَشرَبُ مِن حليبِها اللَّذيذ؟" لَم يَكُنْ مَعَ مَرزوق وعَاءٌ، فَخَلَعَ طاقِيَّتَهُ، وَوَضَعَها تَحت ضِرْعِها، وَراحَ يَحلُبُها... لَكِنْ .. لَم تَنزِلْ

قَطرةٌ واحدة. عادَ مَرزوقٌ يَضغَطُ عَلَى ضِرْعِها بِشِدَّة، فَتَأَلَّمَتِ البَقَرَةُ وَرَفَسَتْهُ فِي صَدرِهِ بِرجلِها الخلفيةِ رَفسَةً قَوِيَّةً، جَعَلَتْهُ يَقَعُ عَلَى الأَرضِ فاقِدَ الوَعي.

مِن حُسْنِ الحظِّ... كانَ يَمُرُّ فِي هَذِهِ اللَّحظَةِ جزّارٌ يَدفَعُ عَرَبَتَهُ أَمامَهُ، وَقَد وَضَعَ عَلَيها خَروفًا صَغيرًا... صاحَ الجَزّارُ قائِلاً: "هَذِهِ الشَّيطانَةُ كادَت تَقتُلُكَ.." أَسرَعَ الجَزّارُ إلى مَرزوق وَساعَدَهُ عَلَى النُّهوضِ. حَكَى مَرزوقٌ للجَزّارِ ما حَدَثَ لَهُ، فَأعطاهُ الجَزّارُ كوبًا مِنَ الحَليبِ البارِد، وَقالَ: "تفضلْ.. اِشرب.. وانتعِشْ... أمّا هَذِهِ البَقَرَةُ فَلَن تُعطِيَكَ لَبَنًا، فَهِي عَجوزٌ لا تَصلُحُ لِجَرِّ المِحراثِ... وَلا لإدارَةِ السّاقِيَة... وَهِيَ فِي الوقتِ نَفسِهِ لا تَصلُحُ لِلذَّبح..." قالَ مَرزوقٌ: "أَجَلَ... هَذِهِ البَقَرَةُ لا تَستَحِقُّ إلاّ الذّبحَ... لَكِنْ كَيفَ سَيَكونُ لَحمُها وَهِيَ عَجوز؟ لَو أنَّ عندي مِثلَ ذَلِكَ الخَروفَ الصَّغيرَ.. فَمِنَ المُؤَكَّدِ أنَّ لَحمَهُ سَيَكونُ طَرِيًّا لَذيذًا.."

قالَ الجَزّارُ: "اِسمَع يا مَرزوق... مِن أَجلِ خلقِك... سَأُحَقِّقُ لَكَ أُمنِيَّتَكَ.. يُمكِنُ أَن نَتَبادَلَ. فَأُعطيَكَ الخَروفَ مُقابِلَ البَقَرَة.." فَرِحَ مَرزوقٌ وَتَهَلَّلَ، وَقالَ: "جَزاكَ اللهُ خَيرًا عَلَى كَرَمِكَ وَحُسنِ مُروءَتِك..." وَسَلَّمَهُ مَرزوقٌ البَقَرَةَ، ثُمَّ أَنزلَ الجَزّارُ الخَروفَ مِنَ العَرَبَةِ، وَقَدَّمَهُ لِمَرزوق.

واصَلَ مَرزوقٌ طَريقَهُ، وَهُوَ يَتَأَمَّلُ كَيفَ سارَتِ الأُمورُ كُلُّها حَسبَ ما يُحِبُّ وَيَتَمَنَّى... فَكُلَّما وَقَعَ فِي مُشكِلَةٍ سُرعانَ ما يَأتي الحَلُّ وَيَنْتَهي الموقِفُ لِصالِحِه. التَقَى مَرزوقٌ فِي طَريقِهِ بِصَبِيٍّ يَحمِلُ وَزَّةً بَيضاء. حَيّا كُلٌّ مِنهُما الآخَرَ، ثُمَّ اشتَرَكا فِي حَديثٍ طَويل. أَخَذَ مَرزوقٌ يَتَكَلَّمُ عَن حَظِّهِ السَّعيدِ، وَرِبحِهِ الوَفيرِ مِن جَميعِ الصَّفَقاتِ وَمِن كُلِّ ما بَدَّل. ثُمَّ حَكَى الصَّبِيُّ عَن وَزّتِهِ وَكَيفَ أَنَّهُ يَحمِلُها إلَى بَيتِ العُمدَةِ لِيَذبَحَها فِي الوَليمَةِ الَّتي دَعا لَها أَغنياءَ القَرية. أَمسَكَ الصَّبِيُّ الوَزَّةَ مِنْ جِناحَيْها، وَقالَ لِمَرزوق: "اِرفَعها بِيَدِكَ لِتَرَى كَم هِيَ ثَقيلةٌ.... لَقَد قُمنا بِتَسْمِينِها لِمُدّةِ ثَمانِيَةِ أَسابيع.."

أَمسَكَها مَرزوقٌ بِيَدِهِ لِيُقَدِّرَ وَزنَها وقالَ: "هَذا صَحيح.. لكنَّ خَروفي أَسمَن.. ولَحمُهُ أَطْرَى وَأَشْهَى..."

أَخَذَ الصَّبيُّ يَتَلَفَّتُ حَولَهُ وَيُفكِّرُ، ثُمَّ هَزَّ رَأسَهُ وَقالَ: "إنَّ لِخَروفِكَ هَذا قِصَّةً لا تَسُرُّ... فَقَد سَمِعتُ مِنَ النّاسِ في قَريَتي أَنَّ أَحَدَهُم سَرَقَ خَروفًا مِن حَظيرَةِ العُمدَة، وَأَخشَى أن يَكونَ هَذا الخَروفُ الّذي تَسحَبُهُ هُوَ الخَروفَ المَسروق. لَقَد كَلَّفَ العُمدَةُ بَعضَ رِجالِهِ بِالبَحثِ عَنهُ خارِجَ القَرية، وَلَو عَثَروا عَلَيْهِ مَعَكَ فَسَوفَ تَلقَى جَزاءَك... وَأَقَلُّ عِقابٍ لَكَ هُو الجَلدُ وَالسِّجْنُ..."

خافَ مرزوقٌ الطَّيِّبُ وَاضطَرَبَ، وَقالَ لِلصَّبِيِّ: "يا حَفيظُ يا رَبّ!! أَرجو أَن تُساعِدَني لأَنجُوَ مِن هَذِهِ المُصيبَة... فأَنتَ أَدرَى مِنّي بِهذا المكانِ وَأهلِه.. خُذ خَروفي هَذا مُقابِلَ وَزَّتِك... وَأَكونُ لَكَ مِن الشّاكِرين.." قالَ الصّبِيُّ اللّئيمُ: "هَذِهِ مُغامَرَةٌ تعرِّضُني لِلخَطَر... وَمَعَ ذَلِكَ فَأنا لا أَرضَى أَن أَترُكَكَ لأَيدي رِجالِ العُمدَةِ الّذين لا يَرحَمون.." أَخَذَ الصَّبِيُّ الخَروفَ وَأَعطاهُ الوَزَّة.

حَمَلَ مَرزوقٌ الوَزة تَحتَ ذِراعِهِ، وَسارَ نَحوَ قَريَتِهِ سَعيدًا، وَقالَ في نَفسِهِ: "لَو أَنَّني فكَّرْتُ جَيِّدًا لَوَجَدتُ نَفسي رابِحًا في هَذِهِ الصَّفقَةِ أَيضًا.. فَبِجانِبِ اللَّحمِ المُحمَّرِ اللَّذيذِ سَوفَ أَحصُلُ عَلَى كَمِّيَةٍ مِنَ الدُّهنِ لا بَأسَ بِها...وَأَهَمُّ مِن هَذا وَذاكَ الرّيشُ الأبيضُ الجَميلُ الذّي سَأحشو بِهِ وِسادَتي... وَأَضَعُ عَلَيها رَأسي وَأَنامُ هادِئَ البال... لَسَوفَ تَفرَحُ أُمّي بِها كَثيرًا، وَيَغمُرُها السُّرورُ والبَهجَة.."

مرَّ مَرزوقٌ بالقَرية الأَخيرةِ وَكانَ سَعيدًا لِقُربِ وُصولِهِ. وَجَدَ رَجُلاً يَقِفُ بِعَرَبَةٍ صَغيرَةٍ يَسُنُّ المِقَصّات، وَشاهَدَ عَجَلَةَ المِسَنِّ تَدور، والرَّجُلُ يُغَنّي عَلَى صَوتِها وَيقول: "أَسُنُّ السّكين أَسُنُّ المِقَصّ..." ظَلَّ مَرزوقٌ واقِفًا يَنظُرُ إلى الرجلِ في دَهشَةٍ وإعجاب. اقتَرَبَ مَرزوقٌ مِنَ الرَّجُلِ قليلاً وَقالَ لَهُ: "أراكَ سَعيدًا تُغَنّي.. والعَجَلَةُ تَلُفُّ وَتَدور.." قالَ السَّنّانُ: "هذا صَحيحٌ... فَصَنَعةٌ في

اليَدِ – كما تَعرفُ – أمانٌ مِنَ الفقر... وكُلَّما لَفَّت هَذِهِ العَجَلَةُ الصَّغيرَةُ وَدارَت... دارَت مَعَها النُّقودُ ومَلأَتُ جُيوبي... أَخْبِرْني – يا بُنَيّ – مِن أَينَ اشتَرَيتَ هَذِهِ الوَزَّةَ الجَميلَة.؟ أجابَ مَرزوقٌ : "أنا لم أشتَرِ الوزة.. بَل استَبدَلْتُها بِخَروفي." قالَ الرَّجُلُ: "وَالخَروف؟!" أَجابَ مَرزوقٌ "حَصُلتُ عَلَيْهِ بَدَلاً مِن بَقَرَتي.." قالَ الرَّجُلُ مُتَعَجِّبًا: "والبَقَرَة؟" قالَ مَرزوقٌ: "أَخَذتُها بَدَلَ حِصاني.." سَأَلَهُ الرَّجلُ: "وَالحِصانُ؟" قالَ مَرزوقٌ: "أَخَذتُهُ مُقابِلَ قِطعَةٍ كَبيرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ في حَجمِ الكُرَةِ الكَبيرَة. سَأَلَ السَّنّان: "وَالذَّهَب؟" قالَ مَرزوقٌ: "أخذتُهُ مِن سيِّدي أَجْرَ سَبعِ سنواتٍ خِدمَةً لَهُ وَلأُسرَتِه.."

هَزَّ السَّنّانُ رَأسَهُ مُتَعجِّبًا وقالَ: "لَقد أَحسَنْتَ التَّصَرُّفَ في كُلِّ مَرَّة... وحالَفَكَ النّجاحُ والتَّوفيقُ في جَميعِ مُبادَلاتِك... ولا يَبقَى إلاّ أَن تَهتَدِيَ إلى طَريقَةٍ تَجعَلُ المالَ يَتَدَفَّقُ بَينَ أَصابِعِكَ وَتَملأُ بِهِ جيوبَك.." عِندَئِذٍ سَأَلَهُ مَرزوقٌ عَلَى الفَور: "وكيفَ السّبيلُ إلَى ذَلِك؟ أَخبِرْني.. أرَجوكَ.." أجابَ السَّنّانُ: "الطّريقُ الوَحيدُ أَن تَصيرَ سنّانًا مثلي، وَلَن يَلزَمَكَ – في الواقِع – أَكثَرُ مِن حَجَرٍ للسَّنِّ... وَكُلُّ ما عَدا ذَلِكَ سَيَتَحَقَّقُ لِكَ بِالمَمارَسَة.."

سَأَلَ مَرزوقٌ السَّنّانَ بِلَهفَةٍ: "وَكَيفَ يُمكِنُني ذَلِكَ.." قالَ السَّنانُ: "اُنظرُ.. عِندي هُنا حَجَرٌ لَكِنَّ بِهِ عَيبًا بَسيطًا... لِذَلِكَ سَأَقبَلُ هَذِهِ الوَزَّة مُقابلَهُ إنْ وافَقْتَ.." تَهَلَّلَ مَرزوقٌ مِنَ السَّعادَةِ وَقالَ: "بالطَّبعِ أوافِق... وَكَيفَ لا... وَجُيوبي سَتَمتَلِئُ بالمال؟!... حَقًّا سأكونُ أَسعَدَ إنسان عَلَى هَذِهِ الأَرض.." وَسَلَّمَهُ مَرزوقٌ الوَزَّةَ.. وَأَخَذَ الحَجَر... وَكانَ حَجَرًا مِنَ الأَحَجارِ العادِيَّة.... لا يَزيدُ حَجمُهُ عَن حَجمِ قِطعَةِ الذَّهَبِ الّتي أَخَذَها من سَيِّدِهِ التّاجر...

دَخَلَ مَرزوقٌ قَريَتَهُ يَحمِلُ الحَجَرَ... وَأَخَذَ يَسيرُ مُنشَرِحًا وَهُوَ يَحلُمُ بِوَجْهِ أُمِّهِ الّتي سَتَسعَدُ بِما رَجَعَ بِهِ بَعدَ عَمَلِ سَبعِ سَنَوات... بَعيدًا عنها وَعَن قَريَتِهِ.

٥٩- عَدنانُ الوَفِيّ

(١)

اِشتَدَّ المَرَضُ بِأَحَدِ المُلوكِ، وَشَعَرَ بِقُربِ مَوْتِه، فَقال: "أَحضِروا لي عَدنانَ الوَفِيّ" كانَ عَدنانُ الوَفِيُّ هُوَ خادِمَهُ الخاصّ، وقَد اكتَسَبَ صِفَةَ الوَفاءِ لأَنَّهُ كانَ شديدَ الإخلاصِ لِلمَلِكِ طَولَ حَياتِه.

اقتَرَبَ عَدنانُ الوَفِيُّ مِن فِراشِ المَلِكِ وَحَيّاهُ، فَقالَ الملكُ: "يا صَديقي المُخلِص... أُحِسُّ بِأَنَّ نِهايَتي قَد اقتَرَبَت... وَلا يُقلِقُني إلاّ وَلَدي تامِر... فَهُوَ صَغيرُ السِّنِّ - كما تَعرِفُ - وَيحتاجُ دائِمًا إلى المَشورَةِ والنَّصيحَة. ولَيسَ لي صَديقٌ أَترُكُهُ لَهُ غَيرَك... فإذا أَردتَ أَن أُوَدِّعَ الدُّنيا في طُمأنينَةٍ وَسَلام، فَتَتَعهَّد لي بأَنَّكَ سَوفَ تُعَلِّمُهُ كُلَّ ما يَنبَغي أَن يَعرِفَ، وَأَن تكونَ لَهُ الأبَ الناصِحَ الأمين.

قالَ عَدنانُ: "لِتَطمَئِنَّ يا مَوْلاَيَ... سَوفَ أَخدِمُ ابنَكَ بإخلاص، وَلَن أتخَلَّى عَنهُ أَبَدًا.. وَلَو كَلَّفَني ذَلِكَ حياتي!!" فقالَ الملكُ: "أَحسنتَ يا عَدنانُ... الآنَ أَموتُ في سَلام.. وَبعدَ مَوتي دَعْ ابني يَرَ القَصرَ كُلَّهُ .. جَميعُ الحُجُراتِ والمخازِن. وكُلَّ ما فيها مِن كُنوز وثرَوات.. لَكِنْ احذَر أَن تُرِيَهُ تلك الغرفَةَ الّتي فيها صورةُ بِنتِ مَلِكِ السَّقفِ الذَّهَبِيّ... المُعلّقَةَ عَلَى الحائِطِ .. فإنَّهُ إن رَآها فَسَوفَ يُحِبُّها، وَعِندَئِذٍ سَيَتَعرَّضُ لِمَخاطِرَ وَأَهوالٍ كَثيرة.. قَد يَفقِدُ بِسَبَبِها حَياتَه..." كَرَّرَ عَدنانُ عَهدَهُ لِلمَلِكِ العَجوز...فَسَنَدَ رَأسَهُ عَلَى وِسادَتِهِ وماتَ في هُدوءٍ وَسَلام.

بَعدَ دَفنِ المَلِكِ، حَكَى عَدنانُ لِلمَلِكِ الشّابّ ما ذَكَرَهُ أَبوه قَبلَ وَفاتِه، ثُمَّ قالَ: "سأُحافِظَ عَلَى وَعْدِي بإخلاص، وَسَأكونُ وَفِيًا لَكَ دائِمًا كما كُنتُ وَفِيًّا لأبيكَ وَلَو كَلَّفَني ذَلِكَ حَياتي.." بَكَى المِلكُ الشَّابُّ عِندَما سَمِعَ كَلامَ عَدنان وقالَ: "وَأَنا أَيضًا لَن أَنسَى إخلاصَك أبَدًا وَسأجازيكَ خَيرَ الجَزاء."

(٢)

مَرّت عِدَّةُ أَشهُرٍ، وذاتَ يَومٍ قالَ عدنانُ الوَفِيُّ لِلمَلِكِ الشّابّ: "جاءَ الوقتُ لِتَرَى ميراثَكَ.. تَعالَ مَعي لأُريَكَ قَصرِ أَبيكِ." صَحِبَ عَدنانُ الملِكَ الشَّابَّ إِلَى جَميعِ أنحاءِ القَصر، وَفَتَحَ لَهُ جَميعَ الحُجُراتِ، وَأراهُ الكُنوزَ والنَّفائِسِ الغالِيَة التّي لَديهِ. لَكِنَّ حُجرَةً واحِدَةً لم يَفتَحها.. تِلكَ الَّتي فيها صورَةُ الأَميرة.

كانَتِ الصّورَةُ مُعَلَّقَةً في مُواجَهَةِ الباب، بِحَيثُ إنَّ مَنْ يَفتَحُ البابَ يَراها مباشَرَةً. كانَت صورةً بديعةً لِفتاةٍ رائِعَةِ الجَمال... كُلُّ مَن يَراها يُعجَبُ بالصّورَة.. وَبصاحِبَةِ الصّورة. وحينَ رأَى الملكُ الشابُّ أَنَّ عدنانَ الوفيَّ يَمُرُّ دائِمًا بِهذا الباب دونَ أَن يَفْتَحَهُ قالَ: "لماذا لا تَفتَحُ هَذِهِ الغُرفَةَ؟" فأجابَهُ عَدنانُ قائلاً: "بِداخِلِها – يا مَوْلاَيَ – شَيءٌ مِنَ الأَفضَلِ أَلاّ تَراهُ... فَقد يَجلِبُ لَكَ المشاكِلَ والمتاعِبَ!" لَكنَّ الملِكَ الشابَّ قالَ: "رَأَيتُ القصرَ كُلَّهُ... وَأَوَدُّ أَن أعرفَ ما في داخِلِ هَذِهِ الغُرفَة.. لابُدَّ مِن ذَلِك.."

توجَّهَ الملِكُ نَحو بابِ الغُرفَةِ يُريدُ أَن يَفتَحَها، فَأَسرَعَ عَدنانُ وَوَقَفَ بَينَ المَلِكِ وَبَينَ البابِ لِيمنَعَهُ مِن فَتْحِها وقالَ: "لَقد حَذَّرني أبوكَ الملكُ – قبلُ وفاتِهِ– مِن أَنْ أدَعَكَ تَرَى هَذِهِ الغُرفَةَ الَّتي سَتُسَبِّبُ لَكَ المتاعِبَ فَوَعَدْتُهُ بِذَلِك.. فَلا تُجْبِرني عَلَى أَنْ أُخلِفَ وَعدي لأَبيك.." فقالَ الملكُ الشابُّ بإصرار: "إنَّ عَدمَ دُخولِ هَذِهِ الغُرفَةِ هُوَ الذي سَيُسبِّبُ لي المتاعِبَ... لَنْ أغادِرَ مَكاني هَذا حَتَّى تَفتَحَ لِيَ البابَ... وَأَرَى ما بِداخِلِ الغُرفَة..."

أَدرَكَ عَدنانُ الوفيُّ أَنَّ الملِكَ الشّابَّ مُصَمِّمٌ عَلَى كَلامِهِ، وَأَنَّهُ مَهما فَعَلَ فَلَن يَستَطيعَ مَنعَهُ مِنَ الدُّخولِ .. بَحَثَ عَدنانُ عَن مِفتاحِ الغُرفَةِ في حُزمَةِ مَفاتيحِهِ الضَّخمَة، وَفَتَحَ البابَ، وَدَخَلَ مُسرعًا لِيُحاولَ أَن يُخفِيَ الصّورَةِ بِجِسمِهِ حَتَّى لا يَراها الملِكُ الشابُّ. ولكنَّ الملِكَ شَبَّ عَلَى أصابِعِ قَدَمَيه، وَنَظَرَ من فَوقِ كَتِفِ عَدْنَانَ الوَفِيّ، وَرَأَى صورةَ فتاةٍ رائِعَةِ الجَمال في لَوْحَةٍ

مِن ذَهَب. سَقَطَ المَلِكُ الّشابُّ فاقِدَ الوَعْيِ مِن رَوْعَةِ جَمالِها. أَسرَعَ عَدنانُ الوَفِيُّ وَرَفَعَ المَلِكُ بِرفقٍ بَينَ ذِراعَيْه وَحَمَلَهُ إلى فِراشه، وَأَخَذَ يَعتَني بِهِ وَيَرعاهُ، وَهُوَ يُقولُ لنفسِه: هاَ هِيَ ذي المتاعِبُ قَد بَدَأَت.. فما الّذي يَنتَظِرُ الملِكَ المسكينَ بعدَ ذَلِكَ يا تُرَى؟!!"

أخيرًا.. أَفاقَ المَلِكُ واستَرَدَّ وَعْيَهُ، وكانَت أَوَّلُ عبارةٍ نَطَقَ بِها هِيَ: "لِمَن هَذِهِ الصّورَةُ الجَميلَةُ؟" وَكَرَّرَ الشّابُّ سُؤالَهُ عِدَّةَ مَرّات، فَقالَ عَدنانُ الوفيُّ: "تِلكَ صورَةُ الأَميرةِ نَجوانَ ابنةِ مَلِكِ السَّقفِ الذَّهَبيّ.." وَاصَلَ المَلِكُ كَلامَهُ قائِلاً: "إنَّ حُبّي لَها عَظيمٌ لا يُمكِنُ وَصفُه.. سَأُخاطِرُ بِحَياتي لأَفوزَ بها.. أَنتَ - يا عَدنانُ - صَديقي المُخْلِصُ.. فَلابُدَّ مِن أَنْ تُساعِدَني... وَتَقِفَ إلَى جانِبي .. حَتَّى أُحَقِّقَ هَذا الحُلْمَ الجَميل.

فَكَّرَ عَدنانُ الوفيُّ طَويلاً فيما يَنبَغي عَمَلُه، وَأَخيرًا قالَ لِلملِك: "سَمِعنا كَثيرًا عَنِ الأميرةِ نَجوانَ وَأَبيها.. وَشغَفِهما الشَّديدِ بِالتُّحَفِ النّادِرَة.. فَكُلُّ ما في قَصرِهما مِنَ الذَّهَب... وَهُما يَبحَثانِ دائِمًا عَن تُحَفٍ وَنَفائِسَ جَديدَة... وَفي خَزائِنِكَ - يا مَوْلاَيَ - ذَهَبٌ كَثير.. فَلْتَأمُرْ بأَنْ يَصنَعَ مِنهُ الصّاغَةُ في مَملَكَتِكَ جَميعَ أَنواعِ الأَبْنِيَةِ... واللَّوحاتِ الجَميلةِ.. ثُمَّ نَحمِلُهُ مَعَنا وَنُجرِّبُ حَظَّنا..."

(٣)

أَمَرَ الملِكُ بإحضارِ الصّاغَةِ المَهَرَةِ الّذين يَصنَعونَ الحُلِيَّ الذَّهَبِيَّة... وَطَلَبَ مِنهُم أَن يَعمَلوا لَيلاً وَنَهارًا في صُنعِ أجملِ المَشغولاتِ الذَّهَبيَّةِ المُرَصَّعَةِ بِالجَواهِرِ واللآلىءِ والماس.. وأعدَّ عَدنانُ الوفيُّ سَفينَةً كَبيرَةً، وَارتَدَى ثيابَ التُّجّارِ ... وَفَعَلَ الملِكُ مِثلَهُ حَتَّى لا يَعرِفَهُما أَحَد.

اِنطَلَقَتِ السَّفينَةُ في البَحرِ عِدَّةَ أَسابيعَ حَتَّى وَصَلَت شاطِئَ البِلادِ الَّتي يَحكُمُها مَلِكُ السَّقفِ الذَّهَبِيّ. وَطَلَبَ عَدنانُ الوفيُّ مِنَ المَلِكِ أَن يَبقَى في السَّفينَةِ وَيَنتَظِرَهُ، فَرُبَّما يَتَمَكَّنُ مِن إحضارِ ابنةِ المَلِكِ إلَى السَّفينَةِ، وَطَلَبَ مِنهُ

أَن يَأمُرَ بِإخراجِ الأواني والحليِّ الذَّهَبيَّة، وَيَعرِضَها في مَنظَرٍ جَميلٍ وَشَكلٍ بَديع.

اختارَ عَدنانُ الوفيُّ قِطعَةً واحِدَةً مِن كُلِّ نوعٍ مِن المَصنوعاتِ الذَّهَبيَّةِ وَوَضَعَها في سَلَّتِهِ، وَنَزَلَ إلَى البَرّ، واتَّجَهَ نَحوَ قَصرِ المَلِك، وَكانَ علَى هَيئَةِ قَلعَةٍ كَبيرَة.. وَعِندَما بَلَغَ عَدنانُ فِناءَ القَلعَةِ شاهَدَ إحدَى وَصيفاتِ القَصر تَحمِلُ في يَدَيْها دَلْوَيْن مِنَ الذَّهَبِ تَملَؤُهُما مِن ماءِ عَيْنٍ جارِيَة. استَدارَتِ الفتاةُ، وَرَأَت عَدنانَ فَسَأَلَتهُ عَمّن يَكون. فاقتَرَبَ عَدنانُ مِنها وقالَ: "أَنا تاجِرٌ .. أَبيعُ أغلَى المَشغولاتِ الذَّهَبيَّةِ وأحمِلُها في كُلِّ البِلاد." ثم فَتَحَ سَلَّتَهُ، وَتَرَكَها تنظرُ فيها، فأبدَت دَهشَتَها وَإعْجَابَها، وَصاحَت: "ما أجملَ هذهِ التُّحَف!! أنا لا أصدِّق عَيْنَيّ."

وَفي الحالِ وَضَعَتِ الفَتاةُ دَلوَيها عَلَى الأرض، وَأَخَذت تَفحَصُ القِطَعَ واحِدَةً بَعدَ الأُخرَى، ثُمَّ قالت: "يَجِبُ أَن تَرى الأميرةُ نَجوانُ ابنَةُ المَلِكِ كُلَّ هَذهِ المَصْنوعَات... أَنا مُتَأَكِّدَةٌ مِن أَنَّها سَتُعْجَبُ بِها وَتَشتَريها جَميعًا.."

أَخَذَتِ الفتاةُ عَدنانَ مِن يَدِه، وَأَدخَلَتْهُ إلَى إحدَى ساحاتِ القَصر، وَأَسرَعَت إلَى الأميرَة. وَنَظَرَتِ الأميرةُ في السَّلَّة، وَتَناوَلَتِ القِطَعَ، وَقالَتِ بِصَوتٍ رَقيق: "إنّها جَميعًا تُحَفٌ نادِرَةٌ رائِعَةُ الجَمال.. سَوفَ أَشتَريها كُلَّها." قالَ عَدنانُ الوفيُّ: "ما أَنا إلاّ خادِمٌ لِتاجِرٍ غَنِيّ.. وما أَعرِضُهُ لا يُمَثِّلُ شَيْئًا بالنِّسبَةِ لِما تَمتَلِئُ بِهِ سَفينَتُه... فَلَدَيْهِ هُناكَ أَجملُ وَأَغلَى المَصنوعاتِ الذَّهَبِيَّة."

خَلَبَتِ الأَميرَةُ أَن يُنْزِلَ سَيِّدُهُ التّاجِرُ البِضاعةَ إلَى البَرّ، ولكنَّ عَدنانَ قالَ: "إنَّ ذَلِكَ سَيَستَغرِقَ أَيّامًا كَثيرَةً... فَعَدَدُها كَبير... وَهِيَ غالِيَةُ الثَّمَن... وَلَن تكونَ في أمان... فَرُبَّما تَتَعَرَّضُ للنَّهبِ والسَّرِقَة. زادت رَغبَةُ الأميرةِ في رُؤيةِ هَذِهِ الأشياءِ، وأخيرًا قالَت: "خُذني إلَى السَّفينَةِ... سأذهبُ بِنَفسي لأُشاهِدَ ما يَعرِضُهُ سَيِّدُك.."

أَخَذَها عَدنانُ إلَى السَّفينَةِ، وَعِندَما رآها المَلِكُ كادَ قَلبُهُ يَقفِزُ بِيْنَ جَنْبَيْهِ. وَفِي السِّرِّ أَمَرَ عَدنانُ السَّفينَةَ بالإبحارِ أَخَذَ المَلِكُ يَعرِضُ عَلَى الأميرةِ قِطعَةً قِطعَةً، والأميرَةُ تتأمَّلُ كُلَّ شَيءٍ بِدَهشَةٍ وابتِهاج، غَيْرَ دارِيَةٍ بأَنَّ السَّفينَةَ قَد تَحَرَّكَت. وَبَعدَ أَن شاهَدَت كُلَّ المَعروضاتِ شَكَرَتِ التاجِرَ، وَقالَت إنَّها تَوَدُّ أَن تَرجِعَ إلَى بَيتِها، وَلَكِنّها عِندَما صَعِدَت إلَى السَّطحِ اكتَشَفَت أَنَّ السَّفينَةَ قَد غادَرَت الميناءَ، وَصارَت بَعيدةً عَنِ الشّاطِئِ تَشُقُّ الأمواجَ نَحوَ البَحرِ العَميق. خافَتِ الأَميرَةُ وَصاحَت: "ما الَّذي يَحدُثُ؟ لَقَد خَطَفَني هَذا القُرصانُ المُخادِعُ.... كانَ خيرًا لي أَن أموتَ قَبلَ أَن أُسَبِّبَ الحُزنَ والأسَى لِوالِدَيَّ وأهلي."

تَقَدَّمَ المَلِكُ الشّابُّ مِنَ الأَميرَة، وَأَخَذَ بِيَدِها وَقالَ: "أَنا لَستُ تاجِرًا... ولا قُرْصَانًا... إنَّما أَنا مَلِكٌ مِن أُسرَةٍ كُلُّ أَفْرادِهَا مُلوكٌ وَأُمَراء عِظام.. وَلَم أفعَل ذَلِكَ إلاَّ لأَنَّني أَحْمِلُ لَكِ حُبًّا عَظيمًا.. وَمُنذُ اللَّحظَةِ الّتي شَاهْدتُ فِيهَا صُورَتَكِ الجميلة وأنا لا أفكِّرُ إلاّ فيكِ... وَلا أتحمّلُ الحياةَ بَعيدًا عنكِ..."

سَمِعَتِ الأميرةُ نَجوانُ هَذا الكَلامَ فَاطمَأَنَّت قَليلاً، وأحَسَّتْ بِالراحة، وَسُرعانَ ما مالَ قَلبُها لِلمَلِكِ الشَّاب.

(٤)

وَبَينَما كانَ عَدنانُ جالِسًا عَلَى مُقَدِّمَةِ السَّفينَةِ وَهِيَ تَجْري فَوقَ الماء، رَأَى ثلاثَة غِرْبَان تَطيرُ مُتَّجِهَةً نَحوَهُ، ثم وَقَفَت عَلَى صاري السَّفينَة تَتَحَدَّث. أَخَذَ عدنانُ يُنصِتُ إلَى ما يَدورُ بَينَها مِن حِوارات. قالَ الغُرابُ الأَوَّلُ: "ها هو ذا يَذهَبُ.! إنَّهُ يَمضي بابنَةِ مَلِكِ السَّقفِ الذَّهَبيّ... فَليَذهَبْ إلى حَيْثُ شاء."

وَقالَ الثاني: "أَجَل إنَّهُ يَذهَبُ بالأَميرَةِ... لَكِنَّها لَم تُصبِح لَهُ بَعدُ.." وَقالَ الثالث: "لَيسَ الأمرُ كَذَلِك... مِنَ المُؤَكَّدِ أَنها أَصبَحَت لَهُ ... فَهِيَ تَجلِسُ سَعيدَةً بِجِوارِهِ في السَّفينَةِ."

ثُم عادَ الغُرابُ الأَوَّلُ يَتكَلَّمُ ويَقولُ: "وَلَكِنْ .. ما الفائِدَة؟ أَلا تَعرفُ أَنَّهُما عِندَما يَبْلُغَان البَرَّ.. وَيُشاهِدُ المَلكُ الحِصانَ الأَشقَرَ، وَيُحاوِلُ أَن يَركَبَهُ.. فإنْ فَعَلَ. فإنَّهُ سَوفَ يَطيرُ بِهِ فِي السَّماء... إِلى بِلادٍ بَعيدَة.. بَعيدَةٍ جِدًّا.. وَلَن يُشاهِدَ حَبيبَتَهُ بعدَ ذَلِكَ أَبَدًا.!" قالَ الغرابُ الثاني: "لَكِنْ .. إذا ما تناوَلَ الرّاكِبُ الخَنجَرَ الّذي داخِلَ السَّرج، وَخَعَنَ الحِصانَ فِي رَقَبَتِهِ خَعْنَةً مُميتَة.. فَسَوفَ يَنجو. عِندَئِذٍ قالَ الثالثُ: "وَمَن يَستطيعُ أَن يُخبِرَهُ بِهذا الأمر؟! مَن يَفعَلُ ذَلِكَ لِيُنقِذَ حَياةَ المَلِكِ فَسَوفَ تَتَحَوَّلُ ساقاهُ وَقَدَماهُ إِلَى صَخرٍ جامِدٍ، وَلَن يَتَمَكَّنَ منَ الحَرَكَة."

قالَ الغُرابُ الأَوَّل: "حَقًّا.. لَكِنّي أَعرفُ المَزيد... فَحَتَّى لَو ماتَ الحِصانُ فَسَوفَ يَفقِدُ المَلِكُ عَروسَه. فَعِندَما يَذهَبُ العَروسان إِلى القَصر، وَيُشاهِدان ثوب العُرسِ سَيَعتَقِدان أنه مَنسوجٌ من الذَّهَبِ والفِضَّة... وَلَكِنَّهُ فِي الحقيقَةِ مَصنوعٌ من مادَّةٍ سريعةِ الاشتِعال، وَإذا ارتَداهُ أَحَدٌ فَسَيَحرقُه فِي الحال، وَيُحَوِّلُهُ إلى فَحْمٍ وَرَماد. قالَ الثّاني: "وا أَسَفَاهُ!! أَلَيسَ لِذَلِكَ حَلٌّ؟!" قالَ الأَوَّلُ : "بَلَى، إذا تَقَدَّمَ أَحَدٌ وأَلقَى الثوبَ فِي النّار، فَسَوفَ يَنجو المَلِكُ الشّاب... وَلَكِنْ... ما الفائِدة؟ فإنَّ مَن يَفعَلُ ذَلِكَ سَيَتَحَوَّلُ جَسَدُهُ فِي الحالِ إلى صَخرٍ مِن رُكبَتَيْهِ إِلَى قَلبِه."

قالَ الغُرابُ الثالثُ: "أَنا أَعرِف أَكثَرَ... حَتَّى إذا احتَرَقَ الثُّوبُ فإنَّ المَلِكَ سَيَفقِدُ عَروسَه... فعندما يبدأ الرقص بعد الزفاف، وترقص الملكة، سَيُصيبُها الشُّحوبُ وَيَصفَرُّ وَجهُها وَتَسقُطُ كما لَوْ أنها قَد ماتَت، فإذا لَم يتقدَّمْ أحدٌ وَيَرفَعْها ويأخُذْ مِن إصبَعِ يَدِها اليُمنَى ثَلاثَ قَطراتٍ مِنَ الدَّمِ فإنّها سَتَموتُ بالتَّأكيد.. وَلِكِنْ .. إذا فَعَلَ أحدٌ ذَلِكَ لِيُنقِذَها فَسَوفَ يتحوَّلُ إِلَى صَخرٍ جامِدٍ... مِن أَعلَى رأسِهِ إِلَى أَسفَلِ قَدَمَيْه..."

قالَت الغِربانُ هَذا الكَلامَ ثُمَّ خَفَقَت أَجنِحَتَها وَطارَت بَعيدًا عَن السَّفينَةِ واختَفَت. شَعَرَ عَدنانُ الوفِيُّ بالحُزنِ بَعدَ أَن سَمِعَ هَذا الكَلامَ، وَقرَّرَ أَلاّ يُخبِرَ

سَيِّدَهُ بِذَلِك.. وَقالَ لِنفسِهِ: "سَأَظَلُّ مُحافِظًا عَلَى عَهدي... وَمُخلِصًا لِلمَلِك. سَأُنقِذُ سَيِّدي وَلَو كَلَّفَني ذَلِكَ حَياتي..."

(٥)

وَعندَما رَسَتِ السَّفينَةُ عَلَى البَرِّ حَدَثَ ما تَنَبَّأت بِهِ الغِربانُ. فَقَد ظَهَرَ حِصانٌ أَشقَرُ جَميل، فقالَ المِلِكُ للأَميرة: "هَذا الحِصانُ الأَصيلُ سَيَنقُلُني إِلَى قَصري.." ثُمَّ حاوَلَ أَن يَقفِزَ عَلَى ظَهرِ الحِصان، غَيرَ أَنَّ عَدنانُ الوفيُّ وَثَبَ قَبْلَهُ، وَدَفَعَ نَفسَهُ فوقَ الحِصان بِسُرعَة، وَاستَلَّ الخَنجَرَ وَخَعَنَ الحِصانَ في رَقَبَتِهِ وَقَتَلَهُ. عِندَئِذٍ صاحَ خَدَمُ المَلِكِ الّذين كانوا يَغارونَ مِن عَدنانَ وَيكرَهونَه لِقُربِهِ مِنَ المَلِكِ وَقالوا: "يا لَلعار!! تَقتُلُ الحِصانَ الّذي سَيَنقُلُ المَلِكَ إِلَى القَصر!" قالَ المِلكُ: "اُترُكوهُ وَشَأنَه... إِنَّهُ صَديقي المخلِص.... فَمَنْ يَعرِف؟! لَعَلَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِغَرَضٍ نَبيل.."

سارَ الجَميعُ في طَريقِهِم إِلَى القَلعَة، وَبَعدَ أَن دَخلوا وَجَدوا أَريكَةً عَلَيها ثَوْبٌ يَتَلألأُ بِالذَّهَب والفِضَّة: تَقَدَّمَ المَلِكُ نَحوَ الثَّوْبِ لِيَأخُذَهُ، لَكِنَّ عَدنانَ الوَفِيَّ أَسرَعَ وأَمْسَكَ بِهِ، وَأَلقاهُ في نارِ المِدفَأَة... فَأَحرَقَتهُ النّارُ وَجَعَلَتْهُ رَمادًا. تذمَّرَ الخَدَمُ مَرَّةً أُخرَى ... وَقالوا: "اُنظرُوا... لَقَد أَحرَقَ ثَوْبَ الزِّفافِ.." وَلِكنَّ المَلِكَ الشَّابَّ قالَ : "مَنِ الّذي يَعرِفُ سَبَبَ تَصَرُّفِهِ هَذا؟! اُترُكوهُ وَشَأنَه... إِنَّهُ عَدنانُ... خادِمي المُخلِص.."

أَقامَ القَصرُ حَفلَ الزِّفافِ... وَبَدَأَ الرَّقصُ... وَدَخَلَتِ العَروس وَلَكِنَّ عَدنانَ كانَ يَسيرُ خَلفَها وَيُراقِبُها... وَفَجأَةً اِصفَرَّ وَجهُها وَصارَ شاحِبًا، وَسَقَطَت عَلَى الأَرضِ كما لَوْ كانَت قَد ماتَت. أَسرَعَ عَدنانُ نَحوَها بِسُرعَة، وَرَفَعَها وَوَضَعَها عَلَى أَريكَة، وَسَحَبَ ثَلاثَ قَطَراتِ دَم مِن إِصبَعِ يَدِها اليُمنَى... فَعادَت لِلتَّنَفُّس، ثُمَّ أفاقَت. رَأَى المِلكُ كلَّ شَيْءٍ، لَكِنَّهُ لَم يَعرف لِماذا فَعَلَ عَدنانُ ذَلِك. غَضِبَ المَلِكُ لِجُرأَتِهِ غَضَبًا شَديدًا وقالَ: "اسجِنوهُ في الحالِ ثُمَّ اقطَعوا رَقَبَتَهُ..."

وَفي صَباحِ اليَومِ التّالي ساقَهُ الجُنودُ إلَى المِقْصَلَةِ لِيَقطَعوا رَقَبَتَهُ، فَقالَ عَدنانُ: "أُريدُ أَنْ أَقولَ شَيئًا قَبلَ أَنْ أَموت" سَمَحَ لَهُ المَلِكُ بِالكلام، فَقالَ عَدنانُ: "سَتَكتَشِفُ بَعدَ قَتلي أَنَّ هَذا الحُكْمَ ظالِم... تَأَكَّد – يا مَوْلاَيَ – أَنَّني كُنتُ دائِمًا مُخلِصًا وَصادقًا." ثُمَّ حَكَى عَدنانُ ما سَمِعَهُ مِنَ الغِربان في السَّفينَةِ وَكَيفَ أَنَّهُ قَصَدَ إنْقَاذَ سَيِّدِهِ بِكُلِّ ما فَعَلَهُ. وَعِندَما انتَهى مِن حِكايَتِهِ صاحَ المَلِكُ: "يا عَدنانُ... يا أَخلَصَ الأَصدِقاءِ وَأَفضَلَ الأوفِياء... أَرجوكَ المعذِرَة... أنزلوه.."

لَكِنَّ عَدنانَ بَعدَ أَن اِنتَهَى مِن كَلامِهِ سَقَطَ مَيِّتًا.. وَرَقَد كالحَجَر... وَبَكَى المِلِكُ والمِلِكةُ بُكاءً شَديدًا.. ثم قالَ الملك: "ما أَسْوَأَ المكافأةَ الّتي قابَلْتُ بِها إخلاصَكَ وَوَفاءَكَ!!" ثُمَّ أَمَرَ الملكُ بأن يُدْفَنَ جَسَدُهُ المتحجِّرُ في حَديقةِ القَصر، وأَن يُكتَبَ عَلَى قَبرِهِ عِبارَة: " عَدنانُ الوفيُّ.."

مَرَّت سَنَواتٌ.. وَأَنجبَتِ المِلِكَةُ طِفلَيْن جَميلَيْن.. كَبَرَ الطِّفلان... وكُلَّما مَرَّ المِلِكُ والمِلِكةُ بِقَبرِ عَدنانَ كانا يَحكِيان للأَميرَيْنِ قِصَّةِ إخلاصِ عَدنانَ وَوَفائِه.

٦٠- الطائِرُ الذَّهَبيّ

(١)

كانَ لأَحَدِ المُلوكِ حَديقَةٌ جَميلَة، وَكانَ في هَذِهِ الحَديقةِ شَجَرَةُ تُفّاحٍ تَطرَحُ ثِمارًا مِنَ الذَّهَب. وَكانَ المَلِكُ يَأمُرُ دائِمًا بِعَدّ تِلكَ التُّفّاحات. وَلَكِنْ عِندَما يَبْدَأُ نُضْجُ التُّفّاح، كانَ البُسْتَانِيُّ يُلاحِظُ كُلَّ صباحٍ أَنَّ تُفّاحَةً قَد قُطِفَتْ في أَثناءِ اللَّيْل.

غَضِبَ الملكُ غَضَبًا شَديدًا، وأمَرَ البُستانِيَّ أَنْ يَظَلَّ ساهِرًا خِلالَ اللَّيلِ تَحتَ الشَّجَرَةِ لِيَعرِفَ مَنْ يَسْرِقُ التُّفّاحَ. أرسَلَ البُستانِيُّ أَكبَرَ أَبنائِهِ لِيَحرُسَ الشَّجرة. وَعِندَ مُنتَصفِ اللَّيلِ غَلَبَهُ النُّعاسُ وَنام. وفي الصّباحِ وَجَدَ أَنَّ تُفّاحَةً ثانيةً قَد اختَفت.

خَلَب البُستانِيُّ مِن ابنِه الأَوسَطِ أَن يَحرُسَ الشَّجرة. وَلَكِنَّهُ عِندَ مُنتَصَفِ اللَّيل نامَ نَومًا عَميقًا. وفي الصَّباحِ كانت تُفّاحَةٌ أخرَى قَد اختَفَت. تقدَّمَ ابنُ البُستانِيِّ الأصغَرُ مِن أَبيه، وَطَلَبَ مِنه أَن يَسمَحَ لَهُ بِحراسَةِ شَجَرَةِ التُّفّاح. تَرَدَّدَ الأبُ في بادِئِ الأَمرِ أَن يُرسِلَ ابنَهُ الأَصغَرَ خَوفًا مِن أَن يُصيبَهُ أَذًى، ثُمَّ وافَقَ في النِّهاية.

ذَهَبَ الفَتَى إِلَى الشَّجرة، وَجَلَسَ تَحتَها يُراقِب. وَفي مُنتَصِفِ اللَّيلِ تَمامًا سَمِعَ الفَتَى حَفيفَ جَناحَيْن في الهَواء، وَأَقبَلَ طائِرٌ مِنَ الذَّهَبِ الخالِصِ يُريدُ قَطفَ التُّفّاحَةِ بِمنقاره. وَثَبَ ابنُ البُستانِيِّ عَلَى الطائِرِ وَأَمسَكَ بِهِ بِيَدِهِ، لَكِنَّ الطائِر أَفلَتَ مِنهُ وَطارَ بَعيدًا، وَسَقَطت من جَناحِهِ رَيشَةٌ ذَهَبِيَّة.

حَمَلَ البُستانِيُّ الريشةَ الذهبِيَّةَ إِلَى المَلِكِ فَأُعجِبَ بِها إعْجَابًا شَديدًا، وَجَمَعَ مَجلِسَ البَلاط. وَقَرَّروا أَنَّ الريشةَ تَزيدُ قيمَتُها عَن جَميعِ ثَروَةِ المَملَكَة. قالَ المَلِكُ: "إِنَّ ريشَةً واحِدَةً لا تَنفَعُني. لابُدَّ أَن أَحصُلَ عَلَى الطائِرِ كُلِّه."

(٢)

اِنطَلَقَ أكبرُ أَبناءِ البُستانِيِّ وَهُوَ مُتأَكِّدٌ أَنَّهُ سَيَجِدُ الطّائِرَ الذَّهَبِيَّ بِسُهولَة. سارَ الابنُ قَليلاً حَتَّى وَصَلَ إلى غابَة. هُناكَ قابَلَ ثَعلَبًا، فاستَعَدَّ لِيُطلِقَ سَهمَهُ علَيه. حينئِذٍ قالَ لَهُ الثَّعلب: "لا تَرْمِني بالسَّهم، فَسَوفَ أقدِّمُ لَكَ نَصيحَةً نافِعَةً، فأَنا أعرِفُ أَنَّكَ تَبحَثُ عَن الطّائِرِ الذَّهبِيِّ. إذا سِرْتَ في طَريقِكَ هَذا فَسَتُصادِفُ قَريَةً عِندَ المَساء. فإذا وَصَلْتَ إليها سَتَجِدُ نُزُلَيْن مُتقابِلَيْن. أَحَدُهما جَميلُ المنظَرِ فَلا تَدخُلْه، بَل اِقضِ اللَّيلَ في المَنزِلِ الآخَرِ القَبيح.

قالَ الشَّابُّ لِنَفسِه: "كَيفَ يُمكِن لِحَيوان مِثلِ هَذا أَن يَعرِفَ عِنِ الأَمر؟ إنَّ ما يَقولُه لِي كَذِبٌ." ثُمَّ رَماهُ بِالسَّهمِ، لَكِنَّ السَّهمَ أَخطأَهُ وَلَم يُصِبْهُ نَصَبَ الثعلبُ ذَيلَهُ عَلَى ظهرِهِ، وَفَرَّ داخِلِ الغابَة.

سارَ الشّاب في طَريقِهِ وَعِندَ المَساءِ وَصَلَ القَرية، وشاهَدَ النُّزُلَين. كانَ النُّزُلُ الأوّلُ جَميلاً، يَرقُصُ فيه الناسُ وَيُغَنّون وَيَحتَفِلون، بَينَما كانَ الآخَرُ قَديمًا قَذِرًا. قالَ الشّابُّ في نَفسِهِ: "سَأَكونُ أَحمَقَ إذا نَزَلتُ في هذا النُّزُلِ الحَقير، وَتَركتُ هَذا المَكانَ الساحِرَ الجَميل." اِتَّجَهَ الشابُّ إِلَى النُّزُلِ الأَنيق، وَمَتَّعَ نَفسَهُ بالطعامِ والشراب، وَنَسِيَ الطّائِرَ الذَّهَبِيّ.

مَرَّ وَقتٌ طَويلٌ وَلَم يَعُدِ الابنُ الأَكبَرُ، وَلَم تَصِلِ أَخبارٌ عنه. اِنطَلَقَ الابنُ الأَوسَطُ يَبحَثُ عَنِ الطّائر. وَحَدَثَ لَهُ ما حَدَثَ لأخيه. فَقَد التَقَى بِالثَّعلَبِ الّذي نَصَحَهُ النَّصيحَةَ النافِعَةَ نَفسَها، وَلَكِنَّهُ حينَ وَصَلَ إلى النُّزُلَيْن، وَجَدَ أخاه الأَكبَرَ يَقِفُ خَلفَ النافِذَة، يُغَنّي وَيَرقُصُ مَعَ الرّاقصين. دَعا الأخُ الأكبرُ أَخاهُ الأَوسَطَ لِيُشارِكَهُ اللَّهْوَ والمَرَح. انضَمَّ الأخُ الأوسطُ إلى أخيه الأَكبَرِ، وَدَخَلَ وَنَسِيَ الطّائِرَ الذَّهَبِيَّ.

(٣)

مَرَّ الوَقتُ ثانِيَةً، وانقَطَعَت أخبارُ الابنِ الأوْسَطِ. رَغِبَ الابنُ الأصغَرُ في أَن يَبحَثَ عَنِ الطّائِرَ الذَّهَبِيَّ، لكنَّ أَباه لَم يَستَجِب أوّلَ الأمرِ خَوفًا عَلَيه. أَلَحَّ الابنُ الأَصغَرُ في الطَّلب. أَخيرًا وافَقَ الأَبُ. وَعِندَ الغابةِ قابَلَ الفتَى الثَّعلَبَ، وَسَمِعَ النّصيحَةَ الغالِيَة، لَكِنَّهُ شَكَرَ الثَّعلَبَ. وَلَم يُحاوِل قَتلَه كَما فَعَلَ أَخواه. لِخمَأَنَّ إليهِ الثعلبُ، وَقالَ لَهُ: "اِصعَد عَلَى ذَيلي لِتكونَ رِحلَتُكَ أَسرَعَ." نَصَبَ الثَّعلبُ ذَيْلَهُ، وَجَلَسَ الفتَى عَلَيه، وَأَخَذَ الثَّعلبُ يَجري بِسُرعَةٍ، إلى أن وَصَلا إلى القَريَة. سَمِعَ الفتَى كَلامَ الثَّعلَبِ، وَاتَّجَهَ إِلَى النُّزُلِ الحَقيرِ دون أَنْ يَلْتَفِتَ حَولَه، وَقَضَى لَيلَتَهُ راضِيًا.

وفي الصَّباحِ زارَهُ الثعلبُ وَوَجَدَهُ وَهُوَ يَستَعِدُّ لِلرَّحيل. اِقتَرَبَ مِنهُ الثَّعلَبُ وَقالَ لَهُ: "اِمضِ في طَريقِكَ حَتَّى تَصِلَ إلى قَلعَةٍ كَبيرة. سَتَجِدُ حَولَها فِرْقَةً كاملَةً مِنَ الجُنودِ راقِدينَ عَلَى الأَرضِ غارِقين في النَّوم يَعلو شَخيرُهُم. لا تَلتَفِت إِلَيهم بَل اُدخُل القَلعةَ، وَواصِلِ السَّيرَ حَتَّى تَبلُغَ حُجرَةً صَغيرَة. هُناكَ سَتَجِدُ الطّائِرَ الذَّهَبِيَّ في قَفَصٍ مِنَ الخَشَبِ،وَبِقُربِهِ قَفَصٌ ذَهَبِيٌّ رائِع. فَلا تُحاوِل أَن تُخرِجَ الطائِرَ مِن القَفَصِ الحَقيرِ وَتَضَعَهُ في القَفَصِ الأَنيقِ وإلاّ فَسَوفَ تَندَم."

ثُمَّ نَصَبَ الثعلبُ ذَيلَهُ مَرَّةً أُخرَى، وَجَلَسَ الفتَى وانطَلَقا بينَ أشجارِ الغابَة. وَصَلَ الفتَى إلَى القَلعَة، وَوَجَدَ كُلَّ شيءٍ كَما قالَ الثَّعلَب. وَواصَلَ السَّيْرَ حَتَّى وَجَدَ الغُرفَةَ حَيثُ الطّائِرَ الذَّهَبِيُّ مُعَلَّقٌ في قَفَصٍ خَشَبِيٍّ. نَظَرَ الفتَى تَحتَ القَفَصِ الخَشَبِيِّ فَوَجَدَ قَفَصًا ذَهَبِيًّا جَميلاً، وَإِلَى جِوارِهِ التُّفّاحاتُ الذَّهَبِيَّةُ الثّلاثُ المَفقودَة.

قالَ الفتَى في نَفسِه: "مِنَ الغَباءِ أَن أَحمِلَ مِثلَ هَذا الطائِرِ الجميلِ في هَذا القَفَصِ الحَقير." فَتَحَ الفتَى بابَ القَفَص، وَأَمسَكَ بِالطّائِرِ، وَوَضَعَهُ في القَفَصِ

الذَّهَبِيّ. لَخلَـقَ الطّائِـرُ صَـرخَةً عالِـيَةً أَيقَظَـت جَمـيعَ الجُنودِ، فَقَبَـضوا عَلَـيه، وَأَخَذوهُ إِلَى المَلِك.

في الـصَّباحِ التّالي اجتَمَعَ مَجلِسُ البَلاطِ لِمُحاكَمَةِ الفَتَى. وَبعدَ أن اِنْتَهَتِ المُناقَشَة حَكَمـوا عَلَـيه بِالمَـوتِ مـا لم يُحـضِر لِلمَلِـكِ الحِـصانَ الذَّهَبِـيَّ الّـذي يَستَطيعُ الجَرْيَ بِسُرعَةِ الرّيح. فإن نَجَحَ في ذَلِكَ فَسَوفَ يَحصُلُ عَلَى الطّائِرِ الذَّهَبِيِّ مُكافَأَةً لَهُ.

(٤)

كـانَ الفَتَى يَشعُرُ باليَأسِ وَهُـوَ يَبدأُ رِحلَتَهُ الجَديدَة. وَفَجأَةً قابَلَهُ صَديقهُ المخلِصُ الثَّعلبُ، وَقـالَ لَـهُ: "لَقـد رَأَيـتَ نَتيجَةَ إهمالِكَ نَصيحَتي، وَمَعَ ذَلِكَ فَسَأَقولُ لَـكَ الطَّريقَةَ الّتي تَجِدُ بِها الحِصانَ الذَّهَبِيّ. لَكِنْ بِشَرط! أَن تَفعَلَ ما أَقولُه لَكَ بِالحَرفِ الواحِد. سِر في خَريقكُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى القَلعَةِ الّتي يَقِفُ الحِصانُ أَمامَها. وَإِلَى جوارِهِ سَتَجِدُ السّائِسَ راقِدًا في نَومٍ عَميق. فَاسحَبِ الحِصانَ بِهُدوءٍ دونَ أَن توقِظَ السّائسَ. هُناكَ على الأرضِ ستجِدُ سَرجَيْن، أَحَدُهُما جِلدِيٌّ قَديمٌ وَالآخَرُ ذَهَبِيٌّ جَديد.ضَع عَلَيهِ السَّرجَ القَديمَ، واترُكِ السَّرج الذَّهَبِي.

جَلَسَ الفَتَى عَلَى ذَيلِ الثَّعلَبِ، وانطلَقَا عَبرَ الغابَةِ ذاتِ الأَشْجَارِ الكَثيفَةِ. وَعِندَما وَصلا إِلَى القَلعَة، شاهَدَ الفَتَى السائِسَ يَنامُ نَومًا عَميقًا وَشخيرُهُ يَرتَفِع، وَيَدُهُ عَلَى السَّرجِ الذَّهَبِيّ. رَأَى الفَتَى جَمالَ الحِصان، فَقالَ إِنَّ هَذا الحِصانَ يَستَحِقُّ أَن أَضَعَ عَلَيهِ ذَلِكَ السَّرجَ الذَّهَبِيَّ، فَهُوَ يَليقُ بِه. ما كادَ الفَتَى يَسحَبُ السَّرجَ مِن تحتِ يَدِ السّائِسِ حَتَّى استيقظَ، وَصاحَ بِأعلَى صَوتِه، فأَقبَلَ الحُرّاسُ مِن كُلِّ مَكان، وَأَخَذوا الفَتَى أَسيرًا.

في الصَّباحِ، وَجَدَ الفَتَى نَفسَهُ أَمامَ مَجلِسِ البَلاطِ لِمُحاكَمَتِهِ كالمَرَّة السابِقة، وحُكِمَ عَلَيْه بالمَوْت. لَكِنَّ المجلسَ وافَقَ عَلَى أن يُطلِقَ سَراحَهُ إذا استَطاعَ أَن يُحضِرَ الأميرَةَ الجَميلَة، عِندَئِذٍ سَيُصبِحُ الطائِرُ والحِصانُ مِلكًا له.

(٥)

مَضَى الابنُ الأَصغَرُ فِي خَرِيقِهِ وَهُوَ يَشعُرُ بالحُزْن والأَسَى. وقابَلَهُ الثَّعلَبُ العَجوزُ، وقالَ لَهُ: "لماذا لَم تَسْتَمِع إليَّ. لَو أَنَّكَ فَعَلتَ ذَلِكَ لَفُزْتَ بِالحِصان والطَّائِرِ كِلَيْهِم. وَرَغْمَ ذَلِكَ سَأُقَدِّمُ لَكَ نَصيحَتي مَرَّةً أخرَى. وَاصِلْ خرِيقَك، وَعِندَ المَساءِ سَتَصِلُ إلَى قَصرِ أبيضَ كَبيرٍ. وإذا انتصَفَ اللَّيلُ فَستَذهَبُ الأَميرةُ إلَى "الحَمّام". فاصعَد إليها وقَبِّلْها، عِندَئِذٍ ستَسير مَعَكَ. وَلَكِن احذَر أن تَسمَحَ لَها بِأن تستأذِنَ أباها وأُمَّها."

مَدّ الثعلبُ ذَيلَهُ، ورَكِبَ الفَتَى، وَانطَلَقا حَتَّى وَصَلا إلى القَصرِ الأبيض. وفي مُنتَصَف اللَّيل. قابَلَ الفَتَى الأميرةَ وَهِيَ فِي خرِيقِها إلى "الحَمّام" فَقَبَّلَها، وَوافَقتَ عَلَى أن تُسافِرَ مَعَهُ، وَلَكِنَّها تَوَسَّلت إلَيه أَن يَسمَحَ لَها بِأن تُوَدِّعَ أَباها. رَفَضَ الفَتَى فِي أَوَّلِ الأمر، فَبَكَتِ الأميرةُ بِشِدَّة. أخيرًا وَافَقَ الفتَى.

وعندَ بابِ القَصرِ وَقَبلَ أَن يَدخُلا، هَجَمَ الحُرّاسُ عَلَى الفتَى، وقَبَضوا عَلَيه، ثم ذهبوا به إلى المَلِك. سَمِعَ الملكُ القِصَّةَ فَغَضِبَ مِنَ الفتَى، وقالَ لَه: "لَن تَحصُلَ عَلَى ابنَتي أَبَدًا حَتّى تُزيلَ ذَلِكَ التَّلَّ الّذي يَحجُبُ المَناظِرَ الطّبيعِيَّةَ الجميلةَ عَن نافِذَتي فِي ثمانِيَةِ أيام.

(٦)

كانَ هَذا التَّلُّ ضَخمًا جدًا حَتَّى أَنّ جَيشًا بِكامِلِهِ لَن يَستطيعَ إزالَتَه. ظَلَّ الفَتَى يَعملُ سَبعةَ أيامٍ لَكِنَّهُ لَم يَهدِم إلاّ جُزءًا صَغيرًا مِنَ التّل. وجاءَ الثعلبُ، وَقالَ لَهُ: "استرِح الآنَ، وَنَم، وَسَوفَ أَعمَلُ بَدَلاً مِنك."

استيقظَ الفَتَى فِي الصَّباحِ فَوَجَدَ التَّلَّ قد اختَفَى، فَذَهَبَ إلَى المِلكِ سَعيدًا، وَقالَ لَهُ: "لَقَد نَفَّذتُ ما أَمَرتَني بِهِ وأَزَلْتَ لَكَ التَّلَّ. أنا فِي انتظارِ ما وَعَدتَني به." اضطُرَّ الملكُ إلى الوَفاء بِوَعدِه. انطَلَقَ الفتَى والأميرةُ، فجاءَ الثَّعْلَبُ، وقالَ لَهُ: "سَنَحصُلُ عَلَى الجَميعِ: الأميرةِ والحصانِ والطائِرِ." صاحَ الشابُّ قائِلاً: "إذَنْ. سيكونُ ذلك شيئًا عظيمًا حَقًّا. وَلَكنْ كَيفَ يُمكِنُ تَدبيرُ ذَلِك؟"

قالَ الثعلبُ: "إذا اتّبَعْتَ ما أقولُه لَكَ فقَط. عِندَما تذهبُ إلى الملِك، وَيَسأَلُكَ عَن الأميرةِ الجَميلة قُل لَهُ: "ها هي ذي الأميرة" في تلك اللحظةِ سَيَشعُر بالسَّعادَةِ والسُّرور، ثُمّ اركَب الحصانَ الذهبيَّ الّذي يقدّمونَهُ لَك، وامدُدْ إليهم يَدَكَ لِتُسَلِّمَ عليهم، واجعَلِ الأميرة آخِرَ مَن تُصافِح. فإذا جاءَ دَورُها فارفَعها بِسُرعَةٍ خَلفَكَ عَلَى الحِصان، واجرِ بِهِ بِسُرعَة.

وبعدَ أن تَمَّ ذَلِكَ بنجاح، قالَ الثعلبُ: "عندَما تَصِلُ إلَى القلعةِ الّتي فيها الطائِرُ سَتَترُكُ الأميرةَ مَعي أَمامَ البابِ لِتَبقَى معي. أَمّا أَنتَ فامضِ في طَريقك، وَتَحدَّث إلَى المَلِك، وَعِندَما يَرَى أَنَّ الحِصانَ هُو الحصانُ المَطلوب، سَيُحضِرُ الطائر بينما تَظَلُّ أنتَ راكبًا، وأَخبرهُ بأنكَ تريدُ أن تُلقِيَ نَظرَةً عَلَى الطائِرِ لِتَرَى ما إذا كانَ الطائِرَ الذَّهَبِيَّ نَفسَه. فإن وَصَلَ إلى يَدِكَ، فَاجْرِ بِسُرعَة.

حَدَثَ كُلُّ ذَلِكَ كَما قالَ الثّعلَب. حَمَلا الطّائِرَ، وَرَكِبتِ الأَميرةُ الحصانَ ثانِيَةً، وانطَلَقَ الجميعُ في الغابَةِ الواسِعَة. ثُم أَقبَلَ الثعلبُ، وقالَ لِلفتَى: "أَرجوكَ. وأتوسَّلُ إلَيكَ أَن تَقتُلَني، واقْطَع رَأسي.."

رَفَضَ الشّابُ أَن يفعلَ ذَلِك، فقالَ لَهُ الثعلبُ: "عَلَى كُلِّ حال سَأُقَدِّمُ لَكَ نَصيحةً نافِعَة. اِحذَر أَمْرَيْن: لا تَفُكَّ أحدًا مِنَ المِشنَقَةِ، وَلا تَجلِس عَلَى شاطِئِ نَهر." ثُمَّ انطَلَقَ مُسرِعًا. ابتَسَمَ الشّابُّ وَقالَ: "لَيسَ مِنَ الصَّعبِ أَن أَتَّبِعَ هَذِهِ النَّصيحَة."

(٧)

سارَ الفتَى تَصحَبُهُ الأَميرة، حَتَّى وَصَلَ أَخيرًا إلَى القَريَةِ الَّتي تَرَكَ فِيهَا أخَوَيْه.وَهُناكَ سَمِعَ ضَجَّةً عظيمَة، وحينَما سَأَلَ عَنِ الخَبَر، قالَ لَهُ النّاسُ إنَّ اثنَيْنِ مِن الشَّبابِ سَوفَ يُعدَمان. اقترَبَ الفتَى مِنَ الجَمْع، فَاكتَشَفَ أَنَّ الشّابَّيْن هما أَخَواهُ اللَّذَان صَارَا لِصَّيْن. تَساءَلَ أَخوهُما الصَّغيرُ: "أَلا توجَدُ طَريقَةٌ لإِنْقَاذِهِمَا؟" قالَ الناسُ: "تَستطيعُ أَن تَشتَرِيَ حُرِّيَّتَهُما وَتُنقِذَهُما مِنَ المَوتِ إذا تَنازَلتَ عَن جَميعِ مالِكَ لِلفُقَراءِ والمساكين." سَمِعَ هَذا الكَلامَ فَلَم

يَتَأخَّر دَقيقةً واحِدَة، بَل دَفَعَ ما خُلِبَ منه، وَعَفا عَن أَخَويه، وسارَ الثلاثةُ عائِدين إِلَى بَلَدِهِم.

وَصَلَ الأخوةُ إِلَى المكان الَّذي قابلوا فيه الثَّعلَبَ في الغابَةِ، وكانَ الجوُّ جَميلاً، فقالَ الأَخَوان الأكبرُ والأوسط: "هَيّا نَجلِسْ عَلَى شلخِ النَّهرِ لِنَستَريحَ قَليلاً حَتَّى نَأكُل وَنَشرَب." نَسِيَ الأخُ الأصغرُ نَصيحَةَ الثَّعلَبِ، وَجَلَسَ مَعَهُما. وَبينما هُوَ مُطمَئِنٌّ في مَجلِسِهِ تَسَلَّلَ أَخواهُ وَحَمَلاهُ وَأَلْقَيَا بِهِ في النّهر، ثُمَّ أخذا الأميرةَ والحِصانَ والطّائِرَ، وَعادا إِلَى بَلَدِهِما، وَتَوَجَّها إِلَى المِلِكِ وَقالا:"لَقَد فُزنا بِكُلِّ هَذا بِكَدِّنا وَتَعَبِنا." وَهَلَّلَ الجميعُ وَصَفَّقوا إعجابًا. لَكِنَّ الحِصانَ رَفَضَ أَن يَأكُلَ، والطائِرَ امتَنَعَ عَنِ الغِناء، والأَميرةَ أَخَذت تَبكي وَتَنتَحب.

سَقَطَ الأخُ الأَصغَرُ في قاعِ النَّهر، وكادَ يَغرق. وكانَ الشلخُ شَديدَ الانحِدارِ فَلَم يَستَطِعِ الخُروجَ مِنَ الماءِ. في تِلكَ اللَّحظَةِ جاءَ الثَّعلَبُ العَجوزُ مَرَّةً أُخرَى، وَعاتَبَهُ وَعَنَّفَهُ لأَنَّهُ لَم يَعمَلْ بِنَصيحَتِه. ثم قالَ الثعلبُ: "لا أَقدِرُ أَن أَتْرُكَكَ هُنا، فاقْبِضْ عَلَى ذَيلي وَأَمسِك بِهِ بِقوَّة، ثُمَّ جَذَبَهُ مِن النّهر، وقالَ لَهُ وَهُوَ يَصعَدُ إِلَى الشّلخ: "أَخَواك يَنويان قَتْلَكَ إذا عَثَرا عَلَيكَ في المَملَكَة."

ارتَدَى الأخُ الأَصغَرُ مَلابِسَ الفُقَراء، وَذَهَبَ في الخَفاءِ إِلَى بَلاطِ المَلِك. وما كادَ يَدخُلُ القَصرَ حَتَّى بَدَأَ الحِصانُ يَأكُل، والطائِرُ يُغَنّي، وَكَفَّتِ الأميرةُ عَنِ البُكاء.

تَوَجَّهَ الفتَى إِلَى المَلِكِ مُباشَرَةً، وَقَصَّ عَلَيهِ كَيفَ خَدَعَهُ أَخواهُ وَسَرَقا الحِصانَ والطائِرَ الذَّهَبِيَّ وَأَخذا الأُميرَة. أَمَرَ الملكُ جُنودَهُ بِسجنِ الأَخَوَيْن، وَعادَتْ لَهُ الأميرةُ والحِصانُ والطائِرُ الذَّهَبِيّ. وَبعدَ مَوتِ المَلِكِ، وَرِثَ الأَخُ الأَصغَرُ المملَكَةَ.

مَرَّتِ الأَيّامُ، وَخَرَجَ الفتَى يَتَمَشَّى في الغابَةِ ذاتَ يَوم، فَقابَلَهُ الثعلبُ العَجوزُ. توسَّلَ الثعلبُ إِلَى الفتَى والدُّموعُ تَملأُ عَيْنَيْه أَن يَقتُلَهُ، وَيَقطَعَ رأسَه.

أخيرًا اسْتَجَابَ لَهُ. وفي لَحْظَةٍ تَحوَّلَ الثعلبُ إلى رَجُلٍ، وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ أَخو الأَميرَةِ الّذي كانَ مَفقودًا مُنذُ زَمَنٍ طَويل.